

بين يوم وليلة



توفيق الحكيم



مَسْرُوعُ الْمَحْبُوعِ

(١)

بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ

تَوْفِيقُ الْحَكِيمِ

النَّاسِر

مَكْتَبَةُ مَصْرٍ
٣ شارع كامل صدقي - البهالة

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

- ١ — محمد ^{صلى الله عليه وسلم} (سيرة حوارية) ١٩٣٦
- ٢ — عودة الروح (رواية) ١٩٣٣
- ٣ — أهل الكهف (مسرحية) ١٩٣٣
- ٤ — شهرزاد (مسرحية) ١٩٣٤
- ٥ — يوميات نائب في الأرياف (رواية) ١٩٣٧
- ٦ — عصفور من الشرق (رواية) ١٩٣٨
- ٧ — تحت شمس الفكر (مقالات) ١٩٣٨
- ٨ — أشعب (رواية) ١٩٣٨
- ٩ — عهد الشيطان (قصص فلسفية) ١٩٣٨
- ١٠ — حمارى قال لى (مقالات) ١٩٣٨
- ١١ — براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية) ١٩٣٩
- ١٢ — راقصة المعبود (روايات قصيرة) ١٩٣٩
- ١٣ — نشيد الأنشاد (كما فى التوراة) ١٩٤٠
- ١٤ — حمار الحكيم (رواية) ١٩٤٠
- ١٥ — سلطان الظلام (قصص سياسية) ١٩٤١
- ١٦ — من البرج العاجى (مقالات قصيرة) ١٩٤١
- ١٧ — تحت المصباح الأخضر (مقالات) ١٩٤٢
- ١٨ — بجماليون (مسرحية) ١٩٤٢
- ١٩ — سليمان الحكيم (مسرحية) ١٩٤٣
- ٢٠ — زهرة العمر (سيرة ذاتية — رسائل) ١٩٤٣
- ٢١ — الرباط المقدس (رواية) ١٩٤٤

١٩٤٥	٢٢ — شجرة الحكيم (صور سياسية)
١٩٤٩	٢٣ — الملك أوديب (مسرحية)
١٩٥٠	٢٤ — مسرح المجتمع (٢١ مسرحية)
١٩٥٢	٢٥ — فن الأدب (مقالات)
١٩٥٣	٢٦ — عدالة وفن (قصص)
١٩٥٣	٢٧ — أرنى الله (قصص فلسفية)
١٩٥٤	٢٨ — عصا الحكيم (خطرات حوارية)
١٩٥٤	٢٩ — تأملات في السياسة (فكر)
١٩٥٩	٣٠ — الأيدى الناعمة (مسرحية)
١٩٥٥	٣١ — التعادلية (فكر)
١٩٥٥	٣٢ — إيزيس (مسرحية)
١٩٥٦	٣٣ — الصفقة (مسرحية)
١٩٥٦	٣٤ — المسرح المتنوع (٢١ مسرحية)
١٩٥٧	٣٥ — لعبة الموت (مسرحية)
١٩٥٧	٣٦ — أشواك السلام (مسرحية)
١٩٥٧	٣٧ — رحلة إلى الغد (مسرحية تنبؤية)
١٩٦٠	٣٨ — السلطان الحائر (مسرحية)
١٩٦٢	٣٩ — ياطالع الشجرة (مسرحية)
١٩٦٣	٤٠ — الطعام لكل فم (مسرحية)
١٩٦٤	٤١ — رحلة الربيع والخريف (شعر)
١٩٦٤	٤٢ — سجن العمر (سيرة ذاتية)
١٩٦٥	٤٣ — شمس النهار (مسرحية)

١٩٦٦	٤٤ — مصير صرصار (مسرحية)
١٩٦٦	٤٥ — الورطة (مسرحية)
١٩٦٦	٤٦ — ليلة الزفاف (قصص قصيرة)
١٩٦٧	٤٧ — قلبنا المسرحى (دراسة)
١٩٦٧	٤٨ — بنك القلق (رواية مسرحية)
١٩٧٢	٤٩ — مجلس العدل (مسرحيات قصيرة)
١٩٧٢	٥٠ — رحلة بين عصرين (ذكريات)
١٩٧٤	٥١ — حديث مع الكوكب (حوار فلسفى)
١٩٧٤	٥٢ — الدنيا رواية هزلية (مسرحية)
١٩٧٤	٥٣ — عودة الوعي (ذكريات سياسية)
١٩٧٥	٥٤ — فى طريق عودة الوعي (ذكريات سياسية)
١٩٧٥	٥٥ — الحمير (مسرحية)
١٩٧٥	٥٦ — ثورة الشباب (مقالات)
١٩٧٦	٥٧ — بين الفكر والفن (مقالات)
١٩٧٦	٥٨ — أدب الحياة (مقالات)
١٩٧٧	٥٩ — مختار تفسير القرطبي (مختار التفسير)
١٩٨٠	٦٠ — تحديات سنة ٢٠٠٠ (مقالات)
١٩٨٢	٦١ — ملاح داخلية (حوار مع المؤلف)
١٩٨٣	٦٢ — التعاقدية مع الإسلام والتعاقدية (فكر فلسفى)
١٩٨٣	٦٣ — الأحاديث الأربعة (فكر دينى)
١٩٨٣	٦٤ — مصر بين عهدين (ذكريات)
١٩٨٥	٦٥ — شجرة الحكم السياسى (١٩٧٩ — ١٩١٩)

كتب للمؤلف نشرت في لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت
عضو الأكاديمية الفرنسية في دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى
الإنجليزية في دار النشر (ييلوت) بلندن ثم في دار النشر (كروان)
بنيويورك في عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كستنتر بريس)
واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية في ليننجراد عام ١٩٢٥
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧ في دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية
في واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب في الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩
(طبعة أولى) وفي عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفي عام ١٩٧٤ و ١٩٧٨
(طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية
عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية في دار (هارفيل) للنشر بلندن
عام ١٩٤٧ — ترجمة أبا إيبان — ترجم إلى الأسبانية في مدريد عام ١٩٤٨
وترجم ونشر في السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١
وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخي
لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دي فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما
عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية في مدريد عام ١٩٤٦ .
عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

- ونشر طبعة ثانية في باريس عام ١٩٦٠ :
- عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس بعنوان (مذكرات قضائي شاعر) عام ١٩٦١ .
- بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ ،
- وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثري كنتنتسز بريس)
- بواشنطن ١٩٨١ .
- سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠
- وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (كنتنتسز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .
- نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- الخرج : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠
- بيت الحمل : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- وبالإيطالية في روما عام ١٩٦٢ .
- الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس
- عام ١٩٥٠ .
- السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثري كنتنتسز بريس)
- بواشنطن ١٩٨١ .
- شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثري كنتنتسز)
- واشنطن عام ١٩٨١ .
- صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثري كنتنتسز)
- واشنطن عام ١٩٨١ .

- الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتر)
 واشنطن عام ١٩٨١ .
- الأيدى الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتر)
 واشنطن عام ١٩٨١ .
- شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتر)
 واشنطن عام ١٩٨١ .
- الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتر) واشنطن
 عام ١٩٨١ .
- الشیطان فى خطر : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .
- بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠
 وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣ .
- العش الهادئ : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣ .
- دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- أنشودة الموت : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينان عام ١٩٧٣
 وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ .
- لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .
- وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتنتر بريس) بواشنطن عام
 ١٩٨١ .
- الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .
- السلطان الحائر : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينان عام ١٩٧٣

وبالإيطالية في روما عام ١٩٦٤ .

يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية في لندن عام ١٩٦٦ في دار نشر أكسفورد يونيفرستى بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .
مع : كل شيء في مكانه .

السلطان الحائر .

نشيد الموت .

لنفس المترجم عن دار نشر هاينمان — لندن .

الشهيد : ترجمة داود بشاي (بالإنجليزية) جمع محمود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٦٨ .

محمد ﷺ ترجمة د . إبراهيم الموجي ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .
المرأة التى غلبت الشيطان : ترجمة تولى إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج ببرلين .

عودة الوعى : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيل ونلدر ونشر دار ماكملان — لندن .

هذا الكتاب يعرض من صور الأشخاص والأوضاع والأخلاق ما صدر عن وحي المجتمع المصرى فى أعوامه التى تمخضت عنها الحرب العالمية الأخيرة ..

ريظهر أن الحروب وما تثيره فى الأمة من هزات اجتماعية ترغم المشتغل بالفن على الاستقاء من هذا النبع ، وتدفعه إلى الاستيحاء مما يضطرب فيه هذا المجتمع ..

هكذا كان الحال أيضاً بالنسبة إلى الحرب العالمية الأولى ... فقد كان المجتمع المصرى وقتئذ يهتز لأمرين : الخلاص من الاحتلال ، والتخلص من الحجاب ..

فى ذلك العهد دفعتنى تلك الهزة حوالى ١٩١٨ — ١٩١٩ إلى كتابة قصة تمثيلية اسمها « الضيف الثقيل » ترمز إلى معنى الاحتلال فى صورة عصرية انتقادية ...

فقد كانت تدور حول محام هبط عليه ذات يوم ضيف ، ليقم عنده يوماً ، فمكث شهراً .. ومانعت فى الخلاص منه حيلة ولا وسيلة ... وكان المحامى يتخذ من سكنه مكتباً لعمله ... فما إن يغفل لحظة أو يتغيب ساعة ، حتى يتلقف الضيف الوافدين من الموكلين الجدد فيوهمهم أنه صاحب الدار ، ويقبض منهم ما يتيسر له قبضه من مقدم الأتعاب ... فهو احتلال واستغلال ، وأحدهما يؤدى دائماً إلى الآخر ... ثم كتبت عقب ذلك ببضعة أعوام أى حوالى ١٩٢٣ — ١٩٢٤ قصة تمثيلية أخرى هى « المرأة الجديدة » عن طرح المرأة للحجاب وما يمكن أن يترتب على السفور من آثار ... ولكن الحروب ، ما يكاد يختفى شبحها ويسكن نائرها ، وتنقش غيومها ، حتى يطيب أحياناً للفن أن ينطلق من جو المسائل القومية إلى جو المسائل الإنسانية .. لهذا ما كادت الحرب العالمية الأولى تبعد شقتها وتهدأ هزتها باتجاه المجتمع المصرى إلى التغير الهادئ والتطور الطبيعى ، حتى اتجهت إلى مصدر آخر هو الإنسان فى أفكاره الثابتة فى كل زمان .. كان ذلك منذ عام ١٩٢٨ حيث أخذت فى كتابة تمثيلات أهل الكهف وشهرزاد والخروج من اللجنة ونهر الجنون إلخ ... واليوم عند خروجنا من الحرب العالمية الثانية أى منذ نحو

خمس سنوات أو أكثر قليلا مضى المجتمع المصرى يضطرب فى هزات اجتماعية جديدة ، لم تكن ملحوظة على هذا النحو فى عام ١٩١٨ أو عام ١٩١٩ .
فقد اتجه أكثر الناس إلى نشاطهم الداخلى فى مضمار التقدم الشخصى أو المنافسة العامة ، فأصبح للمال وسلطانه والسعى إلى طرائق جمعه وتدعيمه الأهمية الكبرى ... فعرفت مصر طرازاً حديثاً من الناس هم رجال الأعمال والشركات وأثرياء الحرب ، كما كان للنظم الحديثة وسرعة التقلبات السياسية ، ومقتضيات الحياة العصرية أثر فى تصرفات الناس ، فنجم عن ذلك كله أنماط من الأخلاق تساير رغبة الطموح وتتابع سرعة الوصول . كما أن المرأة لم تعد تقتنع بالسفور بل سعت إلى أن يكون لها مكان بارز فى السياسة والحياة العامة وأن تكون لها حرية أوسع وإرادة أقوى . وغير ذلك كثير مما جد على المجتمع المصرى من اتجاهات وشخصيات كانت هى الوحي لما فى هذا الكتاب من صور وحوادث وأناس ... وإن الحقيقة لتقتضى التصريح بأنه ما من قصة هنا خلا منها مشهد « على الأقل » انتزع بالفعل من واقع الحياة ... حتى ما قد يبدو أحيانا أنه عجيب ... إن الحياة أجراً من الفنان ...

ويضم هذا الكتاب « عشرين قصة وقصة » تمثيلية عصرية . منها ما يقع فى فصل .. ومنها ما يقع فى منظرين ، ومنها ما يقع فى أربعة فصول .. ويبدو من تاريخ الآداب العالمية أن التمثيلية ذات الفصل كان لها فضل فى تصوير المجتمع فى أوضاعه العديدة المختلفة .. فقد استخدمها لهذه الغاية : مولير ، ودى موسى ، وما ريفو ، وتشيوخوف ، وتورجنيف ، وجوته ، وشيلر ، وفرتر ، ودودلى ، ووايلد ، وشو إلخ ، فالعمل على إقرارها أيضاً فى الأدب العربى لما يمكن لهذا الأدب العريق فى أساليب أدائه ، وينوع له فى وسائل تعبيره ..
أما بعد .. فإننا نملك الجهد ولا نملك الثمرة .. والجهد الذى نملكه قد أعطيناه ، والثمرة لا يمنحها غير الله ..

1

من وحك أخلاق المجتمع

بين يوم وليلة

قصة تمثيلية في منظرين

المنظر الأول

(حجرة الوزير ... فى إحدى الوزارات ... مدير المكتب
يدخل من أحد الأبواب وخلفه الساعى يحمل مظروفاه رزمة
من الخطابات ...)

الساعى : بوسنة معالى الوزير ...

مدير المكتب : الوزير السابق .

الساعى : نوصلها إلى منزله ؟

مدير المكتب : طبعا اذهب بها إلى منزله ... كما ذهبت أمس إليه بأوراقه
الخصوصية ... ألم تسلم إليه أوراقه ؟ ..

الساعى : سلمتها إلى معاليه يدا بيد . وقد ظهر على وجهه التأثر
الشديد ... وسأل عن سعادتك ..

مدير المكتب : سأل عن سعادتي ؟ ..

الساعى : قال « كنت أنتظر من مدير مكتبى أن يحضر على الأقل

ليودعنى ... خصوصا وهو يعلم أنى كنت قد أعددت مذكرة

بترقيته ترقية استثنائية ... لولا سقوط الوزارة المفاجئ ... » .

مدير المكتب : أكان يريد منى أن أودعه ؟! أغاب عن فطنة معاليه أننا كنا نترقب
زوال عهده البغيض بفروغ صبر ! ..

الساعى : قلت لمعاليه إن سعادتك مشغول .

مدير المكتب : طبعا مشغول . هذه الحجرة تحتاج إلى تنظيف ، قبل تشريف

الوزير الجديد .. اذهب وأرسل إلى كبير القراشين .

(الساعى يخرج .. بينما يفتح مدير المكتب « أدراج » مكتب

الوزير ويخرج منها الأوراق القديمة وينظر فيها ويمزقها (

الساعي : (يعود بعد لحظة) نسيب معالي الوزير السابق ...

مدير المكتب : (ببرود) نسيبه !؟

الساعي : خطيب كريمة معاليه .

مدير المكتب : وما شأني به ؟

الساعي : يريد مقابلة سعادتك ..

مدير المكتب : (صائحا) ما شاء الله ! أيوجد في رأسك ذرة من العقل !؟

أتظن أن وقتي نهب مباح لمن يريدون أن يصاهروا الوزير السابق

ويناسبوه ويطلبوا يد ابنته !؟ ..

الساعي : أقول له إن سعادتك غير موجود ..

مدير المكتب : قل له ماشئت .

(الساعي يهم بالخروج ... وإذا الخطيب يدخل مندفعاً قبل

أن يستطيع منعه ..)

الخطيب : (للمدير المكتب) نهارك سعيد يا بك ! .

مدير المكتب : (يجفء) نهارك سعيد ! ..

الخطيب : لا تؤاخذني ... ليس من حقي الدخول عليك بهذه الصورة ...

ولكن الموضوع في غاية الأهمية . تسمح لي بكلمة على

انفراد ...

مدير المكتب : كلمة واحدة فقط لأني مشغول .

الخطيب : لن أستغرق من وقتك أكثر من دقيقة ..

مدير المكتب : تفضل ...

(يشير إلى الساعي فيخرج)

الخطيب : الموضوع دقيق .. وإني أعلم أن أمامي رجلا من رجال الوزير

السابق ، المعروف عنهم شدة الاتصال به والتشيع له ..

- مدير المكتب : من هذا الرجل ؟
الخطيب : سعادتك طبعاً .
مدير المكتب : (ينظر إلى الأبواب بقلق) ادخل في الموضوع ... ادخل في الموضوع ! .
الخطيب : هل الخطابات المرسلة إلى الوزير تفتحها سعادتك ؟
مدير المكتب : أى خطابات ؟
الخطيب : الخطابات الخاصة .
مدير المكتب : وما دخل أنا في خطاباته الخاصة ؟
الخطيب : لا تطلع عليها إذن ولا تعرف محتوياتها .
مدير المكتب : أنا ؟
الخطيب : هذا معقول ... ولكن بقى شيء ... هو أنك تتسلم هذه الخطابات قبل أن تصل إلى يد الوزير ...
مدير المكتب : ماذا تريد حضرتك أن تقول بالضبط ؟
الخطيب : هل تسلمت الخطابات الواردة باسم الوزير هذا الصباح ؟
مدير المكتب : تسلمتها .
الخطيب : (في أمل) أهى موجودة عندك الآن ؟ ...
مدير المكتب : مع الأسف ... لقد أرسلناها إلى منزله مع أحد السعاة ..
الخطيب : (في يأس) يا للمصيبة ! ...
مدير المكتب : مصيبة ؟ !
الخطيب : مصيبتى أنا ... لقد جئت من عزبتى في الصعيد بقطار الليل ... ولكن كل شيء ذهب سدى ... القسمة ! ... أشكرك على كل حال ... (يتحرك للانصراف) .
مدير المكتب : لم أفهم منك شيئاً حتى الآن .
الخطيب : لا داعى .. ولا فائدة . إنه سوء حظ والسلام .

- مدير المكتب : سوء حظك !
- الخطيب : وسوء حظك أنت أيضا .
- مدير المكتب : سوء حظي أنا ، لماذا ؟ ...
- الخطيب : لسقوط الوزارة ... وذهاب هذا الوزير النافع ، المصلح ،
النشيط ... الشهم ... أأست معى فى هذا الرأى ؟
- مدير المكتب : (ناظرا بخوف إلى الأبواب) طبعاً ...
- الخطيب : كان من خيرة الوزراء ... وكان محبوبا من الجميع ... أليس
كذلك ؟
- مدير المكتب : جدا ..
- الخطيب : ولكنه ذهب ... ولن يعود ... وذهبت آمالنا معه إلى غير
رجعة .. إنى كما تعلم رجل مزارع ... من الأعيان والملاك ...
صاحب أطيان واسعة ... ومصالح كثيرة (يهمس) ألا ترى أن
اتصالى به سيعرضنى لغضب الوزارة القادمة ؟ !..
- مدير المكتب : هذا محتمل الحدوث .
- الخطيب : وأنت أيضا ؟ ... ما موقفك ؟
- مدير المكتب : كما ترى ..
- الخطيب : أرى أنه موقف لا تحسد عليه ... ألم تنتسم أخبارا عن تشكيل
الوزارة الجديدة ؟
- مدير المكتب : ربما تم تأليفها اليوم .
- الخطيب : لو لم تسارع إلى إرسال خطابات الوزير السابق إلى منزله هذا
الصباح ، لكان لى شأن آخر ..
- مدير المكتب : ما الذى يهملك من هذه الخطابات ؟
- الخطيب : خطاب واحد ... لا غير .
- مدير المكتب : أفيه شىء خطير ؟
- (بين يوم وليلة)

- الخطيب : فيه ارتباطى بتحديد يوم الخميس القادم لعقد قرانى بكرىمة هذا
الوزير الساقط .. أقصد السابق !
- مدير المكتب : أنت الذى حررت هذا الخطاب ؟
- الخطيب : نعم .. وبعد أن وضعته فى صندوق البريد .. جاءت
الصحف .. وإذا فيها خبر سقوط الوزارة !
- مدير المكتب : عندئذ قمت فى الحال إلى مصر ...
- الخطيب : بقطار الليل ... وجئت كما ترى فى الصباح الباكر ... نعى أن
ألقى الخطاب قبل وقوعه فى يد الوزير ...
- مدير المكتب : وماذا كنت تنوى أن تفعل لو أن خطابك وصل إلى يدك قبل أن
يصل إلى يد الوزير ؟
- الخطيب : طبعاً .. أنت سيد العارفين . ما دامت الفاس لم تقع فى
الراس ... ما الذى يحملنى على أن ألقى بمصالحى فى يد شخص
لم يعد فى العير ولا فى النفير ؟!
- مدير المكتب : حقاً ... رجل ما عاد ينفع ولا يضر .
- الخطيب : بالعكس يا سيدى البك ... بل قد يضر ولا ينفع ... فإن مجرد
الانتساب إليه الآن قد يلحق بنا أضراراً ليست فى الحسبان .
- (الساعى يظهر وتحت إبطه المظروف ...)
- الساعى : نهت على كبير الفراشين بالحضور مع أعوانه لتنظيف الحجرة
لمعالى الوزير الجديد ... والآن ... هل تأمر سعادتك بذهابى
لتوصيل البوستة إلى منزل الوزير السابق ؟
- الخطيب : (صائحاً) بوستة الوزير السابق ؟!
- مدير المكتب : (للساعى) هات المظروف ! ... وانتظر فى الخارج حتى
أناديك ..
- (الساعى يسلم مظروف الخطابات إلى مدير المكتب)

(ويخرج ...)

الخطيب : (فى صحفة فرح) لم يكن قد ذهب بها ... بالحسن الحظ !
مدير المكتب : (يفرغ المظروف وينثر ما فيه من خطابات على المكتب) أين
خطابك من بين هذه الخطابات ؟!

الخطيب : (يفرز خطابا من بين الخطابات) ها هو ذا خطي .. ها هو ذا
خطي ! ..

مدير المكتب : انتظر ... ماذا تريد أن تصنع به ؟

الخطيب : وأنت ؟ ... ماذا كنت تصنع به لو كنت فى مكانى ؟

مدير المكتب : تريد أن تمزقه ؟

الخطيب : لو أمكن فتح الغلاف بحرص .. فإنى أستخرج منه الورقة التى
فيها تحديد يوم القران . وأضع بدلا منها ورقة فيها فسخ للخطبة
أجعل تاريخها سابقا لتاريخ سقوط الوزارة بذلك يكون تصرفا
فى منتهى الكياسة ... ألا ترى ذلك ؟

مدير المكتب : أرنى الغلاف !

الخطيب : (يناوله الخطاب) صمغه ليس شديد الالتصاق .

مدير المكتب : (يفحصه) حقا .. من الميسور فتحه وإعادة تصميمه .. خذ
وافعل به ماشئت !

الخطيب : (يتناول الخطاب ثم يتناول فتاحة معدنية من فوق المكتب يفتح
بها الغلاف بحرص) فتاحة معالى الوزير ! ...

مدير المكتب : الوزير الجديد !

الخطيب : أتعرف من سيكون ؟

مدير المكتب : ما من أحد يعرف بعد ... إن كل وزير جديد هو على أى حال
خير من كل وزير سابق !

الخطيب : (وهو يضع الفتاحة) فتح الغلاف بكل احتياط ، بدون أن
يمس ختم البريد ... (يستخرج ورقة من داخل الغلاف ...)

وهذه هي الرسالة التي كانت ستوقعنا في شر أعمالنا !

(يمزق الرسالة قطعاً صغيرة)

مدير المكتب : (مشيراً بيده) إليك سلة المهملات !

الخطيب : (وهو يلقي بالقطع الصغيرة في السلة) والآن ورقة بيضاء من فضل سعادتك !

مدير المكتب : (يبحث بين أوراق المكتب) خذ هذه ورقة عادية ! ..

الخطيب : (وهو يتناولها مع قلم من فوق المكتب) شكراً .. سأضع تاريخ أمس الأول .. أو الأفضل تاريخ اليوم السابق لأمس الأول ... (يكتب) ... حضرة صاحب المعالي ... بعد تقديم واجب الاحترام .. جدت ظروف عائلية ترغمني على إرجاء التفكير في الزواج في الوقت الحاضر .. لذلك يؤسفني أن أرجو من معاليكم اعتبار موضوع الخطبة كأن لم يكن ... وتفضلوا .. إلى آخره . لا داعي للإطالة. أليس في هذه الكلمة كل المطلوب ؟

مدير المكتب : هذه الكلمة كافية جداً ...

الخطيب : (وهو يضع الورقة في الغلاف) قليلاً من الصمغ لنغلق الغلاف كما كان . (يلمح زجاجة الصمغ على المكتب فيتناولها ويغلق الغلاف)

مدير المكتب : خلصت الآن ؟

الخطيب : كالشعرة من العجين .. بفضل الله وفضلكم ... إليك الخطاب .. ضعه كما كان بين « بوسنة » معالي الوزير ... السابق !

مدير المكتب : (يتناول منه الخطاب ويدسه بين بريد الوزير ويضغط على زر الجرس فيدخل الساعي) خذ « بوسنة » الوزير السابق

- واذهب بها في الحال إلى منزله ..
- الخطيب : (للساعي) بغاية السرعة من فضلك .
- مدير المكتب : (للساعي) عندك العجلة طبعاً ..
- الساعي : (وهو يتناول مظروف البريد) نعم ... سأركب العجلة ...
- وأذهب في طرفة عين ! (يخرج مسرعاً ..)
- الخطيب : (للمدير المكتب) لساني عاجز عن الشكر ، ولن أنصرف الآن حتى آخذ منك وعداً أكيداً بأن تشرفني في بلدنا لنحتفى بك ونذبح الذبائح ونقوم نحوك ببعض الواجب ...
- مدير المكتب : لم أفعل شيئاً يستحق كل ذلك .
- الخطيب : بل فعلت من المروءة ما لا أنساه .. ولكأن الله ألهمني أن أرسل خطابي على الوزارة ، تباهاً أمام الفلاحين .. كي يتيح لي رجلاً شهماً مثلك ينقذني من المأزق ..
- مدير المكتب : بل قل إن الله هو الذي أراد إنقاذك وإزالة هذه الغمة عنك ، كما أزالها عنا ..
- الخطيب : حقاً كانت غمة وانزاحت ...
- مدير المكتب : كان عهداً بغيضاً وزال بشره ...
- الخطيب : كان هذا الوزير والشهادة لله ثقيل الظل على قلبي ..
- مدير المكتب : وماذا نقول نحن الذين عاشرناه في العمل ؟ . كان رجلاً في غاية الحمق والسخف والغباء ...
- الخطيب : كان الله في عونكم ! إني لم أكن قد خالطته بعد كل المخالطة ، ولكنني بالفراصة أدركت أنه مثل « شرابة الخرج » !
- مدير المكتب : كل هذا فضلاً عن ظلمه وقلة نزاهته وارتبأكه واعوجاجه في تصريف الأمور ...
- الخطيب : يا حفيظ !

— ٢٢ —

مدير المكتب : لذلك كان من الضروري أن يأتي عهد جديد .. نرى فيه إصلاحا لهذا الفساد !

الخطيب : البركة في الوزير الجديد ..

مدير المكتب : هذا هو أملنا .. وموضع ...

(جرس التليفون يدق ... فيرفع مدير المكتب السماعه

ويضعها على أذنه ...)

مدير المكتب : ألو .. ألو .. رياسة مجلس الوزراء ؟ من حضرتك ؟ آه ...

صباح الخير .. أفندم . الوزارة الجديدة تألفت .. مبروك ...

الخطيب : مبروك ...

مدير المكتب : (يشير إليه بالصمت ويستأنف حديث التليفون) ألو ..

ألو .. قل لي من الوزراء الجدد .. أسماء الوزراء ... وزارتنا ...

أولا .. أخبرني من هو وزيرنا الجديد ؟ ماذا تقول ؟ هو

نفسه ... عين الوزير السابق . لم يتغير . دخل الوزارة الجديدة

في نفس وزارته ! كفى . كفى . لا داعي لسماعي البقية ..

متشكر ! (يضع السماعه ...)

الخطيب : هو نفسه ؟!

مدير المكتب : وزيرنا الجديد هو نفسه الوزير السابق ! ..

الخطيب : (صائحا) ياداهيتنا الكبيرة ! الخطاب ... الخطاب !

مدير المكتب : صه ! .. أين الأوراق التي سأعرضها على معاليه ! . بنفسى ..

الآن .. في منزله منزل معاليه ! .

الخطيب : (يشب ناهضا) وخطابي ؟ من يرد لي هذا الخطاب الملعون ...

إلى منزله ... في طرفه عين ... منزل معاليه !

(ستار)

المنظر الثاني

(بهو في منزل الوزير ... في صدره باب يؤدي إلى الحديقة ...
وفي جانبه باب مفتوح يؤدي إلى حجرة مكتب ... وقد
جلست في البهو كريمة الوزير وهي تحتضن كلباً صغيراً ...
وبقربها جلس الخطيب ... يحادثها وعينه لا تفارق حجرة
المكتب)

- الخطيبة : لماذا تنظر هكذا دائماً إلى حجرة المكتب ؟
الخطيب : معاليه ... والساعي ...
الخطيبة : إنه لن يبطئ علينا .. بعد لحظة يفرغ من هذا الساعي
وأوراقه ... ويأتى إلينا ..
الخطيب : (يمد عنقه نحو حجرة المكتب) الخطابات .
الخطيبة : أى خطابات ؟
الخطيب : (يرسل نظراته إلى حجرة المكتب) في يده . إنها في يده ...
أسيفتحها الآن ؟
الخطيبة : لا أظن .. ولا ينبغي لنا أن ندعه مشغولاً عنا طويلاً .
الخطيب : نعم .. أرجوك .. امنعني من أن أقرأ الآن ..
الخطيبة : لا تخف .. إنه سيأتى إلينا حالاً ... وسيشترك في الحديث . لماذا
كل هذه السرعة منك في إعداد برنامج القرآن ؟
الخطيب : (وهو ينظر) أسرعى . امنعنى . إنه يقلب بين يديه الخطابات !
الخطيبة : (مبتسمة) كن صبوراً . تعلم الصبر .. على ذكر
الخطابات .. لماذا لم تكتب إلينا حتى الآن ... كنا نتنظر منك

- على الأقل خطاباً ... تحدد فيه الموعد . وتقتراح الترتيبات .
الخطيب : (وهو ينظر إلى حجرة المكتب) كتبت .. أقصد .. أقصد
فكرت . ولكنى فضلت الحضور بنفسى ... حتى يتم القران
يوم الخميس القادم إن شاء الله !
الخطيبة : الموعد قريب جداً .
الخطيب : (وهو ينظر) أسرعى .. إنه يريد أن يفتح خطاباً ...
الخطيبة : (تلقت إلى حجرة المكتب وتنادى) بابا .. بابا .. نحن في
انتظارك ..
الوزير : (من الداخل صائحا) لا تؤاخذانى ...
(ثم يظهر مشيراً إلى الساعى بالانصراف ... ويتقدم
نحوهما .. حاملاً الخطابات فى يده . ويجلس على مقعد أمامه
منضدة صغيرة ... بينما الخطيب ينهض لحيئه ويجلس
بجلوسه ...)
الوزير : (لابتته) ألم تطلبى قهوة لخطيبك ؟!
الخطيبة : طبعاً يا بابا ! ..
الوزير : (يضع الخطابات فوق المنضدة التى أمامه) قبل أن أنقطع لكما
ويجرفنا الحديث .. اسمحالى بلحظة أتصفح هذه الخطابات ...
(ويخرج نظارته من جيبه ...)
الخطيب : (بسرعة ورجفة) لا يا معالى الباشا ... لا .. موضوعنا فى
غاية الأهمية . ويستحق من معاليك أن تنقطع الآن إلينا ..
التفت إلينا ..
الخطيبة : الحق معه يا بابا ... يحسن أن تترك القراءة الآن ... وتشاركنا فى
الحديث ...
الوزير : (وهو يعيد نظارته إلى جيبه) تركت القراءة . أخبرانى بما انتهى

- إليه الرأى بينكما ..
- الخطيبة : (خطيبها المحملى فى الخطابات) قل رأيك ...
- الخطيب : (يرفع عينيه عن الخطابات مرتبكاً) أنا ؟!
- الخطيبة : (خطيبها) مالك ؟ لماذا تنظر هكذا إلى الخطابات ؟!
- الخطيب : أنا نظرت إليها ؟!
- الخطيبة : أتخشى أن يعود إلى القراءة ويشغل عن موضوعنا ؟!
- الخطيب : (بسرعة) نعم .. هو ذاك .. (يمد يده نحو الخطابات) اسمح لى يا باشا .. أضعها فوق ذلك المكتب .. سأذهب بها بعيداً .. هناك .. هاتها ... هاتها .
- الوزير : (يضع يده فوق الخطابات) لا .. دعها واطمئن . إنى معكما الآن بكل فكرى وقلبى . وهل عندى موضوع أهم من موضوعكما . تكلموا إنى مصغ !
- الخطيب : لن أطمئن حتى آخذ هذه الخطابات .. بعيداً .. بعيداً عن أنظارك يا باشا ! . (يمد يده محاولاً أخذ الخطابات)
- الوزير : (يسبقه إلى الخطابات) انتظر سأريحك . سأضعها فى جيبى .. لأقرأها فيما بعد .. عندما آوى إلى حجرة نومى ... (يدرس الخطابات فى جيب جاكته ...) هداً بالك الآن ؟ هيا تكلم .. وقل رأيك .
- الخطيب : (ناظراً فى يأس إلى جيب الوزير) رأى ؟!
- الخطيبة : نعم . رأيك الذى أبديته لى منذ قليل ..
- الخطيب : (وهو يختلس النظر يائساً إلى جيب جاكته الوزير التى فيها الخطابات) رأى أن كل شىء انتهى ! .
- الوزير : انتهى ؟!
- الخطيب : (مستدركا) على خير ... على بركة الله ! ..

- الوزير : والموعد ؟!
- الخطيب : يوم الخميس القادم إن شاء الله ..
- الوزير : سوف يكون يوما مشهودا ... أرى فيه وجوها تنكرت لي
بسرعة البرق ... إن هذه الساعات الأربع والعشرين التي مرت
ما بين استقالتى وعودتى للحكم قد أرتنى عجائب وغرائب من
طباع الناس ... حتى مدير مكتبى ... مدير مكتبى الذى
شرعت فى ترقية ترقية استثنائية قد رفض توديعى ودخول
منزلى . ووصف عهدى ، كما بلغنى بالعهد البغيض ! ..
- الخطيب : قصر نظرى يا معالى الباشا ... قصر نظرى ! ..
- الخطيبة : وماذا تنوى يا بابا أن تفعل بمثل هذا الموظف ؟!
- الوزير : مدير مكتبى ؟! .. سوف تسمعون بما أنا صانع به وبأمثاله من
الزائفين الذين يرتدون ثياب المخلصين ! ..
- الخطيب : (وهو ينظر إلى جيب جاكته الوزير) لعنة الله على الذبذبة
والمذبذبين !
- (يدخل الخادم يحمل صينية القهوة ويتقدم نحو الخطيب)
- الخطيبة : (وهى تدلل كلبها الصغير) بوى هذا الصغير لم يتغير وفاؤه فى
الأيام السود ولا الأيام البيض ! ..
- الخطيب : (للخادم المقبل عليه بالقهوة) معالى الباشا أولا !
- الوزير : لا .. الضيف أولا ! ..
- الخطيب : (يتناول فنجانا وينفض به إلى الوزير) لا يمكن ... مستحيل
أتناول القهوة قبل معاليك ...
- الوزير : أستغفر الله !
- (الخطيب يتعمد إسقاط الفنجان على جاكته الوزير ...)
- الخطيب : (متظاهرا بالألم) يا للكارثة ! ... يا لخيتتى وسوء فعلتى ! ..

- كيف أعبر عن أسفى يا معالى الوزير ؟ ..
- الوزير : لاتزعج .. هذا شىء بسيط ! ...
- الخطيب : اخلع « الجاكتة » يا باشا .. وأنا أتولى تنظيفها بنفسى ..
- الخطيبة : (تطلق كلبها فى الخارج وتصيح) وأنا .. ما وظيفتى ؟ .
- الخطيب : (وهو يحاول أن يخلع الجاكتة عن الوزير) أقسم ما من أحد
- يمس هذه « الجاكتة » غيرى ! ... أنا الذى أصلح ما
- أفسدت ... دعوها لى ... دعوها لى .
- الوزير : (يبعد عنه يد الخطيب برفق) مهلا .. مهلا .. لا أنت ولا
- خطيبتك ... (يشير إلى الخادم) خذ « الجاكتة » إلى محل
- التنظيف والمكوى ... وأحضر لى « الروب » من
- حجرتى ! .. (يخلع الجاكتة ويسلمها إلى الخادم) هل هناك
- أبسط من هذا الحل ؟! ...
- (الخادم يمشى بالجاكتة ... وأنظار الخطيب تمشى خلفها ...
- ثم يتحرك خلف الجاكتة بدون وعى ...)
- الخطيبة : (خطيبها) إلى أين ؟ .. إلى أين ؟ ..
- الخطيب : (يقف مرتبكاً) الجيب ... ما فى الجيب ... الجيوب ! .
- الوزير : صدقت ... هات « الجاكتة » يا ... (الخادم يعود بالجاكتة
- إلى الوزير فيخرج ما فى جيوبها ثم يشير إليه بالذهاب بها ...)
- الخطيب : (يمد يده إلى محتويات الجيوب فى يد الباشا) ناولنى هذه
- الأشياء يا معالى الباشا .. حتى لاتعب يديك ! .
- الوزير : ولماذا أتعب بها يديك أنت (يلتفت إلى ابنته) خذها أنت
- وضعها فى « درج » المكتب ... وأغلقى عليها ... هاك
- المفتاح ! . (يخرج من جيب « بنطلونه » سلسلة بها بضعة
- مفاتيح صغيرة ...)

- الخطيبة : (تتناول من أيها المحتويات وبينها الخطابات وسلسلة المفاتيح وتنتجه إلى حجرة المكتب وهي تنادى كلبها) بوى .
بوى ! ...
- (الخطيب يتبع بنظراته الحائرة الخطابات في يد الخطيبة المتجهة إلى حجرة المكتب .. ويمشى خلفها بلا وعى ...)
- الوزير : (للخطيب) إلى أين ؟ .. إلى أين ؟ ..
الخطيب : إنها تناديني ...
الوزير : إنها تنادى « بوى » .
الخطيب : ربما كنت أنا « بوى » ..
- الوزير : (ضاحكا) لا .. تعال .. تعال اجلس . إنها لا تقصدهك أنت .. سوف تطلق عليك اسما من أسماء التدليل . فيما بعد .. ولكنه لن يكون « بوى » على كل حال ..
- الخطيب : (وهو يجلس يائسا فى مقعده) هذا من سوء حظى ! .
الخطيبة : (من الداخل) ما الذى أضحكك يا بابا ؟ ..
الوزير : خطيبك يقول لك ! ... (يعطس) ...
الخطيبة : (تظهر وهي تلعب بسلسلة المفاتيح) أنت يا بابا الذى عطست ؟
- الوزير : نعم ...
الخطيبة : سيصيبك برد من تخفيف ثيابك ...
الوزير : (ينهض) حقا يحسن أن ألبس ثيابا كاملة .. انتظرونى .. سأعود بعد لحظة ! ... (يخرج مسرعا ..)
- الخطيبة : (لخطيبها) ماذا كنتا تقولان فى غيبتى ؟ ..
الخطيب : (ناظرا إلى سلسلة المفاتيح فى يدها) هذه السلسلة من الفضة ؟ ..

- الخطيبة : لا .. إنها عادية . من المعدن ..
- الخطيب : (يمد يده إليها) أرينى .. أرينى ..
- الخطيبة : ماذا ترى فيها يثير الاهتمام ؟ ..
- الخطيب : شكلها ... شكل المفاتيح ..
- الخطيبة : مفاتيح عادية جداً .
- الخطيب : إنها متشابهة فيما بينها ... أهي كلها « لأدراج » المكتب ؟ ..
- الخطيبة : نعم ... كل « درج » له مفتاحه ...
- الخطيب : وكيف تستطيعين التمييز بين المفاتيح ؟ ..
- الخطيبة : أهو أمر صعب إلى هذه الدرجة ؟ ! ..
- الخطيب : يبدو لى أن من الصعب استخراج مفتاح كل « درج » بمجرد النظر .
- الخطيبة : هذا شيء سهل . يكفي أن تنظر إلى سن كل مفتاح .. إن الأسنان فيما بينها تختلف ...
- الخطيب : حقيقة .. ولكن كيف تعرفين أن هذا الدرج بالذات له مفتاحه بهذه الأسنان بالذات ؟ .
- الخطيبة : مدهش ! .
- الخطيب : ما هو المدهش !
- الخطيبة : هذا الموضوع الذى نتحدث فيه . إنه فى غاية الشاعرية ! .. ألا تلاحظ ؟ .. منذ وجد الزواج .. وكل خطيب وخطيبة ، إذا اجتمعا فى خلوة ، تحدثا فى القمر وفى النسيم وفى الفراق وفى اللقاء .. ولكن .. قلما خطر لواحد منهما أن يتحدث فى الأدراج والمفاتيح ..
- الخطيب : (يقيق) آه .. لا مؤاخذة ! ..
- الخطيبة : لعل هذا الموضوع له عندك أصل أو مناسبة ...

- الخطيب : لا .. لا .. أبداً . لا يوجد أصل ولا مناسبة ... المسألة مجرد ..
الخطيبة : مجرد ماذا ؟
الخطيب : مجرد .. إعجاب بكائك ...
الخطيبة : ذكائى ؟ !
الخطيب : نعم ... لقد لفت نظرى الآن منك أنك لم تستغرقى وقتاً طويلاً
وأنت تضعين الخطابات ... أقصد محتويات جاكته الباشا ...
فى درج المكتب ... وفتحت الدرج وأغلقتة بالمفتاح ... مع أن
المفاتيح فى السلسلة متشابهة . هذا طبعاً يدل على الذكاء ..
الخطيبة : متشكرة ..
الخطيب : العفو ... أنا مثلاً لو كنت فى موضعك لكنت حرت وتهت بين
الأدراج والمفاتيح .. وإذا لم تصدقنى فلنجرّب .. هلمى امتحنى
درجة ذكائى .
الخطيبة : إنى واثقة أنك ستنجح ..
الخطيب : من يدرى ... عند الامتحان يكرم المرء أو يهان ...
الخطيبة : كيف تريد منى أن أمتحنك ؟
الخطيب : المسألة بسيطة .. أرينى بسرعة مفتاح الدرج الذى وضعت فيه
الخطابات ... أقصد المحتويات ... وقولى لى : اذهب وافتحه
بمفردك .
الخطيبة : إنك ستفتحه طبعاً .
الخطيب : أبداً ..
الخطيبة : فلنجرّب ..
الخطيب : نعم فلنجرّب .
الخطيبة : (بسرعة) هذا هو المفتاح ..
الخطيب : ليس بهذه السرعة .. إنى لم أر شيئاً . مرة أخرى من فضلك .

- الخطيبة : (ضاحكة وهي تشير إلى مفتاح من بين مفاتيح السلسلة)
التفت جيدا هذه المرة ... هذا هو المفتاح ..
- الخطيب : (يسرع ويقبض عليه) هاتى ...
- الخطيبة : (تتركه له) خذ واذهب وافتح فى طرفة عين مثلما فعلت
أنا ! ..
- الخطيب : (ينهض بالمفتاح مسرعا وقد جاءه الفرج) بقى أن أعرف
الدرج ! ..
- الخطيبة : سأعد من واحد إلى عشرة ..
- الخطيب : إلى عشرين من فضلك ..
- الخطيبة : (فى تسامح) إلى عشرين ..
- الخطيب : (وهو متجه بالمفتاح إلى حجرة المكتب) يا بركة الله !
- الخطيبة : وعند العشرين أهرع أنا إلى المكتب لأرى النتيجة ... (تعد
بصوت مرتفع) واحد ... اثنين . ثلاثة ...
- الخطيب : (على عتبة حجرة المكتب) انتظرى .. وحياة عينيك ...
« غششيني » قليلا وإلا سقطت سقوطا شنيعا .. قولى لى أين
الدرج . ؟
- الخطيبة : (ضاحكة) وماذا بقى إذن من مواد الامتحان ؟ .
- الخطيب : (متوسلا) قولى لى ... الله لا يفضحك ! ...
- الخطيبة : (ضاحكة متسائحة) الدرج الذى فى الصدر ! ... سأستأنف
العد .. أربعة ... خمسة .
- الخطيب : لا . لا .. أرجوك .. عدى من الأول ... (ثم يختفى سريعا فى
حجرة المكتب) .
- الخطيبة : أمرك . واحد ... اثنين . ثلاثة . أربعة . خمسة . ستة .
سبعة ..

- الخطيب : (صائحا من الداخل) اسكت يا بوى .. ! . ابعد يا بوى !
(يسمع نباح الكلب من الداخل) .
- الخطيبة : (ضاحكة ومستمرة في العد) ثمانية . تسعة . عشرة .
- الخطيب : (صائحا) حوشى بوى ... يا للكارثة . الكلب خطف
السلسلة . خطف المفاتيح .
- الخطيبة : (ناهضة بسرعة) بوى ! ..
- الخطيب : (يظهر مهرولا) قفز بالمفاتيح من النافذة إلى الحديقة .
- الخطيبة : وأنت ... إلى أين تجرى ؟ ..
- الخطيب : خلفه ... أمسك به . أحضر المفاتيح . لم أفتح بعد .. يا للحظ
العائر يا لليوم الشئوم ! .. (يهرول من الباب المؤدى إلى
الحديقة)
- الخطيبة : (تتبعه بأنظارها عند الباب ضاحكة) لن تلحق به . ارجع ..
خير لك ...
- الخطيب : (فى الحديقة يمصص بفمه للكلب) بوى .. تعال ... تعال يا
حبيبى ... أرجوك . أنا فى جاهلك . كن لطيفا .. أرجع
المفاتيح ! ... (يخفت صوته كمن ابتعد خلف الكلب ...)
(الخطيبة بالباب تضحك .. وعندئذ يسمع فى الخارج قرب
الباب جلبة وهمهمة أصوات مقتربة ... ثم صوت مدير
المكتب يهتف)
- مدير المكتب : (فى الخارج) وزيرنا المحبوب !
- أصوات : (فى الخارج تردد هاتفة) فليحى وزيرنا المحبوب !
- مدير المكتب : (فى الخارج لمن معه) لا تدخلوا لا ترعجوا الباشا . انتظروا أنتم
حتى يخرج لكم .. (يظهر بالباب وتحت إبطه مظروف)
معالى الوزير فى حجرة المكتب ؟ ..

الخطيبة : إنه يلبس ... لحظة واحدة ! . (تخرج مسرعة من أحد الأبواب الجانبية ...)

(مدير المكتب يتقدم في البهو ... ويضع مظروفه على المنضدة ويهم بالجلوس ... وعندئذ يظهر « الخطيب » داخلاً من الحديقة يمسح عرقه بمنديلته ...)

الخطيب : أف ! .. اختفى الكلب ! ..

مدير المكتب : (يلتفت نحوه) الكلب ؟ ...

الخطيب : (يرى مدير المكتب) أنت ؟ .. وقعتى « هباب » ...

(يهمس في أذنه) كلام في شرك .. الخطاب الملعون في هذا

المكتب .. في درج الصدر .. ومكثت ساعة أحاول الحصول

عليه بكافة الوسائل .. وأخيراً نجحت في أخذ المفتاح . وما

كدت أدنو به من الدرج ... حتى خطفه ذلك الكلب

الأزعر ... إني في أخرج مركز . إني منكوب .. لن أعرف طعم

الراحة ما دام الخطاب هناك ... لم أحصل عليه قبل أن يقرأه ..

مدير المكتب : هدىء بالك ... اعتمد على ...

الخطيب : أعتمد عليك أنت . الآن !؟ ... أنت أيضاً وقعتك ثقيلة ...

سبحان المنجي ! .

مدير المكتب : (يلتفت إلى الباب الجانبى) صه ! .. معالى الوزير ...

الوزير : (يظهر ويقول بنبرة تهكم) أهلاً بمدير مكتبنا الخالص !

مدير المكتب : دائماً يا معالى الوزير ...

الوزير : طبعاً ... دائماً وفي كل وقت . حتى بعد الاستقالة .

مدير المكتب : هل عند معاليك شك في إخلاصى ؟ ! ..

الوزير : (متهمكاً) أبداً ... حاشا لله ! . وهل هناك إخلاص أشد من

أن تدخل بيتى بعد استقالتى ... وتودعننى ذلك السوداع

(بين يوم وليلة)

المؤثر ... دون أن تتصل أو تخاف أو تهرب ١٩
 مدير المكتب : أودع معاليك ؟ لماذا ؟ ... لا يا معالي الوزير ... إني لم أرد أن
 أجيتك مودعاً .. لأني كنت عميق الإيمان بك وبعودتك في
 الوزارة الجديدة . يودعك اليأس .. أما أنا فلم أياس ... كنت
 على يقين أن كفاءتك العظيمة ومواهبك النادرة لا يمكن أن
 توضع على الرف .

الوزير : أهذا حقاً كان تفكيرك ١٩ ..
 مدير المكتب : تفكيرى وإيمانى وعقيدتى يا معالي الوزير ... وإنه من بواعث
 فخرى أن إيمانى بك لم يتزعزع فى يوم من الأيام ...

الوزير : وعهدى ألم يكن بغيبضا ١٩ ..
 مدير المكتب : طبعاً ... كان بغيبضاً ... عند خصومك وحسادك ... وأولئك
 الجاحدين الذين لم يروا أعمالك ومشروعاتك
 وإصلاحاتك ! ..

الوزير : كانوا هم إذن الذين يقولون ذلك ١١ ..
 مدير المكتب : بالتأكيد ... كل الأفذاذ والمصلحين يسمعون أحيانا ما
 يكرهون ويبلغهم من تقولات الناس ما لا يحبون ... ويشهد الله
 كم كان يؤذى سمعى أن أسمع فيك بعض هذا الجحود ... ولكنى
 كنت أعزى نفسى دائماً بقولى : معاليه من العباقرة العظماء ..
 وتلك ضريبة العبقرية والعظمة ...

الوزير : إني على كل حال لم أصنع لك إلا كل خير ..
 مدير المكتب : وهل من المعقول أن أنسى ... كل ترقية لى كانت على يدي
 معاليك ! .. إن أقل الواجب ، أضعف الإيمان أن أكون على
 الأقل من أشد المتحمسين لك وأخلص المتصلين بك ! ...
 الوزير : يجب أن يكون الأمر كذلك ...

مدير المكتب : أقسم لمعاليك أن هذا هو الواقع .. وإن كره الواشون والحساد
والتمامون ... إن إخلاصى لمعاليك شىء فى دمنى ... وإيمانى
بشخصيتك الممتازة وعقليتك الجبارة دين راسخ فى قلبى ..
الوزير : أرجو أن تكون دائما مدير مكتبى الذى أضع فيه كامل
ثقتى !...

مدير المكتب : ثقة معاليك الغالية كل زادى ... وكل ثروتى ... والله يشهد فى
سمائه أنى بهذه الثقة جدير ..

الوزير : عندى مجلس وزراء بعد نصف ساعة ..
مدير المكتب : (يتناول المطروف) جهزت لمعاليك كل الأوراق اللازمة .
الخطيبة : (تدخل حاملة بونى والمفاتيح) ها هو بونى جاءنى بنفسه يحمل
سلسلة المفاتيح .

الخطيب : (بدون وعى) هاتى ... أرجوك ...
الوزير : (لابتته) أعطى المفاتيح لمدير مكتبى ليعرض على ما فيه من يريد
وأوراق ... كالعادة .

مدير المكتب : (وهو يتسلم المفاتيح) شكراً .. تسمح معاليك لحظة ...
الوزير : ماذا ؟ ...

مدير المكتب : (يقترب من الباب ويهتف) فليحى وزيرنا المحبوب ! ...
الأصوات : (فى الخارج) فليحى وزيرنا المحبوب ! ...
الوزير : ماذا ؟ ...

مدير المكتب : موظفو مكتبى جاءوا معى يظهرون ابتهاجهم بعودة معاليك
للوزارة ...

الوزير : (باسمها) أنت الذى نظمت هذه المظاهرة !! ..

(يتجه الوزير نحو الباب وخلفه ابتته ...)

مدير المكتب : هذا شعور طبيعى قد تفجر .. ومنذا الذى ينسى إحسان معاليك

— ٣٦ —

لموظفى مكتبك ؟

الوزير : لاتنس أن تذكرنى بقرار ترقيتك الاستثنائية ! ...

(يخرج إلى عتبة الباب ويحيى الهاتفين بيديه ... وخلفه ابنته
تشاهد هي وكلها بوى .. بينما يمسك الخطيب بذراع مدير
المكتب ويحاول جذبه إلى ناحية حجرة المكتب ...)

الخطيب : (هامساً لمدير المكتب) المفتاح فى يدك .. أنا فى جاهك ...
أنقذنى ! ...

مدير المكتب : (هامساً) هدىء بالك ! .. قلت لك اعتمد على .. ولكنك لم
تصدق ...

الخطيب : صدقت .. وآمنت .. كنت مغفلاً ولم أفهم .

مدير المكتب : تفهم ماذا ؟ ...

الخطيب : أن صاحب السلطة بسهولة يصدق الملق ... وبسرعة ينسى
النفاق ! ..

(ستار)

من وحك الطبائع البشرية

أريد أن أقتل

قصة تمثيلية في فصل واحد

(بهو استقبال صغير في «شقة» يقطنها زوجان وحيدان .. كل شيء فيها يتم على البساطة والهدوء والاطمئنان .. وفي وسط البهو منصدة عليها حقيية صغيرة مفتوحة لمدوب شركة التأمين على الحياة وهو يقدم إلى الزوج عقدا . ويناوله قلما من الأبنوس)

مندوب التأمين : وقع بإمضاءك هنا .. بقلمى الأبنوس .. فهو يجلب السعد ! ..

الزوج : (وهو يلقي على العقد نظرة أخيرة) إذا مت فإن زوجتى تقبض من الشركة ألفى جنيه ؟ .

المدوب : في الحال بمجرد الوفاة .

الزوج : (وهو يتناول منه القلم) إليك إمضائى ...

(يوقع على العقد ثم يضع القلم فوق المنصدة ويسلم العقد للمندوب ...)

المدوب : (وهو يتناول العقد) مبروك ! ...

الزوج : على وفائى ؟ .

المدوب : على إتمام « البوليصه » .

الزوج : أهم شيء عندى هو أن زوجتى لا تعلم بخبر هذا التأمين وأنا على قيد الحياة .. إنها رقيقة الشعور شديدة الإخلاص إلى حد يؤثر أحيانا في صحتها . ما من أمر يزعجها في النهار ويؤرقها في الليل إلا فكرة موتى قبلها .. فهى لا تطيق أن تتصور هذا .

يحدث يوما .. وإذا مر شبح بخاطرهما صاحتا : « اللهم

اجعل يومى قبل يومه ! . » ولكنى أنا أشد منها انزعاجا ، ولا

أسأل الله شيئا إلا أن يجعل يومى قبل يومها ! ..

- المندوب : ما شاء الله ! ... إخلاص متبادل ...
- الزوج : لذلك أخشى أن يبلغها خبر هذا التأمين على حياتي من أجلها فتتشاءم ، ويتملكها الفزع ! .
- المندوب : اطمئن ! . لن يبلغها شيء من جهتنا ... المحافظة على الأسرار من أهم واجباتنا واختصاصاتنا .
- الزوج : من حسن الحظ أنها الآن فوق .. عند الجيران ... تعود فتاة مريضة ولكن .. إذا شئت المصادفة السيئة أن تلقاك هنا أو تفاجئك .. فحذار أن تخبرها أنك مندوب شركة التأمين على الحياة ! ..
- المندوب : لا تخف ! ... اعتمد على لباقتي ...
- الزوج : إني معتمد على الله وعليك وعلى الشركة أن تعيش أرملتي في سعة وبجوحة وعزة وراحة ..
- المندوب : لكن في العقد شرطاً : إذا توفيت أرملتك قبلك ، أقصد زوجتك .. فإن كل ما دفعته أنت من أقساط ، وإن بلغ المئات ، يضيع عليك .
- الزوج : (فزعاً) صه ! .. صه ! . تتوفى قبلي .. تموت قبلي .. وما فائدة حياتي بعدها .. وما قيمة مالي ... ولماذا أطلبكم بشيء .. وأفكر في شيء . أجننت أيها المجنون ... أيها المنسوب ...
- المنسوب : عفوا .. معذرة ... إني ما قصدت .. إلا مجرد الإشارة إلى نص من نصوص ...
- الزوج : كفى ... لا أريد أن تقع عيني على مثل هذا النص المؤلم .
- المنسوب : خانتني اللباقة ... ساعني ... سأحتاط منذ الآن .. كل ما أرجوه أن ترضى .. وأن يطيل الله بقاء السن ..

- الزوج : وأن يتوفاني قبلها ...
المندوب : وأن يتوفاك قبلها ... وتقبض هي مبلغ التأمين ، في خير
وسرور .
(يحمل الحقيبة الصغيرة ويتأهب للانصراف ...)
الزوج : تنصرف ... ولم أقدم إليك القهوة ... لا تؤاخذنا ...
خادمنا اليوم في إجازة .. وأنا والست وحدثنا في
« الشقة » ... وهي كما قلت الآن لك فوق عند الجيران ..
المندوب : لا داعي للكلفة ... إني سعيد أن أكون دائما في خدمتك ...
الزوج : تذكر دائما .. زوجتي لا يجب أن تعلم ...
المندوب : لن تعلم ... إلى اللقاء ..
(في هذه اللحظة يدفع باب الشقة المفتوح وتظهر الزوجة
نازلة من عند الجيران ... فترى المندوب متجها إلى الباب
وفي يده الحقيبة الصغيرة ...)
الزوجة : (للمندوب بلهجة سريعة) الدكتور .. حضرتك
الدكتور ؟ .
المندوب : (مفاجأ) أنا ؟ .
الزوج : (للمندوب بسرعة) زوجتي .. زوجتي ..
المندوب : الست ؟ .. آه ... تشرفنا يا هانم .
الزوجة : وحضرتك طبعاً ...
الزوج : (بارتباك) نعم ... حضرته طبعاً ...
الزوجة : الدكتور ..
المندوب : (ينظر إلى الحقيبة الصغيرة في يده) دكتور ؟
الزوج : (يغمز بعينه للمندوب) نعم ... دكتور .. ولكن
اطمئنى ... اطمئنى .. إني في أتم صحة .

الزوجة : الدكتور طبعا غلط في الطابق .. المريضة فوق عند الجيران ..
لقد طلبوك بالتليفون منذ نصف ساعة ...

الزوج : اصعد يا دكتور ... اصعد ...

المندوب : سأصعد .. حالا ..

(يتجه بسرعة إلى الباب كمن يريد أن ينجو بنفسه من الموقف)

الزوجة : انتظر يا دكتور .. حذار أن تقول للمريضة إنك طبيب جاء لعلاجها .. فهي لا تعتقد أنها مصابة بمرض ... وهي تتكلم بكل هدوء ، وكل منطق .. وقد ترفض مقابلتك إذا علمت أنك طبيب . فيحسن أن تقول لها ... إنك .. أى شيء آخر .. قل لها مثلاً إنك ..

المندوب : إلى مندوب شركة تأمين ... جاء يؤمن على حياتها ...

الزوج : (للمندوب) ألم تجد شيئاً آخر غير هذا ..

الزوجة : لا بأس ... لا بأس ... فليتحل أى صفة يراها .. المهم أن يخفى عنها أنه دكتور ...

المندوب : (بسرعة وهو منصرف) لن تعلم .. لن تعلم ...

الزوجة : انتظر يا دكتور .. انتظر .. إنك ستجدها الآن منفردة في

حجرتها مستغرقة في تأملاتها ... فهي كثيرة العزلة .. تعيش وحدها مع أمها .. لا تخرج كثيراً ، وتقرأ طويلاً .. وقلما أراها عندما أصعد زائرة ... ولكنى أرى أمها المسكينة التي تحدثني عن أمرها العجيب ودموعها تسيل . وما من خادمة أو خادم يطيل المقام عندها خوفاً على حياته ..

المندوب : خوفاً على حياته ؟

الزوجة : نعم يا دكتور .. لقد أصبحت هذه الفتاة خطيرة .. وإن كان

ظاهرها لا يدل على ذلك .. بالعكس .. إنك سترها حسناء
ودیعة دمتة مؤدبة مثقفة ، ولكنها ما تكاد تنفرد بخادم في
المطبخ وفي يدها سكين .. حتى تلمع عيناها ببريق غريب ..
وتهم بطعنه .. لولا صياحه وفراره وظهور الأم ..

: (في خوف) يا مغيث ! ..

المنذوب

: ماذا تسمى هذه الحالة يا دكتور عندكم في الطب ؟

الزوجة

: (مرتبكا) هذه الحالة .. تسمى .. تسمى ..

المنذوب

: (بسرعة) تسمى من غير شك اختلالا عصبيا أو على الأقل
اعتلالا نفسانيا ..

الزوج

: (لزوجها) دع الدكتور يتكلم ... إنه أدري بمهنته . ما
رأيتك يا دكتور ؟ ..

الزوجة

: رأيي أن هذا شيء مخيف جداً ..

المنذوب

: بماذا تشخصه .. بماذا تعلله .. بماذا تعالجه ؟ .

الزوجة

: (بارتباك) من رأيي .. أن المستحضرات الطبية تعالج الآن
كل شيء .. ومخازن الأدوية مملوءة بالعقاقير .. وكل يوم
يظهر اختراع جديد .. والأمراض في انقراض .. والأعمار
تضاعف طولها في المتوسط .. حتى أصبحت شركات
التأمين ...

المنذوب

: (همساً) مالنا ومال التأمين !؟ .

الزوج

: (للمنذوب) قصد الدكتور أنه يوجد مستحضر طبي
لعلاج هذه الحالة !؟

الزوجة

: (لزوجته) أتطلبين من الدكتور أن يتكلم عن حالة لم
يفحصها بعد .

الزوج

: هذا صحيح .. لا أستطيع الكلام عن حالة لم أفحصها بعد ..

المنذوب

- الزوجة : عفواً يا دكتور .. اعذرني .. إن الفضول دفعني إلى كل هذه الأسئلة بل شيئاً آخر أكثر من مجرد الفضول .. هو شفقتي على الأم المسكينة .. لا ينبغي أن أحجزك هنا أكثر من ذلك .. إنهم فوق في انتظارك .. وأرجو أن يتم لهذه الفتاة الشفاء على يديك .
- المندوب : شكراً .. ليلتكم سعيدة ! .. (يتحرك للانصراف) .
- الزوجة : انتظري يا دكتور .. خذ حذرک من الفتاة .. لقد أخبرتني أمها منذ لحظة أنها لمحت في حجرها اليوم شيئاً يشبه المسدس .
- المندوب : مسدس ؟ !
- الزوجة : نعم .. لقد خرجت الفتاة في الصباح كما قالت لي أمها .. ولم تعد إلا في الظهر .. ولا تدري الأم من أين جاءت ابنتها بهذا المسدس .. ولماذا جاءت به ؟
- المندوب : (مسرعاً بالانصراف) سلام عليكم ! ..
- الزوجة : انتظري لحظة يا دكتور . هل تعرف أين هي شقة هؤلاء الجيران ؟
- المندوب : (باندفاع) لا ...
- الزوجة : تعال معي .. أنا أريك الشقة .. وأصعد بك إلى هناك .
- المندوب : (يفرزع) لا .. لا .. أرجوك .. أنا أعرفها . أعرفها .
- سأسأل عنها ... لا داعي لتعب حضرتك .
- الزوج : (يبادر إلى إنقاذه فيمسك بزوجه) نعم .. لا داعي لتعبك أنت يا عزيزتي .. دعي الدكتور يذهب بمفرده .. ابقی معي هنا .. أريد أن أحدثك بشيء ..
- الزوجة : (للمنسوب) الشقة يا دكتور فوقنا مباشرة .. على اليمين .
- المندوب : (وهو يخرج مهرولاً) سأنزل حالا .. أقصد ..

- سأصعد .. أشكركم ! ..
 (يخرج بسرعة ...)
 الزوجة : (توجه إلى زوجها) والآن .. حدثني .
 الزوج : بماذا ؟ ..
 الزوجة : ألم تقل إنك تريد أن تحدثني بشيء ؟ .
 الزوج : آه .. نسيت .. نسيت ما كنت أريد أن أقول لك .
 الزوجة : أهو شيء مهم ؟ ..
 الزوج : لا أذكر .
 الزوجة : أهو شيء يتعلق بك ؟
 الزوج : لا .
 الزوجة : يتعلق بي ؟
 الزوج : لا .
 الزوجة : إذن لا تفكروا لاهتم .. كل ما خرج عنا ، نحن الاثنان لا قيمة له .
 الزوج : صدقت يا عزيزتي ... نحن الاثنان .. كل الدنيا .. وكل الكون ... روح في جسدين وحياة في شخصين .. وهذا سر عذابي ! .
 الزوجة : أنت أيضاً يا عزيزي فؤاد ؟ ..
 الزوج : نعم إنني أعيش في خوف دائم من أن يصيبني سوء .. فتفجعي .. ومن أن يصيبك سوء .. فأموت ..
 الزوجة : إذا كان لا بد للسوء من أن يصيب أحدا .. فإنني أفضل دائماً أن أكون لك الفداء .
 الزوج : إنك لن تنقذيني بذلك فأنت تعرفين النتيجة ! .
 الزوجة : حقاً .. هي روح واحدة .. لنا معاً .. لا يمكن لأحدنا أن

- يستقل بها ..
- الزوج : لو كان لنا أطفال يا لطيفة لكنت لك فيهم أرواح أخرى
- وحيات عدة .
- الزوجة : إني لست آسفة ..
- الزوج : ولا أنا بآسف .
- الزوجة : تكفيني هذه الروح الواحدة يا فؤاد ، نتقاسمها معاً .. ولا يستأثر بها واحد منا .. وإذا انطفأت عند أحدنا .
- الزوج : انطفأت في الحال عند الآخر .
- الزوجة : كفى يا فؤاد .. أرجوك .. اترك هذا الموضوع . إني أحس الدور وأشعر بالدنيا تسود في عيني .. اللهم اجعل يومى قبل يومك ! .
- الزوج : لا تسمع منها يا رب ! ..
- الزوجة : لا تقل ذلك .. لا تقل ذلك ! ..
- الزوج : اللهم اجعل يومى أنا قبل يومها ! ..
- الزوجة : لا تسمع منه يا رب ! .
- (تظهر فتاة فى الثامنة عشرة .. رشيقة أنيقة .. آتية متسللة من جهة باب الشقة ..)
- الفتاة : إنه لن يسمع من أحداً كما دون الآخر ! ..
- الزوجة : (مأخوذة) سهام ! .
- الزوج : من هذه ؟ ..
- الزوجة : (بخوف) فتاة الجيران ..
- الزوج : (همساً فى رعدة) المجنونة ! ..
- الفتاة : (تبرز مسدداً من جيبيها) أرجو منكما أن تجلسا هاهنا أمامى ... أحداً كما بجوار الآخر ... وأن تصغيا ملياً إلى ما

أقول ..

(تشير لهما بطرف المسدس إلى الأريكة ... فيجلسان متلاصقين وقد عقد الخوف لسانيهما ...)

الفتاة

: اسمحا لى أولاً أن أجلس على هذا الكرسي أمامكما ..
(تجلس على الكرسي المجاور للمنضدة .. بحيث تكون المنضدة فاصلاً بينها وبين الزوجين ..) .

الفتاة

: وأدنا لى فى أن أشكر الظروف التى شاءت أن يكون بابلكما مفتوحاً . ففتياً لى هذه الفرصة السعيدة ! ..

(الزوجان فى صمت وذهول ..)

الفتاة

: لقد وصل إلى علمى أنكما وحدكما اليوم فى هذه الشقة .. وهذا أيضاً من حسن حظى ! . تعرفان طبعاً الغرض من زيارتى المفاجئة ..

(الزوجان يهزان الشفاها ... دون أن ينبسا بجواب)

الفتاة

: (يهدوء) المسألة فى غاية البساطة : جئت لأقتل ... أقتل أحداً .

الزوجة

. (بصوت مرتجف) سهام ! .. سهام ! ..

الفتاة

. (بأدب) إنى متأسفة .. إنى فى شدة الأسف .. ولكن لا بد من أن أفعل ذلك .

الزوجة

: (بتوسل) سهام ! .

الفتاة

: مضطرة .. رغبة جامحة .. قوة قاهرة تدفعنى إلى أن أقتل شخصاً .

الزوجة

: (بلفظ مرتجف) نحن جيرانك ياسهام .. إنى صديقة والدتك .. إنك مثل أختى الصغرى .. كيف يطاوعك قلبك

- أن تلحقى بنا شرا .
- الفتاة : إني لا أريد أن ألحق بكما شرا .. ولا أفكر في الضرر الذى يصيبكما .. ولكنى أفكر فى خنق هذا الصوت الصارخ فى نفسى : أن أقتل .. أقتل .. أقتل ..
- الزوجة : (برجاء) .. اعقلي يا سهام .. أرجوك .. أرجوك !
- الفتاة : إني أعقل ما أفعل .. إني فى أتم قواى العقلية .
- الزوجة : لو كنت تعقلين ما كنت تقدمين على هذا الفعل الشنيع .
- الزوج : (يغمز زوجته ويهمس) لا تثيرى غضبها ..
- الفتاة : إني أعلم أنه فعل شنيع .. ولكن ما حيلتى ؟ ليس فى استطاعتى أن أمتنع عن فعله . لقد حاولت كثيرا أن أصد نفسى عنه .. لطالما استعنت بإرادتى .. وبحكمتى وقاومت وحاربت . وقامت فى نفسى معارك طويلة .. ولكنى هزمت .. ما من شئ تغلب على هذه الرغبة الجارفة عندى : أن أقتل .. أقتل ..
- الزوج : (بصوت مهزوز) يا آنسة . كلمة ..
- الفتاة : تفضل .
- الزوج : إنك آنسة مهذبة . وكثيراً ما كنت أقابلك فى السلم فأحييك وتحيينى بكل احترام . ألا تذكرين ؟ ..
- الفتاة : وإني لم أزل أحمل لك كل احترام ..
- الزوج : أيرضيك إذن أن ترفعى يدك نحونا بسوء ؟!
- الفتاة : لا يرضينى ذلك بالطبع ولكنى مدفوعة إلى ذلك على الرغم منى .. لا بد أن أقتل الليلة شخصاً .. وإلا جنت . علاجى الوحيد لما أنا فيه من ضيق هو أن أقتل ..
- الزوج : تريدن قتل أى شخص ؟ ..

- الفتاة : نعم ..
- الزوج : لماذا إذن لا تهبطين الشارع وتقتلين أى شخص يصادفك ؟ ..
- الفتاة : فكرت فى ذلك بالفعل .. وكنت فى طريقى إلى تنفيذه .. ولكنى وجدت بابلكما مفتوحاً وتذكرت أنكما وحدكما ..
- الزوجة : يالسوء بختنا ! .
- الفتاة : بل هذا من حسن بختى أنا .. لأن الشخص الذى أقتله فى الشارع سيحدث ضجيجاً يجمع حوله الناس ، فلا أستطيع أن أجنى بهدوء ثمرة هذا الفعل .
- الزوج : أهناك ثمرة تجنيها من مثل هذا الفعل ؟
- الفتاة : بالتأكيد .. لقد ألحفت على نفسى فى السؤال : لماذا تضطرم فيها شهوة القتل هذا الاضطرام ؟ فكان جوابها : إني أريد أن أعرف شعور الإنسان وهو يموت .. وشعور القاتل وهو يحدث الموت ! . وإذا كانت هناك صلة معرفة بين القاتل والمقتول فإن هذا الشعور يتضح ويبرز ويأتى بنتيجة .. لذلك أرى فيكما خير مثال لمطلبى .. هأنذا قد شرحت لكما حالتى باختصار .. كى تعذرانى وتساعدانى . إن شفائى فى يد أحدكما .. إني سأكون شاكرة طول حياتى .. معترفة بالجميل لمن سأقتله منكما .. والآن استعدا .
- (ترفع مسدسها ... فيلتصق الزوجان رعباً ويسد رآن يديهما ...)
- الزوجة : (صائحة) سهام !
- الزوج : (متوسلاً) يا آنسة ! .
- الفتاة : إني لا أريد أن أقتلكما معا .. لأن هذا لا يلزمنى .. بل قد

يفوت غرضى .. ويشئت ذهني . أريد أن أقتل واحداً منكما فقط .. أما الحي منكما فسينفعني أجزل النفع .. لأنني سأقرأ على وجهه من مختلف الشعور ، ما لا يقل في القيمة عما أطلعاه في وجه المقتول .

الزوجة : (بصوت باك) يا سهام .. يا حبيبتى سهام .. إني لم أصنع لك شيئاً . نحن لكم خير الأصدقاء وخير الجيران ... وأنت عندى أعز من كثيرات من قريباتى ... لكم تمنيت أن تكون لى بنت مثلك .. لطالما قلت ذلك لوالدتك .. وامتدحت أدبك وسلوكك ورقتك .. أتفعلين ذلك بنا ؟ ..

الفتاة : بالرغم منى .
الزوج : نحن يا أنسة أبرياء .. تذكرى أنك تريدن سفك دماء بريئة .. نحن لا نحمل لك غير الود ... أتعدين على أناس وادعين طيبين . أبرياء ؟ !

الفتاة : نعم .. أنتم أبرياء .. وهذا عين مطلبى .. لأن رغبتى فى القتل ليس باعثها الانتقام .. وأنتم فى غاية الطيبة والوداعة .. لأنكم لو كنتم أشرارا وأهل سوء ، لحمل باعثى على أنه عقاب .. لا .. لا .. إن فعلى لا باعث له على الإطلاق . ولا ينبغى أن يكون له باعث ... إنه شهوة القتل لذاتها ... مجردة عن أى باعث ..

الزوجة : أأنت قاسية القلب بهذا المقدار ! .

الفتاة : إنك تعرفين أنى لا أطيق سماع مواء قطرة جائعة ! .

الزوجة : حقا يا سهام .. سمعت ذلك من والدتك ... ورأيتك بعينى

تصومين وتصلين ، ويتمزق قلبك رحمة بالطفل البائس ابن

الكناس ، فتصنعين له بيدك ثوبا يكسو عريه .

(بين يوم وليلة)

الزوج : يا آنسة .. لك مثل هذا القلب ، ولا ترحمين زوجين متحايين

وحيدين مثلنا ؟!

الزوجة : ألم تحدثك والدتك عنا يا سهام ؟ . ألم تقل لك إننا أخلص

زوجين ؟!

الفتاة : أعلم ذلك ..

الزوج : وتريدين بعد ذلك أن تهدمي هذه الأسرة الصغيرة ؟ ! ..

الفتاة : إنكما لم تفهما بعد موقفى .. ولم تدركا ما أنا فيه .. اعلمنا

جيداً أن فى أعماق نفسى الآن صوتاً يطغى على رحمتى

وحكمتى وعلى أصوات توسلاتكم وحججكم .. ليس

يهمنى الآن هذا العالم بناسه وجيرانه ورحمته ومنطقه وبراهينه

وثوابه وعقابه وخيره وشره .. لا .. لا .. لا يهمنى كل ذلك

الساعة .. كل ما يهمنى فى هذه اللحظة هو أن أخلق هذا

الصوت الخفى ، الذى لا أدرى من أين هو صاعد ! .. صوتاً

يقول لى : اقتلى .. يجب أن تقتلى ! .. هذا الصوت لا مفر لى

من أن أطيعه ..

الزوج : هذا الصوت .. لم يقل لك لماذا يأمرك بذلك ؟ .. .

الفتاة : لا .. إنه لا يفسر ولا يعلل .. إنه يأمر . ما من شك أن هناك

أناسا غيرى سمعوا فى حياتهم أصواتاً تأمرهم بفعل أشياء . فلم

يجدوا بداً من فعلها .. ولعل من بين تلك الأشياء ما كان له

معنى .. أو ما كان له غرض عظيم .. فغيروا بذلك مصير

البشر .. كما أن من بين تلك الأشياء ما ليس له معنى على

الإطلاق .. فحار الناس فى تأويله .. صوتى هو من هذا النوع

الآخر . إنه يأمرنى بشيء ، حرت فى معناه ومغزاه : شيء لا

خير فيه .. ولكن لا قبل لى بالامتناع عنه .. لا بد أن أحققه

وأؤديه ، لأستريح .. هل فهمتا ؟ وأدركتما حقيقة موقفى ؟ . الآن اسمحالى أن أطلق النار ..
(ترفع المسدس .. فيتراجع الزوجان رعباً .. ويرفعان الأذرع توسلاً ...)

: (باكية) ستفعلين . ستفعلين .

الزوجة

: الوقت أزف .. يجب أن أكف عن الكلام ... وأن أعمل ..
وأسرع فى العمل .

الفتاة

: (مرتجفا متوسلاً) لحظة يا آنسة . لحظة .. لحظة .

الزوج

: ثقا أنه لا فائدة من المناقشة ومن التوسل ومن البكاء ..
سأطلق الرصاص على أحداً .. هذا أمر مفروغ منه ..
أيكما ؟ . أيكما ؟

الفتاة

: (برعب) أينا ؟؟

الزوجة

: نعم . أيكما ... على أيكما أطلق .. بسرعة .. يجب أن يقع
الاختيار على أحداً .

الفتاة

: (فى رعدة) أستختارين ؟ .

الزوج

: (وهى تتأمل كل واحد منهما) نعم . يجب أن أختار واحداً
منكما وهذا ليس بالأمر السهل .. كيف أرجع بلا
مرجح ... وأنتا هكذا جامدان متلاصقان ... ما من واحد
حاول الحرب أو هم بحركة ، حتى ألاحقه برصاصى ..
وأطرح عن نفسى مشقة التخير إنكما تضعان على كاهلى عبثاً
ثقيلاً .. من أختار منكما ؟ الزوجة ؟ أو الزوج ؟

الفتاة

: (تشهق) أسنموت الآن .. حقاً .. سنموت . اللهم
الرحمة . الرحمة الرحمة ..

الزوجة

: أنموت هكذا يا رب بهذه السرعة ؟! أهو إذن الموت ؟

الزوج

- ارحمينا أيتها الأنسة .. الرحمة ؟
- الفتاة : (كالتحاطبة نفسها) كلما ذكرتما الموت ، تأججت شهوتي لإحداثه . أزف الوقت (صائحة) أسمع الصوت .. يجب أن أقتل . أيكما .. أيكما .. ؟ يجب أن أقرر الآن .. يجب أن أختار من ؟ من ؟ .
- (ترسل نظرات حائرة بين الزوج والزوجة ... بينما يتبعان هما نظراتهما واجفين والشفاه منهما تهتز فرقا ...)
- الفتاة : (صائحة في تصميم) أنت أيتها الزوجة .. تقدمي ! ..
- الزوجة : (فزعة منهارة) أنا !! ... لا .. لا .. لا .
- الفتاة : لا تريد أن تموتى ؟
- الزوجة : لا . لا أريد .. أن أموت ..
- الفتاة : إذن فليقدم زوجك بدلا منك . أيها الزوج .. تقدم !
- الزوج : (فزعا) أنا ؟ .. لا .. لا يا آنسة . لا ... أتوسل إليك دعيني أعش ..
- الفتاة : لا تريد أن تموت ؟ .
- الزوج : لا .. لا أريد .. أرجوك .
- الفتاة : هذا مستحيل . هذا الوضع مستحيل . لا بد لأحدهما أن يموت . لا بد أن أطلق الرصاص على أحد . على من ؟ . على من ؟ . لا توقعاني في هذه الحيرة .. ساعداني . عاوناني . سأطلق المسدس على أحدهما في الحال . كيفما اتفق . (ترفع المسدس في يدها) فليكن عليك أنت أيتها الزوجة ! ..
- الزوجة : (صائحة برعب) لا لا يا سهام .. لا تطلقى على أنا ..
- يجب أن أعيش . يجب أن أعيش لأنى .. لأنى .. حامل .
- الفتاة : حامل ؟ لماذا لم تقول ذلك من قبل . حمدا لله الذى نجاك فى الوقت

المناسب .. حقا يجب أن تعيشي أنت .. لطفلك .. أى جرم
كنت ارتكبه لو أنى قتلتك وفي بطنك جنين ! ستعيشين ..
وليتقدم زوجك ! ..

الزوج : (مرتجفا من الهلع) .. يا آنسة .. لا تقتلينى أنا .. لا
تقتلينى ! .

الفتاة : (وهى تصوب المسدس نحوه) لا مفر من قتلك أنت .. لم
يبق غيرك .. وقد رجحت كفة . وليس من المعقول ولا من
المقبول أن تبقى أنت حياً .. وتموت زوجتك وهى حامل !

الزوج : إنها ليست حاملا .. إنها تكذب أقسم لك أنها تكذب ..
الفتاة : تكذب ؟ أنت واثق من ذلك ؟ .

الزوج : أحلف بأغلظ الأيمان ، لقد أكد لها كل الأطباء أنها لا يمكن أن
تأتى بأطفال ..

الزوجة : (لزوجها) يالك من وغد ؟ ..

الفتاة : (للزوجة) تكذبين هكذا لتنفذى حياتك !؟

الزوجة : (تشير إلى زوجها) بل هو الذى يحتال لينقذ حياته !

الفتاة : يخيل إلتى أنى سمعت من أمى أنك عاقر .. مهما يكن من أمر

فقد أوقعتانى فى الحيرة من جديد ... هأنذى لم أخط بعد
خطوة .. وما من واحد منكما يريد أن يموت . أو يقبل أن
يتقدم بدلا من الآخر . ماذا أصنع الآن ؟ لا بد من العمل
السريع .. هل أطلق الرصاص فى اتجاهكما ولتصب النار
منكما من تصيب ؟ .

(ترفع المسدس وتصوبه نحوهما فيدركان بأيديهما
صائحين ...)

الزوجة : لا .. لا .. لا تطلقى ..

- الزوج : لا تطلقى . لا تطلقى ..
- الفتاة : لا بد أن أطلق هكذا عليكما معا . إذن .. اتفقا فيما بينكما على وضع . من منكما يتطوع بتلقى الرصاصة عوضا عن صاحبه ؟ .
- (الزوجان يصمتان ..)
- الفتاة : (بعد لحظة) أخيف الموت إلى هذا الحد ؟ ... أحلوة الحياة إلى هذا الحد ! تكلمنا .. لا تريدان الاتفاق ... اسمعا إذن .. ما رأيكما فى أن أجرى القرعة بينكما ؟ وليحكم الحظ وحده فيكما بما يرى .. أخرج من جيبيك عملة صغيرة أيها الزوج . وليختر أحداً من وجهها من وجهها ... ولتلق العملة على هذه المتضدة فمن كانت له الصورة أنقذ ، ومن كان له الرقم قتل .
- (الزوج يخرج من جيبيه عملة صغيرة ...)
- الزوج : أنا اخترت الصورة .. (يهم بإلقاء العملة على المتضدة ...)
- الزوجة : (تمسك بيده) لا .. لا تلق أنت .. إلى الآن لأتق بك .. (يظهر عندئذ مندوب التأمين مطلاً برأسه ، آتياً من جهة باب الشقة .. وينقر بأصابعه على باب القاعة منها ...)
- المندوب : لا مؤاخذه ! نسيت هنا قلمى « الأبنوس » ... وهو تذكاري ثمين !
- الزوجة : (ترى المندوب فتصيح به) الدكتور ... أنقذنا يا دكتور ! ..
- المندوب : المريضة .. فوق .. بخير ! . اطمئنى ! ..
- الزوجة : (تغمره مشيرة إلى الفتاة هامسة) ها هي ..
- الفتاة : (ملوحة بالمسدس) حضرته دكتور ؟ .. يا دكتور اجلس

بكل هدوء إلى جانب البك والست .. دون أن تجادل أو تناقش ! ..

المندوب : (بخوف) لا .. لا داعي للمناقشة ! ... (يجلس حيث أشارت له الفتاة بالجلوس) .

الفتاة : أنتم الآن ثلاثة .. لا اثنان .. وهذا قد يجعل المسألة بالنسبة إليّ أشد تعقيداً أو أكثر بساطة .. على كل حال سأرفض يدى .. وسأترك لكم أنتم اتخاذ القرار النهائي ...

المندوب : أى قرار نهائى ؟ ! .

الفتاة : واحد منكم أنتم الثلاثة يجب الآن أن يموت ..

المندوب : (مذعوراً) يا حفيظ ! .. (يتلفت حوله ...)

الفتاة : (تلوح بالمسدس) أى حركة فى ذاتها قرار ... وقد تريحنى وتعفينى من حيرة الاختيار ...

المندوب : (يثبت فى كرسيه) إنى تمثال من حجر ! ..

الفتاة : لا تحاولوا أن تضيعوا وقتا . ها أنذى أحذركم .. فقد تأتى لحظة لا أتمكن فيها من التحكم فى الموقف .. فأطلق النار على غير هدى .

الزوجة : (هامسة بلا حراك) يا دكتور .. أما من علاج ؟ .

المندوب : (هامسا) علاج لى أنا ؟ . أين هو ؟ ... دمي هرب ! ..

الزوجة : (همسا بدون أن تتحرك) أو تركها تقتلنا هكذا يا دكتور ؟ ! ..

الزوج : (بصوت عال) إنه ليس بدكتور .. إنه مندوب شركة تأمين على الحياة ! .

الزوجة : ليس بدكتور ؟ .. حضرته ؟ ..

المندوب : (للزوج همسا) تذكر أن الست زوجتك لا يجب أن

- تعلم ...
- الزوج : (بصوت مرتفع) فلتعلم .. فلتعلم .. لم يبق هناك محل لأن
نخفي عنها .. فكرة موتى لن تفرعها أو تفجعها أو تصيها
بمكره !
- الزوجة : (للزوج) وفكرة موتى .. هل هزت منك الآن
شعرة . ! ..
- الفتاة : (صائحة فيهم) وأخيرا .. وأخيرا ... إنكم تلعبون
بالنار .. إنكم لا تقدرون أئى قد أخرج عن طورى وأرتكب
عملا طائشا .. فيه فناؤكم جميعا ... قلت لكم أريد واحدا
منكم فقط ... وعليكم أن تعينوه .. أنتم الآن ثلاثة ..
حكموا فيكم الأغلبية .. كما يحدث فى المحاكم .. يكفى أن
يتفق اثنان منكم على قرار ليصبح هو النافذ .. أسمعتم ... لن
أقف منكم غير موقف المنفذ ... اثنان منكم يستطيعان أن
يصدرا حكم الإعدام فى الثالث ... هلموا . تداولوا ...
وانطقوا بالحكم . سريعا ... سريعا ..
- (الزوج والزوجة يتبادلان النظرات ...)
- الزوج : هذا معقول .
- الزوجة : هذا عدل .
- الزوج : (يشير إلى نفسه وإلى زوجته) نحن الاثنان متفقان ..
- الزوجة : نعم ... أنا وزوجى من رأى واحد ..
- الفتاة : حكمتا طبعا على .. (تشير إلى المندوب)
- الزوج : (ومعه زوجته فى صوت واحد) نعم .
- المندوب : (صائحا) حكما على أنا . بماذا ..
- الفتاة : (وهى ترفع مسدسها) بالموت .

المندوب : (يرفع يديه صائحا متوسلا) يا ست .. يا آنسة .. لا تطلقى .. لا تطلقى .. كلمة واحدة .. كلمة لا غير .

الفتاة : (تتمهل) ماذا تريد أن تقول ؟ ...

المندوب : (وهو يتنفس) فهمونى .. من فضلكم .. ما هذا الحكم ..

وما هذه المحكمة ... وما جنايتى ؟ .. أنا رجل مسكين ...

مندوب تأمين ... جئت هنا أؤمن على الحياة .. فأجد أمامى

الموت !؟

الفتاة : لم يبق وقت لأقص عليك أنت أيضا القصة من جديد ...

نعم .. أنت رجل مسكين ومندوب تأمين ...

المندوب : وزوج أمين .

الفتاة : وزوج أمين .

المندوب : ووالد أطفال صغار .

الفتاة : ووالد أطفال صغار تعولهم وتربهم ... ولا جريمة لك ولا

ذنب ... وما من سبب يدعو إلى قتلك .. ولم تسئ إلى ...

ولم أحمل لك أنا ضغنا .. كل هذا أعلمه علم اليقين .. ومع

ذلك لا بدلى من أن أقتلك .

المندوب : يامغيث يا رب ! .

الفتاة : (وهى ترفع المسدس) هل عندك كلام آخر بعد ذلك ؟ .

المندوب : (يرفع يديه) انتظرى يا آنسة ... انتظرى .. لحظة ..

لحظة أخرى .

الفتاة : تفضل .. إني كما ترى هادئة الأعصاب إلى حد أحسد عليه ..

تكلم .

المندوب : افرضى يا آنستى أنى لم أحضر الآن .. ولم يرجعنى إلى هنا

قلمى الأبنوس النحس ... ماذا كنت ستصنعين ؟ ..

- الفتاة : كنت سأقتل أحد هذين الزوجين ..
- المندوب : اجعلى إذن أنى غير موجود ... وامضى فى إجراءاتك السابقة ..
- الفتاة : هذا غير ممكن .. لأنك موجود بالفعل وصدر عليك حكم الأغلبية .
- المندوب : الأغلبية ؟! .. إن هذه الزوجة لا تدرى ما ينفعها .. لو أنها عرفت مصلحتها لحكمت معى ضد هذا الزوج .. فإنيها بمجرد موته تقبض ألفين من الجنهيات ..
- الزوج : أيها المندوب .. لاتلجأ إلى هذا الإغراء الوضيع ! . إنك فى قرارة نفسك تتمنى موت الزوجة ... لأن شركتك تكسب بذلك كل ما دفعت أنا من قسط .. ولا بد أن يكون لك من وراء ذلك عمولة ..
- الفتاة : (صائحة) كفى .. كفى .. لقد ضقت بهذا الجدل .. اريد التنفيذ .. اريد العمل .. اريد أن أقتل .. تقدم أيها المندوب ! .
- المندوب : يا آنستى .. رحماك .. أقبل قدميك .. لا تقتليني بهذه السرعة .. أبقي على دقيقة .. ألا تعرفين الرحمة ؟ .
- الفتاة : أعرف الرحمة .. ولطالما غمرت قلبي ..
- المندوب : ألا تعرفين الله ؟ ..
- الفتاة : أعرف الله .. ولطالما صمت له وصليت ..
- المندوب : ألا تعرفين الحب ؟ .
- الفتاة : الحب ؟! . ماذا تعنى ؟ .
- المندوب : الحب .. أعنى الحب .. الذى يجعلك تعيشين . وتدركين للحياة معنى نابضا راقصا .. ذلك الحب شعرت به عندما

رأيت زوجتى أول مرة وهى فتاة .. خيل إليّ يومئذ أنى أحيا لأول مرة ... وأن كل شئ ألمسه يحيا تحت لمساقى ... وكل منظر أراه يحيا تحت نظراتى .. الحب ذلك الشعور الذى يحى الأشياء والأشخاص .

الفتاة : ما هذا الكلام؟ .. إني ما سمحت لنفسى قط، وما سمحت لى أُمى أن أجعل لمثل هذه العواطف مكانا فى قلبى ... إني لم أزل فى الثامنة عشرة من عمري ... ومنذ الصغر وأُمى تحذرنى من هذا الشعور الأثيم الذى تجرؤ أنت فتطريه هذا الإطراء .

المنذوب : آه .. لقد قتلت فيك حب الحياة .. فحل فيك حب الموت ..

الفتاة : احتفظ بهذه الأفكار لنفسك .. لست أنت على كل حال من يقدر أن يرى ماتنطوى عليه نفسى . منذا الذى يستطيع أن يعرف حقيقة ما يحب ومدى ما يحب .. إليك زوجين هما مثال الإخلاص والوفاء .. طالما لمحت ذلك منهما بعينى وسمعت من أُمى ..

الزوجة : أو كان يدور بخاطرى أن زوجى يخدعنى هذا الخداع !؟

الزوج : أنا الذى خدعك أم أنت التى خدعتنى !؟

الفتاة : ما من واحد منكما خدع صاحبه .. إنما كان كل واحد منكما

يخدع نفسه ! .. أو نفسه هى التى تخدعه .. لأنه ما من إنسان هبط إلى قاع نفسه ليرى ما فيها .. هذا البحر ذو الوجه الصافى الذى تحتلط فى جوفه الرمال بالأعشاب والصخور بالأسماك والآلئ بالعقارب .. هكذا قال لى الطبيب الذى ذهب إلى هذا الصباح ...

الزوجة : أو ذهبت إلى طبيب هذا الصباح ؟ ..

الفتاة : نعم .. طبيب من أبرع الأطباء في الحالات النفسية .. لم أربداً من أن أستشيريه اليوم .. دون أن أخبر أحداً ، حتى ولا أمى .. لقد استشرته في أمر هذا الصوت الداخلى الذى يأمرنى بالقتل ..

الزوجة : وبماذا أشار عليك ؟ .
الفتاة : أشار علىّ بأن أطيع الصوت .. ولا أخالفه ولا أكبته .. وأن أقتل .. .

المندوب : (صائحا) قال لك اقتلى ١؟ .
الفتاة : قال إذا قتلت فإنك تشعرين فى الحال بأنك استرحت .. وأعطانى هذا المسدس ...

المندوب : أعطاك المسدس وقال لك اقتلى ١؟ . هكذا بكل بساطة ١؟ كما لو أعطاك برشامة « أسبرين » وقال لك اشربى ١؟ .
الفتاة : لقد أكد لى أن هذا هو الدواء .. ولا يجوز لى أن أهمل تعليمات الطبيب .. ويحسن بك أن تساعدنى على الشفاء ... لأقدر لك هذه الخدمة فيما بعد .. تقدم ! . (تصوب مسدسها نحوه ...)

المندوب : (فى ذهول) فيما بعد ١؟ .. أين ؟ .. ومتى ؟ . وأنت تخطفين الآن روحى ! . (يفيق ويصيح) لا تصوبى نحوى . انتظرى .. انتظرى ..

الفتاة : انتظرت أكثر مما يجب .. أريد أن أستريح .. أريد أن أستريح .. أن أتعاطى الدواء ...
المندوب : تتعاطين الدواء ! ..

الفتاة : نعم .. وبسرعة .. وأرجو أن تتلطف معى وتترفق بى ... ولا تؤخرنى عن مباشرة العلاج ..

- المندوب : ارحموني يا ناس ! .. سأجن قبل أن أموت ! .. تريد منى أن
أترفق بها ، لتطلق رصاصها في صدري ! ..
- الفتاة : نعم .. ترفق بى وأرحنى ... أرحنى .. عالجنى .. امنحنى
الراحة والشفاء .
- المندوب : (صائحا) بموتى .. بدمى ..
- الفتاة : وأى غرابة فى ذلك ؟! . إن دماء البعض علاج للبعض ..
وليس هذا بالشيء الجديد تحت الشمس ! .. أرجوك أن
تتقدم خطوة حتى لا تصيب الرصاصه غيرك .. إنى سأطلق
.. (تصوب المسدس) .
- المندوب : (صائحا بفزع) يا آنسة .. ارحمنى .. ارحمى الأيتام ! ..
(يسرع إلى الزوجين فيلتصق بهما) .
- الزوج : (يدفعه عنه) ابعد عنا .. ابعد ..
- المندوب : (يتشبث به) أبعد عنك الآن .. وأنت سبب المصيبة يا زبون
الشؤم !
- الزوج : (يحاول التخلص) اتركنى .. اتركنى ..
- المندوب : (يستميت فى التشبث به) لن أتركك أبدا .. فلنمت معا ..
لن أموت وحدى .. ما ذنبى أدخل بيتك لأؤمن عليك ..
فإذا أنت الزبون تعيش ... وإذا أنا المندوب غير المؤمن عليه
أموت ؟!
- الزوج : (لزوجته) خلصينى ... خلصينى منه ! ..
- الزوجة : كيف أخلصك .. وذراعاه قد ماتتا عليك ! ..
- الزوج : حاول .. ابذلى مجهودا ! .. لا تقفى هكذا تشاهدين ! ..
(يتأسكون جميعا)
- الفتاة : (وهى تراقبهم) آه .. المسألة قد تعقدت فيما أرى .. وقتى

ضيق وأنفاسي تكاد تقف .. أشعر أني أخنق .. لا .. لا بد
من العمل حالا .. لأستعيد تنفسي .. لن أموت من
أجلكم .. ولا من أجل أحد .. تماسكت وأصبحت كتلة ...
ربما كان في ذلك انفراج العقدة .. سأطلق رصاصة واحدة
على كتلة أجسامكم المتلاصقة .. ولتصب منكم من
تصيب .. كل وحظه ... هأنذا أقتل واحداً من بينكم ..
أى واحد .. أقتل .. أقتل .. أقتل .

(تقول هذه الكلمة من بين أسنانها وتلمع عيناها ببريق
عجيب .. وتطلق عيارا ناريا ، يدوى في القاعة ، على
الثلاثة وهم متكئون يتدافعون .)

الثلاثة : (يسقطون على الأرض صائحين) قتلنا ..

الفتاة : (تنجس إليهم) من منكم الذى أصيب ؟ ..

الزوجة : (صائحة) أنا ... أنا مت ..

الزوج : (صائحا) أنا توفيت .

المندوب : (صائحا) أنا انتقلت إلى رحمة الله ! .

الفتاة : مستحيل .. مستحيل أن تموتوا جميعا .. أنتم الثلاثة من

رصاصة واحدة ! . فيكم اثنان على الأقل في صحة

جيدة .. انهضوا لأرى .. واحد من بينكم فقط هو الذى

أصيب ..

(الثلاثة ينهضون على أقدامهم .. وهم يحسبون أعضاءهم

فاحصين ..)

الفتاة : (وهى تنظر إليهم) ما هذا السواد في وجوهكم وعلى

ثيابكم !؟ ..

المندوب : « هباب » بارود ! .

- الفتاة : والرصاصه ؟ .. أين الرصاصه ؟ .. من منكم استقرت فيه الرصاصه .
- الزوج : (وهو يفحص جسمه ويبحث في جيوبه) أو تلقين علينا أيضا عبء البحث عن رصاصتك ؟!
- الفتاة : هذا لا يحتاج إلى بحث .. أما من دم سال من أحدكم ؟ .
- الزوجة : (وهي تمسح عرقها) وهل بعد كل هذا يبقى في أحدنا قطرة دم! ..
- (المندوب يتناول المسدس حيث كانت قد وضعت الفتاة على المنضدة بعد الطلقة .. ويفحصه ويصيح ...)
- المندوب : المسدس لم يكن محشواً بغير البارود ! .
- الفتاة : (تلتفت نحوه) أنت واثق ؟ ..
- المندوب : (قدم إليها المسدس) خذى وانظري بنفسك ! .
- الفتاة : هذا إذن تدبير من الطبيب . مهما يكن من أمر فأني أشعر حقاً
- أني استرحت .. وكأن كابوساً انزاح عني ..
- المندوب : وعني أنا أيضاً .. اسمحي لي يا آنسة بالانصراف .. توبة إلى الله ! .. لن أدخل هذا البيت ... قبل أن أؤمن على حياتي لمصلحة الأولاد ! .
- (يحمل حقيته الصغيرة .. ويلتقط قلمه الأبنوس الذي .
- كان قد نسيه فوق المنضدة .. ويخرج بسرعة ...)
- الفتاة : (للزوجين) آسفة .. أزعجتكما كثيراً .. اعذراني وافهما حالتي .. إنني على كل حال شاكرة لكما أجزل الشكر .. لقد استرحت حقاً بعد أن أطلقت النار .. واعتقدت أنني قتلت ..
- (تشير بالتحية وتتحرك منصرفه بينما تتجه الزوجة مطرقة إلى باب حجرتها على اليمين دون أن تنظر إلى زوجها .)
- الزوج : (للفتاة المنصرفة) لقد قتلت سعادتنا الزوجية ! ..
- (ستار)

من واحد الحركة النسوية

النائبة المحترمة

تمثيلية في منظرين

(بين يوم وليلة)

(حجرة طفل في الرابعة من عمره .. وهو جالس في سريره الصغير ،
بملايس النوم .. وإلى جانبه أبوه .. على مقعده .. في ثياب البيت ..
والساعة تدق التاسعة مساء ...)

الطفل : كم دقت الساعة يا بابا ؟

الأب : التاسعة .. موعد نومك فات .. ياميمى . يجب أن تنام في الحال .

الطفل : لا أريد أن أنام الآن .

الأب : يجب أن تنام .. أغمض عينيك ..

الطفل : ليس في عيني نوم .

الأب : (نافذ الصبر) وما العمل ؟ ..

الطفل : لماذا تريد منى أن أنام ؟

الأب : لأننى لا أستطيع أن أبقى بجوارك طول الليل .. ألم تر المحفظة الكبيرة التى
جئت بها اليوم ؟ ..

الطفل : ماذا فيها ؟

الأب : أوراق .. عمل مصلحى . لا بد من إنجازة .. نم . أرجوك . هل
تجنبى ؟ .

الطفل : نعم .

الأب : كثيراً ؟ .

الطفل : كثيراً جداً .. أكثر من براغيت الست ! .

الأب : (مأخوذاً) براغيت الست ! .

الطفل : نعم .. ألا تعرفها ؟ إنها أصغر من « البونبون » الذى تحضره لى ..
لكننى أحبها أكثر من « البونبون » . أتعرف من أين أشتريها ؟ .. من الرجل
الذى يسير بالعربة أمام البيت ، وينفخ في النفير ..

الأب : (كاتخاذ نفسه) أهذه الحلوى نظيفة ؟ .

الطفل : نعم .. أتريد أن تلنق منها ؟ .

(يحاول النزول من سريره ... فيمنعه الأب برفق ...)

الأب : ابق في سريرك ابق .. كل ما أريد منك هو أن تنام ..

الطفل : تريد أن أنام ؟

الأب : (بعجلة ورجاء) نعم يا ميمى .

الطفل : قص على حكاية .. وأنا أنام .. هكذا تفعل ماما .. أين ماما الليلة ؟ .

الأب : (بغير انتباه) في البرلمان .

الطفل : ما هذا ؟

الأب : لن تفهم الآن ما هو ... عندما تكبر ستعرف ..

الطفل : أريد أن أعرف الآن .

الأب : سلها هي عندما تحضر .

الطفل : ومتى ستحضر ؟ .

الأب : (كالمخاطب نفسه) الله أعلم متى ستحضر .. هذا يتوقف على جدول

الأعمال :

الطفل : ماذا تقول يا بابا ؟ ...

الأب : لا شيء .. لا شيء .

الطفل : ربما كانت ماما في السينما .. ذهبت بدوني .. لترى الفيل وخرطوم

الذى يحمل به الأشياء .. والبيغاء ذات الألوان الحمراء والخضراء

والصفراء .. لقد أخذتني مرة .. فرأيت كل ذلك . ولكن البيغاء لم

تكن في السينما ، محبوسة في القفص .. كما رأيتها في حديقة الحيوانات ..

بل كانت منطلقة في مكان واسع به أشجار .. نعم رأيتها كذلك في

السينما .. ولكنني نمت بعد ذلك . ولم أشاهد ماذا جرى .

الأب : نعم الآن أيضا يا ميمى أرجوك ! ..

الطفل : قص على الحكاية أولا ..

الأب : (في حيرة) أى حكاية ؟

الطفل : الحكاية التى تعرفها ماما ..

الأب : لا أعرفها .

الطفل : وماذا تعرف إذن ؟

الأب : (في يأس) لا أعرف شيئاً ..

(التليفون يرن فى الخارج ... وهو ذو حبل طويل ... فلا يلبث

الخدام أن يظهر وهو يحمله إلى رب البيت ...) ..

الخدام : الست فى التليفون !

(ويسلم السماعه لسيده ... ويضع آلة التليفون على منضدة

ويخرج ...)

الأب : آلو .. نعم يا عزيزتى .. ميمى لا يزال مستيقظاً .. لا يريد النوم بدون

حكاية .. ماذا تقولين ؟ . أنا أقص عليه ؟؟ حكاية الفيل والبيغاء ؟! لا

أعرفها .. ماذا ؟ اخترع له ؟ ربنا يقدرنى ! . وأنت ؟ أين أنت الآن ؟

فى البهو الفرعونى ! شىء جميل جداً .. فى الاستراحة .. مفهوم ! ومتى

تحضرين ؟ . لا تعرفين بالضبط .. مناقشة ميزانية وزارة الأشغال .

ماذا إذن ؟ . آه .. استجواب عن مشروع تعليية خزان جبل

الأولياء ! .. طبعاً .. طبعاً .. معلوماتك الفنية ضرورية جداً فى هذا

الموضوع .. أفندم ؟ . أخرس ؟؟ . خرست وقطعت لسانى ! .

(يضع السماعه بكل هدوء ...)

الطفل : (مشيراً إلى التليفون) هذه ماما ؟ .

الأب : هى بعينها ..

الطفل : ماذا كانت تقول لك ؟

الأب : قالت لى أن أقص عليك حكاية الفيل والبيغاء ..

الطفل : نعم . نعم .. قص على هذه الحكاية ..

- الأب : إنها حكاية طويلة إذا داعب جفنتك النوم ، وأنا أحكيها فم ..
 الطفل : ابدأ من أولها ..
- الأب : (محاولاً أن يهينه للنوم) ضع أولاً رأسك على الوسادة ! . وأغلق عينيك نصف إغلاق .. هكذا (يعطيه المثل) ..
- الطفل : (يقلده) هكذا ؟
- الأب : نعم هكذا .. وإياك أن تتكلم أنت .. دعني أنا أحك .
- الطفل : احك يا بابا ..
- الأب : تريد حكاية عن الفيل والبيغاء حكاية جديدة طبعاً .. آه ياربي ! . ماذا أقول له .. كان هنا فيل . فيل له خرطوم ..
- الطفل : كل فيل له خرطوم يا بابا .
- الأب : طبعاً .. طبعاً .. هذا ما أقصد .. ألم أوصك أن لا تتكلم أنت ؟ ..
- أغمض عينيك قليلاً .. نعم هكذا .. كان الفيل يمشي في طريق متسع به أشجار .. وكانت هناك شجرة عظيمة .. وكانت تحت الشجرة بيغاء حمراء خضراء صفراء . تريد أن تثرثر .. وأن تظهر فصاحتها ... فلما رأت الفيل فرحت وقالت له : « سعدت صباحاً أيها الفيل ماذا جئت تصنع ها هنا ؟ . »
- فقال لها الفيل من فوق الشجرة : « جئت أبحث عن الماء ... »
- الطفل : (مقاطعاً) وكيف يكون الفيل فوق الشجرة ؟!
- الأب : أنا قلت ذلك ؟
- الطفل : نعم .. ألم تقل الآن إن الفيل قال لها من فوق الشجرة : « جئت أبحث عن الماء » ؟!
- الأب : أقصد أنه قال لها من تحت الشجرة ..
- الطفل : وأين كانت البيغاء إذن ؟ ..
- الأب : ماذا قلت أنا ..

— ٧٠ —

الطفل : قلت يا بابا إنها كانت فوق الشجرة .

الأب : لا .. أبداً .. أقصد أنها كانت فوق الشجرة .

الطفل : وبعد . ماذا حصل .

الأب : أغمض عينيك . أغمض عينيك .

الطفل : ماذا حصل للفيـل ؟

الأب : لم يحصل له شيء .. أقصد أنه جعل يبحث عن الماء فوجد بحيرة كبيرة ..

فيها تمساح .. فلما مد خرطومـه ليـشرب من البحيرة أمسك التمساح

بالخرطوم بين فكـيه .. فقال له الفيـل : « ماذا تريد ؟ »

فقال التمساح : « أمتنع من شرب الماء ... » فقال الفيـل : ولماذا

تمنعني ؟ » .. فقال التمساح : « لأن البحيرة ملكي » .. فقال الفيـل :

« وأنا من أين أشرب ؟ » فقال له التمساح : اشرب من البحر ! »

فقال : « أين البحر ؟ » .. فقال له : اجث عنه .. « فمشى الفيـل ..

ومشى .. ومشى .. ومشى .. (ينظر في وجه طفله ويسكت)

الحمد لله (هامساً) دب النوم في عينيه .

الطفل : وبعد أن مشى .. ماذا حصل ؟

الأب : أعوذ بالله ! .. ألم تزل مستيقظاً ؟ !

الطفل : نعم .. احك لي ما الذي حصل . بعد أن مشى الفيـل ؟ ..

الأب : مشى .. ومشى .. ومشى . فوجد شيئاً يلـمع من بعيد .. فقال

(وهذا هو البحر وهذه أمواجه تلمع في الشمس) فمشى أيضاً ..

ومشى .. ومشى آه (يتشاءب)

الطفل : إنك تتشاءب يا بابا .. أستنام ؟ !

الأب : لا ..

الطفل : إياك أن تنام قبل أن تقول لي ماذا وجد الفيـل ؟ .

الأب : لم يجد شيئاً ..

- الطفل : والبحر ؟ ..
الأب : لم يكن هناك بحر ..
الطفل : وما هذا الشيء الذى كان يلمع ؟ .
الأب : سراب .
الطفل : سراب ؟ .. ما هذا ؟ ماذا يعنى ..
الأب : عندما تكبر تعرف . (يتشاءب) ..
الطفل : عدت تشاءب يا بابا . أريد أن أعرف ماذا صنع الفيل ..
الأب : مشى عائدا .. مشى ومشى .. ومشى .
الطفل : ولماذا يمشى مرة ثانية ..
الأب : لأنه يجب أن يمشى ... ويمشى .. ويمشى .
الطفل : ليقابل التمساح .
الأب : (وهو يغالب النعاس) نعم .
الطفل : ليسأله عن الماء ..
الأب : طبعاً ...
الطفل : والبيغاء ... ماذا حصل لها ...
الأب : البيغاء أى بيغاء .
الطفل : أنسيتهأ ؟! ..
الأب : آه .. حقا .. البيغاء .. نسيناها ..
الطفل : إنك تنام يا بابا ...
الأب : لا ... أبداً .. البيغاء حقيقة ..
الطفل : أين هى ..
الأب : هناك ...
الطفل : هناك أين ..
الأب : (ناعسا) فى .. البرلمان .

الطفل : البرلمان . !

(يفتح الباب .. وتدخل الأم بسرعة .. وهي تلهث ...)

الأم : (مندفعة نحو الطفل) ميمى ! ... ألم تزل مستيقظا حتى الآن ؟ ! ..

الطفل : نعم يا ماما ... (يشير إلى أبيه) بابا هو الذى نام ! ..

الأم : (تلتفت إلى زوجها) ما شاء الله ! (تصيح به) : عبد السلام عبد

السلام ! ..

الأب : (يتبهِ فجأة) ماذا ؟ . ماذا حصل ؟ .

الأم : قلت لك أن تنيم طفلك . لا أن تنام أنت ! ..

الطفل : حكى لى يا ماما حكاية « بايخه » لم تمنى ..

الأم : أنامته هو طبعاً ! ..

الطفل : قال لى يا ماما إن البغاء فى البرلمان .. أين هذا البرلمان يا ماما ..

لأم : (وهى ناظرة إلى زوجها) أهو قال لك ذلك ؟ ! .

لأب : يا للمصيبة ! .. أنا قلت ذلك ؟ ..

لأم : (وهى ترقد الطفل فى فراشه) لا بأس ! .. نم الآن يا ميمى .. إذا

كنت تحب ماما .. (تجس رأسه) جبينه ملتهب ! . الولد عنده

حرارة ! .

الأب : حرارة . ! .

الأم : الترمومتر بسرعة ! . كان يجب أن تدرك ذلك ..

الأب : كيف يخطر لى هذا أيضا . !

الأم : إنه مستيقظ إلى الآن من أثر الحمى .. والقلق ... والأرق ..

الأب : (كالمخاطب نفسه) الحمى .. لا بد أنها نتيجة براغيت الست ! .

الأم : ماذا تقول ..

الأب : لا شيء ... الترمومتر . أين هو الترمومتر . !

لأم : (مشيرة إلى خزانة ملابس الطفل) فى هذا « الدولاب » ابحت فى

الرف الأعلى .

(التليفون يرن ... يسرع الأب إليه ويتناول السماعة ...)

الأب : ألو ! من ؟ .. معالي وزير الأشغال ؟ ... موجودة يا افندم ! ..
(يقول لزوجته هامسا باحترام :) معالي الوزير طالبك في
التليفون ! ..

الأم : ماذا يريد ؟ . الاستجواب تأجل إلى جلسة الغد .. (تتناول
السماعة) معالي الباشا ؟ . الآن ؟ . بعد ربع ساعة ؟ . أمر خطير .
ألا يمكن تأجيل المقابلة للصباح ؟ . خمس دقائق فقط .. وهو
كذلك . أنا في الانتظار ..

الأب : (باهتمام) سيأتى هنا الآن . لا بأس .. دعى لى ميمى .. واذهبى أنت
لمشاغل الدولة ! ..

(ستار)

المنظر الثاني

(حجرة الاستقبال وفي نفس الليلة بعد نحو ربع ساعة يدخل الوزير
فحستقبله النائبة وزوجها .)

النائبة : (وهي تقود الوزير إلى مقعد وثير) تفضل هنا يا باشا ..
الوزير : أخشى أن أكون قد أزعجتك .. ولكن الضرورة ..
الزوج : (وقد ارتدى ملابس الخارج كاملة لاستقبال الوزير) معاليك
شرفت منزلنا الليلة ! .

الوزير : (سائلا النائبة) حضرته . ؟
النائبة : زوجي .. عبد السلام حموده .. مهندس بمصلحة الطرق
والكبارى ...

الزوج : مهندس منسى .. منذ عشر سنوات يا معالي الوزير !
النائبة : عبد السلام .. اطلب قهوة للباشا ..
الزوج : حالا ..

(يخرج مسرعا ...)
الوزير : لماذا لم تخبريني أن زوجك في مصلحة تابعة لي ؟
النائبة : وما الداعي أن أخبرك ؟
الوزير : أمرك .
النائبة : الاستجواب تأجل .. فما هو الأمر الخطير يا ترى ...
الوزير : هذا الأمر الخطير هو ..
الزوج : (يدخل) حالا تأتي القهوة .. (يجلس) ..
الوزير : (وهو يراه قد جلس) لم تسألني كيف أريدها ؟
الزوج : سكر مضبوط .

- الوزير : سادة من فضلك .
- الزوج : (ناهضا) لحظة واحدة ! .. (يخرج مسرعا)
- الوزير : (للنائبة في شبه همس) أنا الذى أريد لحظة واحدة .. أحادثك فيها على انفراد ... أسرار السياسة العليا لا يصح أن تقال أمام صغار الموظفين ! ..
- النائبة : إني مصغية .
- الزوج : (يدخل) من حسن الحظ أن البنت الخدامة لم تكن وضعت السكر بعد .
- (يريد أن يجلس ...)
- النائبة : أرجوك يا عبد السلام أن تلاحظ ميمى .. وأن تعطيه نصف قرص أسبرو .
- النائبة : (ناهضا) وهو كذلك ..
- (يخرج متباطئا)
- النائبة : (للوزير) إني مصغية .
- الوزير : الموضوع بالاختصار أن الاستجواب يجب أن يسحب من المجلس غدا .
- النائبة : لماذا ؟ ..
- الوزير : لأنه مجرد مناورة سياسية من المعارضة ..
- النائبة : لأنه محرج لمركز الوزارة .
- الوزير : لأن المعارضة تستغله لا للمصلحة العامة ... بل للتشنيع .
- النائبة : هل أنت متأكد أن مشروع تعليية الخزان ؛ وما سيتكلفه من ملايين . ليس فيه غبن للمصلحة العامة ..
- الوزير : ثقى أن رفع منسوب المياه نصف متر فقط ... تفهمين طبعا فى الهندسة ..
- النائبة : لا .. بكل أسف ... زوجى هو المهندس .

الوزير : آه .. ولكنك أنت المختصة بالمناقشة في المشروعات الهندسية ! .
 النائبة : شعورى العميق هو أن هذا المشروع على هذا الوضع ليس فى مصلحة
 البلد ...

الوزير : الشعور العميق لا يكفى يا سيدتى ... لقد بحثت المشروع لجنة فنية
 لا يرقى للشك إلى كفاءتها وخبرتها ...

النائبة : ولكن الحزب الذى أتمنى إليه يعارض هذا المشروع .
 الوزير : نعم ... مع الأسف ! .

النائبة : ماذا تنتظر منى إذن أن أصنع ..

الوزير : أن تساعدنا على سحب الاستجواب ...
 النائبة : وأخون حزبى .. ! .

الوزير : ليس فى الأمر خيانة على الإطلاق .. إنك تقومين بعمل شخصى ..
 وتتوسطين بصفتك الخاصة .. لقد أدت لنا مثل ذلك وأكثر منه
 . وأصعب ، كثيرات من حزبك .. زميلتك الشقراء نائبة ..

النائبة : نائبة كرموز ..

الوزير : نعم .. وزميلتك النائبة المحترمة الأخرى التى تضع دائما فى شعرها
 مشط نيلون بنفسجى مسخس ..

النائبة : نائبة شبرا العنب ..

الوزير : نعم .. نعم .. المسألة فى غاية البساطة . هذا النائب الذى قدم
 الاستجواب .. يحاول دائما أن يجلس فى الصف الذى تجلسين فيه ...
 ويبدى الاهتمام دائما بكل ما تقولين .. وليس غيرك يستطيع أن يقنعه
 بسحب استجوابه ...

النائبة : كيف أقنعه .. ؟

الوزير : بابتسامة ...

النائبة : (ثائرة) ما هذا الذى تقول يا باشا . ! إنك تهيننى فى بيتى .

الوزير : معاذ الله ! . معاذ الله ! إني ما قصدت قط إهانة .. ولكنه اقترح صغير . تقدمت به إلى مروءتك ، خدمة للمصلحة العامة ..

النائبة : المصلحة العامة .. المصلحة العامة ... وهكذا تخدم المصلحة العامة !
وإذا كنت تعتقد حقاً أيها الوزير أن في مشروعك مصلحة عامة ، فلماذا تخشى هذا الاستجواب !

الوزير : لأن .. لأن الغرض منه غير شريف ..
النائبة : ولماذا لا تكون أنت شريفاً بكشف الأوراق وإعلان الحقائق . !
الوزير : سرية المشروع ضرورية للتنفيذ .

النائبة : الحكومة التي تخفى عن البرلمان مثل هذه الأسرار ، كالزوجة التي تخفى عن زوجها ما يجب أن يعرف عن حقيقة سلوكها وتصرفها ...

الوزير : منطق نسائي .. لا منطق سياسى ! ..
النائبة : هذا ما أعتقد ... وهذا ما يجب ! ..

الوزير : ثقي أن الحكومة لا تخون زوجها البرلمان ... بإخفائها عنه تفاصيل بعض الإجراءات .. أنت مثلاً .. وكلنا يعرف أنك زوجة نموذجية .

ألم تخفى عن زوجك شيئاً قط ..
النائبة : لم أخف عنه قط شيئاً يجب أن يعلمه ..

الوزير : « براؤو » !
النائبة : والآن .. هذا هو كل موقفى مما تريد .. ولا تنتظر منى أبداً أن أغير هذا الموقف .

الوزير : وزوجك ..
النائبة : ما شأن زوجى ! .

الوزير : مهندس منسى فى مصلحة الطرق والكبارى ..
النائبة : نعم .

الوزير : فى أى درجة .

النائبة : فى الدرجة الخامسة .

الوزير : فقط ! .. منذ عشر سنوات .. هذا وضع غريب .. هذا ظلم .. عشر سنوات منسى فى مصلحة الطرق . ! . فى أى طريق من هذه الطرق نسوه . ! وأنت كيف تسكتين عن المطالبة بحقه .. وأنت امرأة عمو .. لا مؤاخذه .. امرأة مشغلة بالسياسة العامة ! ..

النائبة : وماذا أستطيع أن أصنع له ..

الوزير : تستطيعين كثيرا .. ولكنك لا تعرفين ولا تريدن ..

النائبة : لا أريد أن أعرف إلا الإخلاص لمبدأى ..

الوزير : إن المرأة لا تستطيع أن تخلص لمبدأ .. بل تستطيع أن تخلص لشخص ! .

النائبة : ليس هذا رأيك وحدك .. إنه رأى الرجال جميعاً .. ورأى الدنيا منذ خلقت .. وهذا هو الذى يجعلنى أحرص على مسلكتى هذا .. إلى حد العنف أحيانا والصرامة والتعصب ..

الوزير : وما فائدة ذلك .. ما دمت بمفردك .. ! إن غيرك من النوابات المحترمات لهن ، كما تعرفين ، أشياء أخرى يخلصن لها .

النائبة : ماذا تعنى ..

الوزير : أنسيت المشروع الذى اقترحن فيه تخفيض الضريبة الجمركية عن الأحمر والأبيض وأصابع « الروح » للشفاة ، وأدوات الزينة . والجوارب الحريرية . والأقمشة النسائية . !

النائبة : لقد عارضت أنا هذا المشروع ...

الوزير : لأنك شاذة فى تفكيرك .

النائبة : أأست على حق ؟ ! .

الوزير : لا .. لست على حق .. إنك تأخذين صفتك النيابية على سبيل الجد ، أكثر من اللازم .. هذا حقا عيب المرأة ، عندما تخلص مرة لشيء ،

فإنها تتطرف وتتعصب .. لا تنسى أن لأسرتك ولزوجك عليك حقوقا .. إن المصلحة لن تمس منها شعرة ، إذا فكرت قليلا في مستقبل زوجك . هذا الضال التائه في « الطرق والكبارى » ... إنه في حاجة إلى « كوبرى » يصل به إلى الدرجة الرابعة والثالثة . وفي يدك أنت هذا الكوبرى ...

النائبة : في يدى أنا ؟ ! .

الوزير : الكوبرى الذى يوصله إلى الدرجة الثالثة مباشرة .. إن مجلس الوزراء ، وأنا أعطيك عهداً بلسانه الآن .. يستطيع أن يسوى حالة زوجك في الجلسة القادمة بدون تأخير ..

النائبة : مفهوم .. إذا ساعدتكم على سحب الاستجواب ! ...

الوزير : إن الذكاء لا ينقصك ..

النائبة : مرفوض ! ..

الوزير : ترفضين ؟ ! .

النائبة : أرفض .

الوزير : نهائيا ؟ !

النائبة : نهائيا .

الوزير : (ناهضا) ماذا كنت قبل انتخابك ؟ .. مدرسة .. كما بلغنى ... في التعليم الثانوى .. نعم .. إنك لا تعرفين الدنيا .. لم تعيشى إلا بين جدران المدارس . تحسبين البرلمان جدران مدرسة . لن يكون لك مستقبل في السياسة ولا في الحياة العامة .. إني لأبشرك من الآن ! . أرجو أن تصبحى على خير ...

النائبة : أشكرك ! ..

الوزير : (على عتبة الباب) إذا غيرت رأيك ، فأخبرينى .. في أى ساعة ! . (يخرج الوزير .. وتشيعه النائبة .. ثم تعود وترقى على مقعد وتضع

رأسها في كفيها .. ويدخل الزوج من باب آخر يحمل صينية
القهوة)

الزوج : (يبحث بعينه في القاعة) أين معالي الوزير ؟ .

الزوجة : (وهي في إطرأها) انصرف .

الزوج : والقهوة ؟ .

الزوجة : اشربها أنت ..

الزوج : أشربها أنا . ! .

الزوجة : (ثائرة الأعصاب) نعم .. اشربها أنت .. اشربها أنت ..

الزوج : طبعاً .. أنا الذى أشربها .. من غيرى .. لأنها « سادة » .. مرة ..

سوداء .. كحياتى وحظى وأيامى ..

الزوجة : (تلتفت إليه) لا تنتظر منى أنا أن أضع السكر في حياتك ..

الزوج : (بإذعان) لا يا سيدتى لقد طرحت من رأسى هذا الأمل .. منذ

زمن .

(صمت ...)

الزوجة : (كالخطابة نفسها) إن هذا السكر باهظ الثمن ! ..

الزوج : ماذا تقولين ؟

الزوجة : لا شيء .. (صمت ...)

الزوج : لو كنت على الأقل تحادثينى ملياً في أعمالك وما يشغل بالك ! ...

الزوجة : ماذا أقول لك . ! . إنك لا تفهم شيئاً في السياسة ! .

الزوج : طبعاً .. لست أفهم شيئاً إلا أن أقوم بعمل المربية للولد بالليل ..

وبعمل كناس نظيف في مصلحة الطرق بالنهار .. أما حضرتك ...

الزوجة : حضرتى ...

الزوج : تقومين بمناقشة الوزراء والحكام .. والمداولة في تصميمات المشروعات

والخزانات ..

الزوجة: ألن تكف عن هذه السخرية بى ..
 الزوج: لست أسخر بك .. بل بنفسى ! ..
 الزوجة: ومن الذى قال ليمى إنى ببغاء فى البرلمان ..
 الزوج: لعله لفظ خرج من فمى وأنا نعسان ..
 الزوجة: بل هذا رأيك دائما ، أعرف جيداً ، من يوم ترشحي للانتخابات .
 الزوج: رأى .. أنا حر فى رأىى .

الزوجة: دائما كنت تقول ذلك متهمك : المرأة فى البرلمان .. ببغاء فى قفص
 ستحفظ كلمات مما يلوكة رجال السياسة ، كى ترددها ، وهى فى
 ريشها الأحمر والأخضر والأصفر .. مسن ثياب الموسم آخر
 « موضة » ! ألم تقل ذلك ... ولكنك لم تستطع التنبؤ بالمتابع التى
 ستعرض لها النائبة المحترمة حقا .. تلك الشباك من المغريات ، التى
 تنصب لها ، لتكون العوبة فى أيدي الحكومات ! ... الكل يعتقد أن
 النساء سريعات التحول ، سريعات التقلب ، ينجرفن مع التيار
 بسهولة .. ويتركن مبادئهن للريح ... كما يتركن شعورهن على شاطئ
 البحر يحركها النسيم ! . أصواتهن مكسوبة مقدما لمن يلمح هن بإشارة
 برفافة ! .. ربما كان هذا صحيحا بالنسبة إلى أغلب النساء .. لأن تلك
 التى تريد أن تثبت على مبادئها وتخلص لحزبها ، لا بد أن تضحى ..
 تضحى .. تضحى ..

الزوج: تضحى بماذا ..
 الزوجة: بأشياء كثيرة ! ..
 الزوج: بزوجها .
 الزوجة: هذا أهون الضرر .
 الزوج: شكراً .. شكراً ..
 الزوجة: نعم .. هذا ضرر هين أن تبقى فى الدرجة الخامسة كما أنت .. بل قد

يضغط علينا الوزير أو يسخط .. فينتقم منك أنت ، وينقلك إلى أقاصى الصعيد ..

الزوج : ارحمنى يا ناس ! .. ما ذنبى أنا .. امرأتى تشاكس الحكومة . وأنا الذى ينتقم منى .. وأنقل إلى آخر البلاد ! ..

الزوجة: الثبات على المبدأ مرتفع التكليف ! ..

الزوج : المبدأ . ! وما شأنى أنا بمبدئك ! .. وما مصلحتى .. وما منفعتى ... أنسى .. وأمتن .. وأضطهد .. هل إذا جاء حزبك إلى الحكم يصلح حالتي ؟.

الزوجة: أبداً .

الزوج : (منفجرا) يا للكارثة التى وقعت على رأسى ! . يا للمصيبة التى جاءتنى بك ! .. أيتها النائبة التى قصمت ظهري ! ..

الزوجة: (ترهف الأذن) صه ما هذا ؟ ... ميمى قد استيقظ ! . (يدخل الطفل ميمى ... وهو يفرك عينيه ...) ..

الطفل : ماما .. ماما ..

الأم : ميمى ! لماذا قمت من فراشك يا حبيبى ... (تحضنه) إنك تتصبب عرقا .

الطفل : أريد أن أشرب .

الأم : (لزوجها) كوب ماء بسرعة يا عبد السلام ! .

الزوج : (فى إذعان) حاضر .

(يخرج وهو يتهدد ...)

الأم : (تجس طفلها) أنت محموم يا ميمى .. ماذا تحس ؟ .
الطفل : بطنى ..

الأم : بطنك ؟ . أين ؟ ..

الطفل : (يشير إلى معدته) هنا ..

الأم : (تجس الموضع) هنا ؟ بماذا تشعر هنا ..

الطفل : توجعنى ..

(يدخل الزوج بكوب الماء ...)

الأم : (لزوجها وهى تتناول منه الكوب لتسقى الطفل) يشعر بألم فى المعدة !

الزوج : من براغيت الست !

الأم : ماذا ...

الزوج : براغيت الست التى يشتريها من أمام الباب ، ويملاؤها بطنه ! .. هذا أهون ضرر يصيبه .. ما دام متروكا لعناية بنت خدامة صغيرة جاهلة .. بينما الست فى البرلمان ثابتة على المبدأ ! ..

الأم : كيف تدعه البنت يأكل شيئاً من الطرقتى .. لقد أوصيتها مسرراً ونهيتها ..

الزوج : ماذا تنتظرين من خادمة لا يزيد مرتبها على تسعين قرشا فى الشهر ! ..
الأم : إلهى ! .. ماذا أستطيع أن أصنع ..

الزوج : لو كان زوجك فى الدرجة الثالثة .. أما كان لطفلنا ميمى الآن مربية محترمة .. أيتها النائبة المحترمة ! ..

الأم : (بصوت ضعيف مطرقة) آه يا عبد السلام .. لا تحاول أن تضعفنى .
الزوج : لست أحاول شيئاً .. هذا حقك .. من حقك أن تضحى بزواجك و .. بطفلك ! ..

الأم : (تضم طفلها بشدة) ميمى ! .

الطفل : ماما ..

الأم : نعم يا ميمى ..

الطفل : أين كنت الليلة ..

الأم : كنت فى .. فى ..

الطفل : فى السبنا ..

الأم : لا .. فى مكان .. آخر ..

الطفل : لماذا لم تأخذينى معك فى هذا المكان ...

الأم : لأنى .. لا أستطيع أن آخذك معى .. هناك ..

الطفل : ولماذا تركتنى بالليل ؟

الأم : لأنى .. لأنى .. ألم يكن معك أبوك ..

الطفل : بابا لم يعرف كيف يحكى لى الحكاية .. قصى على أنت حكاية الفيل والبيغاء .

الأم : (كالخطبة نفسها) البيغاء .. (تفكر لحظة ثم تنهض فجأة ...) عبد السلام .. خذ ميمى لحظة (تضع الطفل فى حضنه)

الزوج : لماذا ! . ماذا تريد أن تصنعى . ! ...

الأم : ستعرف الآن .. تتجه إلى مكتب صغير فى ركن القاعة . وتكتب خطابا سريعا .

الزوج : (وهويراقبها) إنى أعرفك ... إنك مقدمة على قرار خطير ... أقرأ كل شىء على صفحة وجهك .. قبل أن أقرأه على صفحة خطابك ! .
الأم : والآن . إلى التليفون ..

(تترك القلم .. وقد فرغت من الخطاب السريع .. وتمسك السماعة وتدير القرص ..)

الزوج : تطلبين من ... فى هذه الساعة . ! .

الأم : (فى التليفون) ألو .. ألو .. معالى الباشا .. مساء الخير .. نعم .. غيرت رأى فعلا .. إقناع النائب بكل وسيلة .. لا يا سدى .. لن أأخذ أبدا هذه الوسائل .. أنت لم تفهم قصدى .. غيرت رأى فى حياتى نفسها .. كتبت خطابا إلى رئيس المجلس ، أستقيل من عضوية

— ٨٥ —

البرلمان .. مفاجأة غير سارة لك ؟ ولكنها سارة لي ولزوجي ولا بني ،
أرجو أن تصبح على خير ! ..
(تضع السماعة .. وتتجه إلى زوجها ..)
الزوج : (مذهولا) تستقيلين من البرلمان ! ...
الأم : (تمديدتها نحو طفلها) أعطني ميمي الآن لأحكي له الحكاية .

(ستار)

من وحك الحياة الزوجية

أصحاب السعادة الزوجية

تمثيلية في فصل واحد

(حجرة استقبال .. « حسنى » وزوجته « عليّة » فى ثياب
السهرة : جالسان ينتظران بصبر نافذ ، وأعينهما تتطلع إلى أحد
الأبواب المغلقة)

حسنى : (يلتفت إلى زوجته) هل عرفت من ستزف العروس الليلة من
المطربات ؟ ..

عليّة : والله فانتى أن أتحرى لك هذا ..

حسنى : لا داعى للتحرى ... لم يعد سراً أن لى صلة شخصية وثيقة بأكثر
مطربات البلد ! ..

عليّة : نعم .. إنك تطلعننى أولاً بأول على كل صلاتك وعلاقاتك ! .

حسنى : إنها ليست كلها بريئة .

عليّة : (بهدوء) قلت لى ذلك أيضاً مراراً يا زوجى العزيز !

حسنى : أنا كما تعرفين رجل صريح .. عيى الأساسى أنى رجل فى غاية
الصراحة ..

عليّة : صراحتك لا تسوؤنى على كل حال ..

حسنى : نعم .. لا تسوؤك .. لا شىء يسوؤك أو يؤلمك أو يزعجك أو
يشيرك ... وهذا من حسن حظى .. فأنا رجل اعتدت أن أتحونك مع
كثير من النساء ... لا رغبة فى جرح إحساسك غير الموجود .. بل
لأنى هكذا خلقت .. ملتهب العواطف .. قلبى فرن .. فرن متسع ..
لا يكفيه أن يلقى فيه رغيغ واحد .. (يشير إلى زوجته)

عليّة : (باسمة) هذا الرغيغ دخل الفرن منذ خمسة أعوام .. لا بد أن يكون
قد احترق !

حسنى : (صائحا) أبدا .. لم يزل عجينا باردا .. وهنا المصيبة .. من أى مادة
أنت مصنوعة . من حجر .. من أسمنت .. من حديد .. من

صلب ..

علية : بل من الدقيق الذى يصنع منه البسكويت ...

حسنى : بسكويت .. أنت .. ولا تفتتين من الغيرة على زوجك ..

علية : لقد منحت زوجى ثقتى الكاملة .. أليست الثقة الكاملة هى حير ما تعطيه الزوجة لزوجها ...

حسنى : الثقة الكاملة ... هذا شئ يفرح به السياسى والوزير والبرلمانى .. أما الزوج .. الزوج يا سيدتى .. الزوج ..

(يفتح الباب المغلق قليلا ... ويسمع من خلفه لغط ...)

علية : صه .. أختى تحية انتهت من اللبس ... أخيرا ..

حسنى : (وهو يرى الباب يغلق من جديد) عادا فأغلقا الباب ..

علية : لتناقش زوجها .. سنصل إلى بيت العرس آخر الناس .. لأنهما فى حجرتهما غارقان يتناقشان ...

حسنى : (متحسرا) زوجان سعيدان ..

(يسمع صوت ضجيج وصياح فى الحجرة المغلقة وأوان تتحطم وأثاث يلقى على الأرض ... ثم لا يلبث الباب أن يفتح ، وتخرج « تحية » ولم تتم كل لبسها .. وخلفها زوجها « صلاح »)

تحية : لن أذهب إلى هذا الفرح ..

علية : لماذا .. ما الذى جرى ..

تحية : (تشير إلى زوجها صلاح) سلى هذا الزوج الكاذب الغادر الخائن ..

صلاح : لا حول ولا قوة إلا بالله ..

علية : ماذا حدث ؟

صلاح : المسألة فى غاية البساطة ..

تحية : بل فى غاية الخطورة .

صلاح : بالطبع فى غاية الخطورة لو أنها كانت قائمة على أساس .. ولكن مجرد

الالتهام ..

تحية : ليست المسألة مجرد اتهام .. إنها حقيقة لا تقبل الشك .. حقيقة أمسكها بيدي .. حقيقة أراها بعيني . إني أقسم . أقسم . أقسم .

صلاح : اعقلي يا تحية . اعقلي .

تحية : أقسم أنك تخوننى ..

صلاح : أنا ؟

تحية : أقسم أنك متصل بكثيرات من النساء . ومنهن مطربة الفرح . الليلة .

صلاح : ما هذا الظلم يا ناس . يا لها من زوجة ظالمة ..

حسنى : (كالتحاطب نفسه متحسرا) يا له من زوج سعيد ..

صلاح : ثقوا أنى لا أعرف من هذه المطربة ..

تحية : ألم تسمع باسم المطربة الشهيرة « نهاد » ...

صلاح : سمعت . ولكنى لا أعرفها معرفة شخصية .

تحية : هذا لا يمنع من أنك تعرف كيف تداعبها وتغازلها .

صلاح : وهل هذا حصل ؟

تحية : حصل . وشاهدته بعيني التى فى رأسى .

صلاح : أين . ومتى .. أين .. ومتى ؟ .

تحية : صلاح لا تحاول الكذب على زوجتك ..

صلاح : عقلى سيطر من دماغى ..

علية : أنت واثقة يا تحية مما تقولين . إن المعروف عن صلاح أنه فى منتهى

الاستقامة .. وأنه لا يقل فى الاستقامة عن زوجى .

حسنى : (محتججا) ومن قال لك أنى مستقيم .

علية : ثقنى بك التى لا حد لها .

حسنى : يا مصيبتى .. يا شقائى ...

تحية : ظنوتى دائما فى محلها .. مع الأسف الشديد . اذهبوا أنتم بدونى ..

أرجوكم ...

عليه : العروس بنت خالتنا .. وسيكدرها تغيبك .

تحية : زوجي ينوب عني .. قولوا إني مريضة ...

صلاح : لن أذهب ..

تحية : ستذهب .. لن أحرمك من حضور هذه السهرة الممتعة .. ومن

مقابلة هذه المطربة الساحرة .. ومن ..

صلاح : كفى .. لن أذهب بدونك .

تحية : لا .. لا أحب أن أخرجك بوجودي معك .. أو أضطرك إلى مغافلتى

لاختلاس النظر إليها .. اذهب وحدك .. لتكون على راحتك ..

صلاح : لن أذهب أنا .. أبدا .. اذهبي أنت بدوني ..

تحية : بدونك .. نعم .. لأنك تخشى أن أرى احمرار وجهك وأنت

تحدثها . وأن أسمع دقات قلبك وأنت تدنو منها ..

صلاح : أف .. إذن .. لا نذهب نحن الاثنين .

تحية : هذا هو الحل .. الآن في رأيك .. وقد انكشف أمرك .. على وعلى

أعدائي يا رب .. أليس كذلك . فليكن .. فلنخلع ثيابنا .. ولنمكث

في بيتنا ... ولأتحمل أنا إطراقل الطويل ، وتقريعك الصامت لى ، إذ

كنت السبب في هذا التفريق الليلة بينك وبينها ...

صلاح : بيني وبينها ! .. من هي يا ناس .. إني سأجن .. يا عليه .. هل أختك

هذه في حالة طبيعية ...

عليه : (تتجه نحو أختها) دعونا لحظة على انفراد ! ...

حسنى : (يتشبث بمقعده) لن أترك مكاني .. ماذا ستقولين لها .. إنها في حالة

طبيعية جدا .. إنها الزوجة المثالية . إياك أن تحاول تغيير طباعها وإفساد

أخلاقتها .

عليه : ابقيا إذن ها هنا . ولتترك لكما نحن المكان .. هلمى بنا يا تحية إلى

حجرتك .. أساعدك على إتمام لبسك .

تحية : لن ألبس . ولن أذهب . أكان هذا الكلام كله في الهواء ..

علية : إذن هلمى أساعدك على خلع ملابسك هذه . وارتداء ثياب البيت ...

تحية : أما هذه فنعم . هيا بنا .

صلاح : (كالمخاطب نفسه) مستحيل .. إني لا أصدق .

(تدخلان الحجرة وتغلقاتها عليهما .. يبقى الرجلان « الزوجان

في مكانهما ...)

حسنى : لا تصدق ماذا ؟

صلاح : لا أصدق أن زوجتك ستنجح في إقناع زوجتى ! .

حسنى : إقناعها بماذا ؟

صلاح : بأن تطرح هذه الظنون السيئة التى لا مبرر لها .

حسنى : أسمح لى أن أطرح عليك سؤالاً ؟ ..

صلاح : تفضل !

حسنى : جاوبنى بصراحة ؟ ما هى حقيقة شعورك . الخفى الداخلى ؟ .. بماذا

تشعر فى أعماق نفسك عندما ترى امرأتك تشك هكذا فى

إخلاصك ، وتظن فى حبك الظنون .. وتزعج .. وتأتلم .. وتنفعل

وتثور عليك !

صلاح : أشعر أنى فى جهنم !

حسنى : كفى ! ..

صلاح : ماذا دهاك . لماذا تنظر إلتى هذه النظرات . !

حسنى : أتأملك وأفحصك وأدرسك .. آه .. لو لم أكن محامياً .. وكانت لى

قدرة على التصوير وصناعة التماثيل ... لكنت الآن قد صنعت لك

تماثلاً أطلقت عليه اسماً منطبقاً ناطقاً فى لفظ واحد ! .

صلاح : ماهو ..

حسنى : البطر ..

صلاح : البطر . !

حسنى : نعم . البطر بالنعمة والكفر بالسعادة !

صلاح : أتمزح ..

حسنى : (وهو يتأمله) تمثال بصورك وأنت تبرم بزوجة ، تحيطك بدفء الحرص وحرارة الاهتمام .

صلاح : الحرارة عندما ترتفع إلى درجة الغليان .. ألا يسمونها « الجحيم » ؟ !

حسنى : لا يا عزيزى .. « الجحيم » هو عندما تنخفض الحرارة إلى ما تحت الصفر !

صلاح : اسمع يا حسنى .. إنك تدافع عن موقف تحية .. لأنك محام .. لا بد لك بحكم مهنتك وطبيعتك من شخص تترافع عنه . حتى وإن كنت لا تنتظر « أتعاباً » .. ولكن ..

حسنى : لا . ليس المحامى الآن هو الذى يتكلم .. ولست أدافع عن تحية ولا عن قضية .

صلاح : عن أى شىء تدافع إذن ؟

حسنى : عن الحقيقة .. التى أعرفها وأحسها وألمسها .

صلاح : إنك لا تعرف عنها شيئاً كثيراً ، هذه الحقيقة .. وما رأيت منها الليلة أمامك ليس إلا قدراً يسيراً مما يقع بيني وبين تحية .. ولو قصصت عليك ما تبادلته من أحاديث ملتهبة ومناقشات ؟ طوال الساعات واللمحظات .

حسنى : قص على . وأمتعنى ! .

صلاح : إن عملى فى « العيادة » مرهق .. كما تعلم . ما أكاد أنتهى منه وأعود إلى

منزلى .. حتى أجد « تحية » فى استقبالى بماذا ؟ .. بابتسامة ؟ لا .

بخبير لطيف ؟ .. لا .. بحكاية ظريفة ؟ .. لا .. أتدرى بماذا

تستقبلنى ...

حسنى : بماذا ؟ .

صلاح : بفتح ..

حسنى : بفتح قلبها لك .

صلاح : بفتح « محضر تحرى » لى .. من جاء « العيادة » اليوم من النساء .. كم

عددهن . وهل كن جميلات .. ألم تعجبك واحدة من بينهن ...

ماذا قلت لهن . ولماذا جئن إليك .. بأى مرض . أو لم تحدثهن بغير

هذه الكلمات .. أهذا معقول ؟ ألم تضرب لك إحداهن موعدا ...

ألم تنظر إليك واحدة منهن نظرة ذات معنى ؟ . ماذا كن يرتدين من

الثياب والزينة والحلى عند حضورهن إليك . لم تلق بالالى ذلك . ا

هاها .. من تريد أن تستغفل بهذا الكلام . والشعر . ستقول أيضا إنك

لم تلتفت إلى « تسريحة » الشعر . ! ستزعم أنك « مزكوم » ...

وأحمر الشفاه ستقول إنه فى عينك قد انقلب أصفر ! والنطق « بدلع »

ودلال ستزعم أنه لم يقرع طبللة أذنك ! .. تريد من زوجتك التى شاء

لها سوء الحظ والطالع أن يكون فى رأسها عقل ومنطق ، أن تقتنع بأنك

فى البيت سليم معافى ، وفى « العيادة » أعمى ، أخنف ، أخرس ،

أصم ! أيها الزوج الخائن . أيها الزوج القاتل إنك تعذب زوجتك ..

إنك تقتلها . إنك تحرقها .. إنك تدميها .. إنك تشويها ... ثم تأخذ

هذه الزوجة بعد هذا البرق والرعد تذرف من عينيها الدمع كأنها

المطر ..

حسنى : (ملتذا) ما أجمل كل هذا . وما أبدعه ! .

صلاح : كارثى الكبرى هى أنى لم أكذب قط يوما على زوجتى ومع ذلك فهى

تأبى أن تصدق حرفا واحداً مما أقول ، ثقب أنى أحب امرأتى .. ولا

أحب النظر إلى غيرها أبداً من نساء الأرض . ولكنها إذا رأتنى ألاطف

عجوزا شمطاء .. أو أحداث خادمة حقيرة . أو أجامل زائرة عابرة ..
فإنها توقن لساعتها أن خيانة قد وقعت أو في طريق الوقوع .. وتطوى
الأمر في صدرها أياما .. ويجسمه الوهم حتى يصيره حقيقة . فإذا هي
تعاملني كما لو كنت مجرما . إنها أحيانا تخيفني وتضعني في مواضع
الخرج . بلا ضرورة ولا مبرر .. زارتها صديقة لها ذات يوم . وكنت
على وشك الخروج إلى العيادة فأصرت على أن أمر بالصالون وأحيى
الضيقة . فلما فعلت ما أرادت قالت لي الضيفة مازحة :

« ما من أحد يراك إلا في عيادة أو في حالة مرض ؟ أتمنى أن أراك
في ظرف سار .. ما رأيك لو دعوتك إلى تناول الغداء أو العشاء ،
وقدمت إليك اللون الذي تحبه من الطعام ؟ فوعدها خيرا وانصرفت
لشأني ، فلما عدت إلى البيت في المساء وجدت امرأتى متجهمة
تقول : لماذا كانت مهتمة بك كل هذا الاهتمام . » فقلت : « لم
ألاحظ اهتماما غير غادى .. » فقالت في غيظ مكثوم : « انتظر إذن
دعوتها » فقلت : « هذا مزاح .. أخذته مأخذ الجد ؟ إنها كانت
تمزح » أو تدري يا حسنى ماذا حدث في اليوم التالي ؟

حسنى : ماذا حدث ؟

صلاح : خاطبتني بالتليفون هذه الضيفة حقيقة . طلبتني في العيادة .. ودعتني
إلى العشاء وقالت لي إنها أعدت لي لونا من الطعام سيعجبني .

حسنى : وقبلت الدعوة ؟

صلاح : أنا مجنون ؟

حسنى : ماذا قلت لها إذن ؟

صلاح : سألتها : « هل اتصلت بزوجتي ودعوتها ؟ .. فأجابت « لا » فقلت
لها عندئذ بلهجة خشنة جافية . « وهل تظنين أني أقبل حضور عشائك
بدون أن تكون زوجتي معي ؟ » ووضعت في الحال السماعة دون أن

أنتظر منها كلاماً .

حسنى : يا للأمانة والوفاء .. بادرت طبعاً وأخبرت زوجتك بموقفك المشرف .

صلاح : لا . لم أخبرها بشيء على الإطلاق ..

حسنى : ولماذا لم تخبرها ؟

صلاح : لأننى أعرف طباع « نحية » زوجتى . إنها لن تتلقى منى الخبر بالشكر

والحمد .. بل ستقول لى مهتاجة منتصرة « ألمؤكد لك أنها

ستدعوك ؟ إن شعورى لا يخطئ . إنها مهمة بك .. » أما موقفى

المشرف فإنها لن تصدقه أبداً ولو حلفت لها الأيمان المغلظة على

المصحف والبخارى .. هذا إذا كانت صديقتها حقاً هى التى خاطبتنى

فى التليفون ..

حسنى : أأست إذن واثقاً ؟

صلاح : إنى أستبعد كثيراً أن تكون هذه الصديقة قد خاطبتنى حقاً .. فهى

سيدة فاضلة ، لم يعرف عنها عوج ولا طيش ، وزوجها رجل محترم ،

لا شك أنها تخلص له .. ومن غير المقبول عقلاً أن تتصرف هذه السيدة

هذا التصرف الشاذ غير اللائق فتدعونى بمفردى إلى بيتها على غير علم

من صديقتها زوجتى ومعرفتى بها كما ذكرت لك ، سطحية عابرة .

حسنى : ومن التى خاطبتك إذن ؟

صلاح : هنا اللغز .

حسنى : ألم تتبين الصوت ؟

صلاح : أصوات النساء فى التليفون تتشابه .. خصوصاً لمن كانت صلتك بهن

ضعيفة . ولكنى موقن بأن الصوت على كل حال ليس صوت

زوجتى .

حسنى : زوجتك .. وما دخل زوجتك هنا .. آه .. أتظن أنها ..

صلاح : أظن ؟ بل أرجح أنها هى التى دبرت حكاية مخاطبتى بالتليفون على هذه

الصوررة لتمتحننى ..

حسنى : لقد نجحت فى الامتحان .. بتفوق ! . فماخوفك فى هذه الحالة من إخبارها .

صلاح : انتظرت أن تفتحنى هى . قائلة بحنان وإيمان . « عرفت إخلاصك أيها الزوج الأمين الوفى ... »

حسنى : أو لم تفتحك ؟

صلاح : أبداً .. مضى الآن على ذلك الحادث نحو أسبوعين وفهما لم يفتح بحرف ، ووجهها لم يبد عليه أثر لشيء ... حتى أخذ الشك يدب فى نفسى من جديد وبدأت أقول لنفسى : ربما كانت هى بريئة بعيدة عما حدث . وأن تكون تلك السيدة الفاضلة قد فقدت عقلها حقاً وارتكبت تلك الحماسة بالفعل .

حسنى : وبعد ؟

صلاح : لا يوجد بعد .. المسألة واقفة عند هذا الحد . إنى أكنتم عنها للآن أمر تلك المحادثة التليفونية . لأننى حائر مخرج .. لا أستطيع الجزم بحقيقة من خاطبنى . ولا أستطيع التكهن بنتيجة إخبارى .. ولا بما سيكون من موقفها حياى .. لعلها أول مرة أكذب فيها على زوجتى .. أو على الأصح أخفى فيها شيئاً عنها .. ولكن ثق أنها هى التى ترغمنى على هذا الإخفاء بظلمها وسوء ظنها .

حسنى : ما أحلى هذا الظلم !

صلاح : ماذا تقول ؟

حسنى : لا شيء .. استمر استمر ..

صلاح : هذا كل ما فى الأمر .

حسنى : لا .. لا تقل إن هذا كل ما فى الأمر .. قص على البقية ، بقية ما يحدث بينكما .. تكلم .. أفصح .. وشرح ، واسرد لى التفاصيل .

(بين يوم وليلة)

صلاح : أيعجبك هذا الموضوع ؟

حسنى : جداً ..

صلاح : عجباً .. أو لم يحدث لك مثل هذا ؟

حسنى : أنا ؟ (يتنهد) .. آه ..

صلاح : كلنا فى الهم سواء ... أليس كذلك .. ما زوجتك إلا أخت

زوجتى .. فلا بد أنه يحصل لك مثل ما يحصل لى .

حسنى : (صائحاً) اسكت من فضلك .. لا تجعلنى أنفجرإنى على وشك

الانفجار إنى لحم ودم يا ناس .. إنى إنسان .. إنى زوج . لا أستطيع

أن أبقى متفرجاً أشاهد كل هذا .. ولا أبكى حظى وأندب محتى

ومصيتى وطامتى ..

صلاح : طامتك ومصيتك ؟ إلى هذا الحد ؟ أنت أيضاً ؟!

حسنى : نعم .. طامتى ومصيتى ومحتى !

صلاح : ولكن المعروف أن زوجتك أعقل من زوجتى بكثير وألن عريكة

وأربط جأشاً وأضبط أعصاباً .. وأهدأ روعاً .

حسنى : (صائحاً) هنا المصيبة .. هنا المصيبة ..

(يفتح باب الحجرة .. وتظهر تحية ومعها عليّة وتسمع تحية

الكلمة)

تحية : (متجهة) تتحدثان عن مصيبة ؟!

حسنى : مصيبة أخرى .. لا مؤاخذه .. أقصد ..

عليّة : (باسمّة) تقصدنى أنا بالطبع ..

حسنى : (متحدّياً) بدون شك أقصدك أنت ..

عليّة : لأننى ناقشتك الحساب وضيقت عليك يوماً الخناق ؟

حسنى : أبدا ...

عليّة : لأننى عنفتك يوماً وأنتك ووبختك ؟

- حسنى : أبدا ..
 عليّة : لأنى أهذرت يوما حريتك وعارضت إرادتك ؟
 حسنى : أبدا ..
 عليّة : لأنى ارتبت يوما فى سلوكك .. وشككت فى تصرفاتك ؟
 حسنى : أبدا ..
 عليّة : إذن لماذا أنا مصيبة ؟!
 حسنى : لأنك .. لأنك .. ماذا أقول يا ناس ؟
 عليّة : اعقل يا حسنى .. اعقل .
 حسنى : أف ! .. العقل العقل ! العقل (صائحا) إنى زوج غير سعيد ..
 وكفى !
 عليّة : فلنؤجل الكلام فى سعادتك حتى نكون فى بيتنا ! نحن الآن فى بيت
 تحية .. ويجب أن نتكلم فى شأنها هى .. لقد حاولت إقناعها ..
 ولكنها تريد قبل كل شىء أن تستفسر من زوجها عن أمر .. ها هو ذا
 صلاح أمامك يا تحية .. تكلمى .
 تحية : صلاح .. أعتقد حقا أنى أتهمك ظلماً .
 صلاح : بالتأكيد .
 تحية : أتقسم لى إذن أنك لم تكذب علىّ مرة .. ولم تكتم عنى شيئاً ؟
 صلاح : (يلتفت إلى حسنى فى حيرة وخرج) أسمع ؟
 تحية : (لصلاح) أجب ؟!
 صلاح : (لحسنى) لو كنت فى مكانى الآن يا حسنى ، ماذا تصنع ؟!
 حسنى : إنى لست فى مكانك إنى فى مكان آخر .. أنت فى النعيم ولا تدرى .
 أما أنا ففى ..
 تحية : (لأختها) أرايت يا عليّة ! إنه يتردد .. إنه إذن يخفى عنى أمراً ..
 صلاح : وأنت .. أتقسمين أنك لا تخفين أمراً عنى ؟

— ١٠٠ —

تحية : لا تهرب من الإجابة بالسؤال .. أجبني أنت أولاً .. وبعد ذلك أجبك أنا .

صلاح : ما هو سؤالك بالضبط .

تحية : ألم تكتم عني شيئاً ؟

صلاح : شيئاً ؟ من أى نوع ؟ مما له صلة بك طبعاً ؟

تحية : طبعاً .

صلاح : شيء لا يخريني ولا يشينني أن أخبرك به ؟

تحية : هذا لا يشترط .

صلاح : شيء لو أخبرتك به لكان ذلك في مصلحتي ؟

تحية : لو كان ذلك في مصلحتك لما كتمته عني .

صلاح : سمعت يا حسنى ؟! ألم أقل لك ؟!

تحية : أجبني ولا تراوغ .

صلاح : وأنت لماذا كتمت عني هذا الأمر ولم تفاتحيني به .

تحية : أى أمر ؟

صلاح : هذا الذى تلمحين إليه .

تحية : أفصح .

صلاح : (متردداً) صديقتك .

تحية : صديقتى من ؟

صلاح : التى خاطبتنى بالتليفون .

تحية : ما تقول ؟

صلاح : أولاً تعرفين شيئاً عن هذا الموضوع ؟!

تحية : وكيف تريد منى أن أعرف ؟ هل أخبرتنى أنت به .

صلاح : (كالمخاطب نفسه) آه انزلت قدمي وانتهى الأمر ..

تحية : وماذا قالت لك تلك الصديقة فى التليفون ؟ ومن هى ؟ لا بد أنها تلك

التي كانت مهمة بك ذلك الاهتمام .. شعورى لا يخطئ . دعتك
طبعاً إلى العشاء .

صلاح : ولكنى رفضت .

تحية : ولماذا ترفض ؟

صلاح : أو كنت تنتظرين منى أن أقبل .

تحية : ماذا قلت لها ؟

صلاح : قلت لها : « كان الواجب أن توجهى الدعوة إلى زوجتى . لأنى لا
أذهب بدونها » .

تحية : أتدرى لماذا قلت لها ذلك ؟ لأنك اعتقدت أنى بجوارها فى التليفون
أراقب إجابتك .

صلاح : يا حفيظ .

تحية : أتقسم أن هذا لم يكن اعتقادك فى تلك اللحظة ؟

صلاح : أف ! أنت زوجة ؟ . أنت نائب عمومى .

تحية : لا يكره النائب العمومى غير المذنب .

صلاح : لست أكرهك ولست مذنباً .

تحية : لماذا تضيق إذن بمجرد استفسار منى .

صلاح : لأن حياتنا تضيق بحماقة فى سين وجيم . بينما الدنيا مملوءة بأشياء أخرى
نقولها ، وأحاديث أخرى نتبادلها .

حسنى : تريد أحاديث فى السياسة ، فى الانتخابات ، فى هيئة الأمم ، فى مجلس
الأمن !

عليه : اسكت أنت ولا تتدخل بينهما .

حسنى : (يضع رأسه فى كفيه) سكت .

تحية : (لزوجها) ومن المسئول عن ضياع حياتنا بهذا الشكل ؟ . أليس هو
أنت ؟ أنت .. لو أنك فتحت لى قلبك لأقرأ كل ما فيه .

صلاح : فتحت لك قلبي من أول يوم .. بصفحته البيضاء النقية . ولكنك تقرئين ما في ذهنك أنت .. لا ما في قلبي أنا .

تحية : ذهني أنا هو الذي جعلني أكتشف الحقيقة .

صلاح : تكتشفين الحقيقة ؟ . أى حقيقة ؟ من يسمعك تقولين هذا ، يعتقد أنك ضببطتنى متلبساً أو رأيتنى رؤية العين ؟ .. ماذا حدث منى ؟ ماذا حصل ؟ ألم تضعينى تحت الملاحظة الدقيقة ، كما يضعون المشبوهين .. ألسنت أخرج في ميعادى وأعود في ميعادى . هل تأخرت ؟ هل سهرت ؟ ألم تجرى لى امتحانا نجحت فيه .

تحية : ومن قال إنك نجحت ؟

صلاح : (صائحا) سقطت !؟

تحية : وماذا كنت تنتظر إذن ؟

صلاح : سقطت لأنى رفضت الدعوة ؟؟ وماذا كان يجب أن أصنع لأنجح ؟

أكنت أقبل ؟؟ .. مستحيل ! ما هى إذن الإجابة الصحيحة ؟ من

فضلك ، أرجوك ، عقلى سيذهب .. دلينى على الإجابة المطلوبة ؟

تحية : لقد غششت ! .. رتبت الإجابة .. لأنك عرفت الامتحان ..

وفهمت أنى موجودة خلف كل هذا .. ولو كان الموضوع طبيعيا ؛

وكانت المرأة التى خاطبتك بعيدة عنى غير معروفة لى ؛ لكنت قبلت

دعوتها ؛ وذهبت إلى مواعدها ..

صلاح : وكيف تحكمين بذلك ؟ .

تحية : إنى متأكدة ..

صلاح : يا زوجتى ! ... ارحمىنى ! . ماذا فعلت فى دنياى يا رنى ! .. إنى

موقن لو أن الله تعالى أرسل لى ملكين من السماء ؛ للملازمتى وتتبع

خطاى ... وجاءا إليك بعد ذلك يا تحية ، يشهدان لى بالاستقامة

وحسن السير والسلوك .. لا تهتمهما بالمدارة على والتحيز لى ..

ومكثت على ظنك السيء .. لا فائدة ما دامت الثقة معدومة ..
حياتنا الزوجية يا تحية تعسة .. مريضة .. تعاني فقرا شديدا ؛ ونقصا
خطيرا في « فيتامين » اسمه « الثقة » .. لو استطعت فقط أن تحصلى لى
منه على ذرة . حبة .. جرام . جرام « ثقة » ! .

حسنى : (كالتخاطب نفسه) وأنا عندى تضخم فى « الثقة » ! .
تحية : إنى يا صلاح لا أتمنى شيئا إلا أن أمنحك كل ثقتى .. ولكن يجب أيضا
أن تساعدنى أنت على تحقيق هذه الأمنية ؟ ..

صلاح : إنى رهن إشارتك .. ماذا تطالبين ؟ .
تحية : جاوبنى فقط بصراحة . بصراحة مطلقة .. عن هذا السؤال ..
صلاح : تفضلى ! ..

تحية : ما مدى معرفتك بنهاد ؟ .

صلاح : نهاد ؟ ! . من هى نهاد ؟ ! .

تحية : مطربة الفرع الليلة ..

صلاح : أقسم لك أنى لا أعرفها .

تحية : حذار من الكذب ..

صلاح : أقسم لك ..

تحية : ألم تقابلها ؟ .

صلاح : قلت لك لا أعرفها .. تحية أصدقينى أنت .. لماذا تهمينينى هذه

التهمة ؟ على أى أساس .. أمى وشاية ؟ أهو خبر مدسوس . أهى

إشاعة ؟ أخبرينى ما هو أصل الموضوع ..

تحية : رأيته وهى تداعبك . ورأيتك وأنت تغازلها ..

صلاح : رأيته بعينيك ؟ .

تحية : بعينى .

صلاح : أين ؟ أين ذلك .

تحية : فى الفرح ..

صلاح : أى فرح .

تحية : فرح الليلة .

صلاح : الليلة ؟ . وهل نحن ذهابنا إليه بعد ؟ .

تحية : رأيته البارحة فى المنام وما أراه فى المنام يصدق دائما . ولا يخيب أبدا .

رأيت الفرح وحفلة الزفاف .. والمطربة « نهاد » تزف العروسة على

السلم .. وأنا فى ثوبى هذا الذى سأذهب به .. وثوب أختى « عليّة »

هذا الذى ترتديه .. وكل التفاصيل الدقيقة واضحة لعينى كأنها حقيقة

لا حلم وإذا بنى أراك تغافلى وتنسل من جانبى .. وتلحق بالمطربة نهاد

وتلاطفها وتضحكها .. وهى تمازحك وتداعبك .. وتكاد تسهو

عن الحفلة وتشغل بك .. ثم أخذت فى مغازلتها على نحو فاضح

مكشوف .. تهامس له المدعوون والمدعوات .. بينا الدم يغلى فى

عروقى من الخنق ؛ ويصبغ وجهى من الخجل .. ولا أجد لنفسى من

هذا الموقف مخرجا .

صلاح : طيب محترم مثل يصنع ذلك فى حفلة عرس ؟

تحية : هذا ما رأيته .

صلاح : رأيته فى أوهامك .

تحية : فى حلمى الذى لا يخيب وسترى أن كل هذا سيتحقق .

صلاح : (صائحا) شاهدة يا عليّة ؟ . يعجبك هذا من أختك ؟ . تهمنى

هذه التهم .. وتغضب هذا الغضب .. وتثور هذه الثورة .. الحكاية :

أولا .. رأيتهما فى المنام .. ثانيا .. لم تحدث بعد ..

تحية : ستحدث ..

عليّة : هذا كثير يا تحية .. كثير .. أكثر من اللازم .. أنت مجنونة يا تحية ..

مجنونة .. اعقلى اعقلى ..

حسنى : (لزوجته) لا تعنفها هكذا .. أيتها العاقلة ! .. آه منكم يا حضرات العقلاء ! .. كل من كان واسع الخيال ترمونه بالجنون وتقولون له : اعقل .

عليه : (لتحية وهي تتناول ذراعها) هيا بنا إلى الفرح ؟ .. لقد أضعت علينا الوقت بهذه المزاعم الوهمية .

تحية : سيضايقني أن أرى وجه « نهاد » ! .

عليه : انسى يا تحية هذا الحلم .. لا تظلمى الناس بناء على رؤيا فى المنام ! .

تحية : إنك لا تعرفين أحلامي . إنها دائما ...

عليه : وهل حلمك هو الذى قال إن نهاد ستكون مطربة الفرح ؟ أو أن مصدر علمك العروس وأهلها ؟ . إلى لم أحاول بعد الاستعلام .

تحية : ومن سيحضرون غير « نهاد » ؟ . إلى أقرأ اسمها دائما فى الصحف والمجلات فى مناسبات الزفاف .

عليه : (تلتفت حولها بسرعة) أين التليفون ؟ .

صلاح : (يتجه إلى التليفون ويديره لها) تطلبين رقم .. ؟

عليه : خالتنا .. بيت الفرح . تسمح . (تمسك بالسماعة وتديره هى الرقم

ثم تتكلم .) ألو .. من . خالتى .. مساء الخير ! . تأخرنا لأن تحية

أبطأت فى اللبس .. نعم أتكلم من عندها .. حالا .. سنحضر بعد

لحظة .. قولى لى يا خالتى . من مطربة الليلة ؟ . من ؟ لا توجد

زفة .. آه حفلة جد .. من المطرب ؟ . صالح عبد الحى . فقط ..

متشكرة .. (تضع السماعة .)

تحية : (بدهشة) صالح عبد الحى ..

عليه : نعم فقط .. هذه هى أحلامك التى لا تحيب ..

حسنى : (لزوجته) خير من أحلامك التى لا صخب فيها ولا غضب .. حتى

الأحلام فى بيتنا معقولة ... لعنة الله عليها من حياة ..

— ١٠٦ —

صلاح : (لزوجته) براءة ؟

تحية : حالفك الحظ الليلة . مجرد مصادفة .. ولكن غدا .. قد يكون هناك
استئناف ..

صلاح : مفهوم .. لا أمل .. محكوم على حياتي بالخنق .. ما أنت إلا رباط
رقبة .. « كرافته » من حرير .. تزين الصدر .. وتضغط على
العنق ! .

(ستار)

من وحك حرب فلسطين

مولد بطال

تمثيلية في منظرين

المنظر الأول

(مستشفى عسكري في القاهرة .. ضابط شاب على سرير وقد

ربطت ذراعه اليسرى برباط صحي .. وعلى مقربة منه إحدى

المتطوعات تقوم بتمريره ...)

الضابط : لماذا تضعين على رأسي ثلجا ؟

المرضة : لأن حرارتك مرتفعة .

الضابط : هذا صحيح . ولكنك أخطأت المكان .. كان يجب أن تضعي الثلج

ها هنا .. (يشير إلى قلبه) .

المرضة : المغازلة ممنوعة من فضلك .

الضابط : المغازلة ؟ .. مع من ؟

المرضة : مع المتطوعات .

الضابط : تقصدين حضرتك ؟ أنا غازلت حضرتك ؟

المرضة : ألم تشر إلى قلبك وحرارته ؟

الضابط : يا للنساء ... ألا يمكن أن يكون في قلب رجل حرارة غير حرارة

حبك ؟ !

المرضة : (باسمة) نتمنى ذلك .

الضابط : كلا .. أنتن لا تمنين ذلك أبدا .. أما أنا فباعتباري رجلا قادما من

الميدان فأني أؤكد لك أن في قلبي دخانا ولها .. لعل لهما أثرا في عيني .

المرضة : أرى اللهب ، ولكنني لست أرى الدخان .

الضابط : ثقي أنه ليس لهب الحمى .. إنه لهب المدفع !

المرضة : أعرف أنك بطل ، وأنت قمت باقتحام كثير من الحصون .

الضابط : أقالوا لك إنني بطل ؟

- المرضة : نعم .. كلهم هنا يقولون ذلك .. إلى فخورة بتمريضك ! .
- الضابط : (باسم) المغازلة ممنوعة من فضلك !
- المرضة : لست أفخر بشخصك .. بل بعملك في الحرب . .
- الضابط : (بأسف) لماذا هذا التحيد والتفريق ؟ .. إذا أردت أنا أيضا أن أعجب بك ، فهل تظنين أني مستطيع طرح شخصك من الحساب .
- المرضة : ألم تحس بعد أن أشخاصنا أصبحت اليوم تافهة بالقياس إلى العمل الذى نؤدية من أجل الوطن ؟
- الضابط : لست أعرف الآن ما أحس .. لا تسألينى الآن عن مشاعرى .. إنها أعقد من أن أفهمها لأول وهلة .. يخيل إلى أن شيئا فى نفسى قد تغير .. شيئا لا أتبيته .. ولا أدرى بعد كيف أصفه .. لن تفهمى بالضبط ما أقصد .. لا بد أن أبسط لك طرفا من حياتى السابقة ل يبدو لك هذا الكلام واضحا ..
- المرضة : كلامك واضح لى .. لأنى أحس عين إحساسك .
- الضابط : (دهشا) كيف ذلك ؟ فسرى لى إذن ..
- المرضة : لا .. ليس الآن .. لقد تركتك تتكلم أكثر مما ينبغى .. ليس من الحكمة أن تبذل مجهودا وأنت لم تستكمل بعد الشفاء .. سأدعك لحظة لتستريح ، وتستغرق فى الهدوء .. ومن الخير أن تنام قليلا ..
- الضابط : لا .. لا أريد أن أنام .
- المرضة : إذن . لا تتكلم .. أصغ إلى الراديو ، إذا شئت ..
- (تفتح جهازا صغيرا للراديو قرب سريره فيسمع صوت المذيع يقول « تسمعون الآن أغنية : الحب كله أنين »)
- الضابط : ما أحسن حظى هذه أغنية طالما أحبتها ..
- المرضة : مثلى إذن . إنها أغنيتى المفضلة ..
- (يصغيان إليها صامتين)
- الضابط : (بعد برهة) ما هذا ؟ إنها ليست هى .. أوأنت أنت أنها هى ..

- المرضة : هى بعينها .
- الضابط : لم يكن فيها هذه التأوهات السخيفة ولا هذه المعانى الضعيفة ..
- المرضة : أو تظن إدارة الإذاعة قد وضعت فيها هذه التعديلات أخيرا ؟
- الضابط : لا بالطبع .. ولكن فيها مع ذلك شيئا قد .. تغير .
- المرضة : ليست هى التى تغيرت ..
- الضابط : إذا لم يكن فى طلبى إزعاج لك ، فأنى أرجو منك أن تغلقى الراديو ..
- المرضة : (وهى تضغط على مفتاح الجهاز وتغلقه) حسنا فعلت . أنا أيضاً أفضل لك جو الصمت .
- الضابط : لا تنتهزى الفرصة كى تتركينى وتنصرفى .. لا أريد أن أنام ، لا أريد أن أنام .. لقد نمت طويلا ..
- المرضة : سأقيس درجة حرارتك .. فإذا كانت معتدلة ، فأنى أسمح لك بالحديث لحظة أخرى .. موافق ؟
- الضابط : موافق .. ومع ذلك ، ثقى أنى بخير .. وإلا ما شعرت بهذه اليقظة ولا بهذا النشاط .. أريد أن أتهض قليلا .
- المرضة : مهلا .. مهلا .. حذار أن تصدم ذراعك الجريح . دعنى أسند ظهرك إلى الوسادة .
- الضابط : (يذأمل ذراعه المربوطة) عجباً .. ما هذا المشبك البديع .. إنه من ذهب فيما أعتقد .. غاية فى سلامة الذوق ودقة الصناعة ! لن يستطيع أحد أن يقنعنى بأنه من أدوات المستشفى .
- المرضة : هو مشبكى .. لم أجد غيره أحكم به رباطك الذى فك وأنت نائم .
- الضابط : لن يفك الرباط بعد اليوم ما دمت قد شبكتنى بمشبكك ! ..
- المرضة : (وهى تخرج مقياس الحرارة) أتتوى الاحتفاظ به ؟
- الضابط : إلى آخر لحظة من حياتى .
- المرضة : (باسمة) بلا ثمن ؟

الضابط : ماذا تطلبين فيه من ثمن ؟
المرضة : لست أدرى . إني أمزح . خذ منى هدية . إذ اراق لك . إنه زهيد القيمة .

الضابط : لا شيء منك زهيد القيمة .. إني أقدر له ثمنا مرتفعاً .. سأحاول الوفاء به فيما بعد ! ..

المرضة : (وهى تضع فى فمه المقياس) عندما تهبط حرارتك سيهبط ذلك الثمن المرتفع .. لا تفكر الآن فى تقدير شيء !
الضابط : (يهز رأسه أن : « كلا .. كلا ... » ...)

المرضة : لا تهز رأسك هكذا ومقياس الحرارة فى فمك ! .. أصغ إلى دون حراك .. أترانى مخطئة ؟ .. أرجو أن أكون كذلك .. بل إني لمخطئة .. هأنذى ألح فى عينيك الساعة بريقاً ، ليس من السهل أن ينطفئ ... ما بى حاجة إلى أن أتلقي منك جواباً على أسئلتى .. إني أقرأ كل شيء .. على صفحة نفسك بل على صفحة نفسى أنا .. أردت أن تكشف لى عن ماضى حياتك ، لتفسر لى ما اعتراك من تغير .. يكفينى أن أستعرض حياقى أنا كى أفهم .. ألم يخطر لك أن تتساءل : « لماذا أنا هنا بجوارك أنا الفتاة المصرية التى ما عرفت قط يوماً غير التافه من المشاعر ؟ ! هذه الأغنية التى كانت تملأ حياتنا : « الحب كله أنين » ... أتصدق أنها كانت تبكىنى الليالى الطوال ؟ . ماذا حدث لى اليوم ، حتى أسمعها فلا تهتز منى شعرة . لا تحسب الدموع قد نضبت من عيني .. إني أسكبها فى بعض الأحيان مدراراً ... لا حزناً بل فرحاً ... إنها تتساقط مع البسمات كالقطر فى شروق الشمس ... كلما ولد لنا فى ميدان الشرف بطل .. (تتاول من فمه المقياس وتتنظر فيه) صدقت .. إنك بخير .. أستطيع الآن أن أنحى عن رأسك هذا الثلج ..

الضابط : أيتها .. الآنسة !
 الممرضة : (تلتفت إليه) ماذا بك ؟ .. لماذا تنظر إلي هكذا ؟
 الضابط : إنك .. تخيفيني ..
 الممرضة : أخيفك ؟ ..
 الضابط : نعم .. كلما ذكرت هذه الكلمة ..
 الممرضة : أى كلمة ؟!
 الضابط : أود لو أعلم منك شيئاً .. أتعديني أن تصارحيني القول ؟
 الممرضة : أعذك .. ماذا تريد أن تعلم ؟
 الضابط : من هو « البطل » ؟ إني لم أراه قط .. أتمنى لو أراه مرة ..
 الممرضة : تريد أن ترى بطلا ؟!
 الضابط : نعم ..
 الممرضة : لا شيء أيسر من ذلك .. لحظة واحدة من فضلك .. وأنا أقدمه
 إليك . (تأتى بحقيبة يدها وتفتحها)
 الضابط : عجباً ! . أهو في هذه الحقيبة ؟!
 الممرضة : (تخرج من حقبتها امرأة صغيرة تدنياها من وجهه) انظر في هذه
 المرأة وأنت تراه !
 الضابط : آه .. لا تمزحى ! ... (يقضى عنه المرأة) إنك تجرحين شعورى
 بهذا القول .. ثقي أنى لا أتواضع عندما أؤكد لك أنى لم أر ذلك الذى
 ترين .. لا أود أن تظننى رجلاً مجرداً عن حب الزهو .. على
 النقيض .. لطالما شعرت أنى بطل العالم كله يوم كنت متفوقاً فى لعبة
 كرة القدم .. كنت أصيب الهدف بقدمى وأسمع هتاف الجماهير
 فأعتقد أن تلك القدم ليست من لحم وعظم .. إنها من ذهب إبريز ..
 وكنت أسير بها مختالاً فوق الأفاريز .. فيخيل إلى أن عيون العجب
 والإعجاب تتبعها وتكلوها وترعاها ، كما لو كانت ذنخراً قومياً لا

يقدر بمال ... اليوم أمشى بهذه القدم بين الألغام .. وأقتحم بها الحصون . تحت وابل النيران ، فما شعرت لحظة أنها قدم بطل . ! نعم ، صديقي . إنك لا تعرفين جو المعركة أيتها الأنسة ! ولا تدركين تلك اللحظات التي بنسى فيها الجندي الفرق بين الحد واللعب .. هناك حيث ينزل إلى ميدان واسع غامض ، وبين قدميه مصيره كأنه كرة .. لا يطرق سمعه تصفيق الناس ولا هتاف الجماهير .. لا تحظر في باله فكرة البطولة . فهو مشغول عنها وعن غيرها من الأفكار ! .. إنه يفكر في مواجهة الموت كما لو كان يواجه امرأة خطرة الحسن ، بقلب يتأجج ناراً .. بل إنه لا يفكر على الإطلاق .. إنما الذي يفكر هو سلاحه الذي في يده .. عندما تنلقى الأمر بالهجوم ، تشعر كأن مركز التفكير فينا قد انتقل من الرأس إلى المسدس .. لكأنه يعرف بغريزة مجهولة ماذا يصنع وماذا ينبغي أن يصنع ؟ . وإنا لندعه يقودنا في خضم الخطر ، دون أن نتيح له من حب السلامة مقاوماً .. ننطلق معه ، ولا نفكر عندئذ فيما سوف يحدث .. لهذا أغضب عليك ، وأخاف منك ، كلما وصفتني بشيء ما رأيته في نفسي اليوم قط ! ...

المرضة : ليس من الضروري أن ترى أنت .. يكفي أن نرى نحن ..

الضابط : وأتقنه أنت أنك لست مخدوعة ؟

المرضة : اطمئن ! . لست أنا التي يسهل الآن خداعها ! .

الضابط : من يدري .. ربما كان هذا أيضاً نوعاً من التمريض .. هذه المبالغة

والمغالاة وهذا التشجيع والتضخيم ! . ولكنك لا تعرفيني ! . إني

شاب صريح ، أحب الصدق .. وإنك لتحملينني بتمريضك

الروحي هذا على السخرية منك ومن نفسي ! .. أقسم لك أن لاشيء

يريجني حقاً غير الوضع الصحيح للأشياء .. لا أقبل مطلقاً أن أحاط

(بين يوم وليلة)

باطار مسرحى من الشناء ! أيتها الأنسة ! ... حذار من سخطى ومن احتقارى ! .. أنا الذى كاد يعتقد أن الحرب قد خلقت منى ومنك ومن أمثالنا جيلاً آخر ، يجرى فى دمائه شعور جديد .. عندما قلت لك إني قد تغيرت ما قصدت أنى قد صرت بطلاً فى نظر نفسى ! .. «بطل» ! .. إني أمتعك من ذكر هذه الكلمة لى أو نسبتها إلى .. إنك لا تدركين مبلغ ما فيها لى من إيذاء ! .

المرضة : إيذاء ؟ . لك أنت ؟ . أيقوم فى روعك أنى أؤذك بهذه الكلمة .

الضابط : إنها نوع من الصدقة . لا أقبله ! ..

المرضة : صدقة ؟ .. أرجوك .. لا تقل ذلك ! ..

الضابط : هدية .. إذا شئت .. رداء موشى خاطف البريق .. لا أجرؤ أن أرتيه وأمشى به فى الطريق .. دون أن يعترينى الخجل ، وأتصور الناس تتبعينى بأنظارها قائله هامسة : ياله من ادعاء ! ..

المرضة : ما خطر لى ببال أن أقدم إليك هدية ! .. حتى ولا هذا المشبك الذهبى الصغير .. أنت الذى أردت الاحتفاظ به .. وأرجو من فضلك أن ترده إلئى فى يوم من الأيام ..

الضابط : سأرده .. فى يوم من الأيام ! ..

المرضة : نعم الآن .. قبل أن تصيبك نكسة من كثرة الكلام .. إني ذاهبة ..

الضابط : (بشيء من العنف) قلت لك لن أنام ..

المرضة : (ببعض العنف) آمرك أن تستريح ، وأن تغمض عينيك ، وأن تكف عن كل ما ينهك قواك ..

الضابط : لست أتلقي منك أمراً ..

المرضة : إذا كنت فى الميدان مكلفاً بطاعة قوادك ورؤسائك ، فأنت هنا فى المستشفى مكلف بطاعة أطباءك وممرضيك ! ..

الضابط : فى مقدورى أن أطيع أمراً بالهجوم .. ولكنى لا أستطيع أن أطيع أمراً

بالنوم ! ..

المرضة : وأنا لا أستطيع أن أتحمل تبعة عصيانك ! .. (تتحرك
للانصراف) .

الضابط : (يلفظ فجأة من لهجته) أتذهبين ؟ ..

المرضة : سأنصرف إلى غيرك من الجنود .. أو تحسبني منقطعة لتمريرك
وحدك .

الضابط : أصبت .. اذهبي إليهم ... ولكنى ..

المرضة : ماذا ؟ ..

الضابط : سأنتظر عودتك ! ..

المرضة : شفاؤك قريب .. وستخرج من هنا بعد أيام ..

الضابط : أعرف أن فراقنا قريب .. ولهذا .. (يرمقها صامتاً)

المرضة : لماذا تنظر هكذا إليّ ؟ ..

الضابط : لا شيء .. اذهبي .. هاأنذا أطيعك وأغمض عيني ! ..

المرضة : نعم .. نعم الآن قليلاً .. بغير أحلام ! ..

الضابط : (وهو يغمض عينيه) صورة واحدة ستلازمني في اليوم والليقظة .
إلى آخر لحظة ! ..

(ستار)

المنظر الثاني

(فى ميدان القتال ... « الضابط » وهو قائد الفصيلة الأولى
المرابطة فى الخط الأمامى ، يتحدث همسا إلى قائد السرية وقد جاء
يتفقد الحالة قبل الهجوم على حصن الأعداء .. وقد كاد يتصف
الليل ... وقصف المدافع المصرية يهز الأرجاء ..)
قائد السرية : (ينظر فى ساعته) بعد سبع دقائق تتوقف بطارياتنا عن
الضرب ! ..
الضابط : نعم .. لقد فرغت من مهمتها .. وبقي علينا نحن القيام
بالباقى ! ..
قائد السرية : يجب أن تعلم أن مهمتك خطيرة ! ..
الضابط : ليست أخطر من مهمة غيرنا .
قائد السرية : أظن أنها أخطر .. لا تنس أن عليك أن تتقدم على رأس دوريتك
المقاتلة ، لتفتح ثغرة فى الأسلاك الشائكة حول هذا الحصن
المنيع ! ..
الضابط : معنا قصافات الأسلاك ! ..
قائد السرية : أمامك حقل من الألغام ، مغطى بنيران العدو ! ..
الضابط : معنا مجسات الألغام ! ..
قائد السرية : صدرك قد يتلقى رصاص القناصة الغادرين ...
الضابط : فليروا صدرى .. ولكنى سأعرف كيف أرى ظهورهم ! ...
قائد السرية : كل شئ إذن على ما يرام ...
الضابط : نعم .. اعتمد على فصيلتى ، وعدم مطمئنا إلى موقعك ..
قائد السرية : ما كنت أظن أنى سأراك هنا بهذه السرعة ! .. ولا أدرى كيف

عدت إلينا هكذا على عجل ، بعد خروجك من المستشفى .

الضابط : لا تذكرنى الآن بالمستشفى .

قائد السرية : أكان جرحك أليما ؟ ..

الضابط : (يشير إلى جهة الحصن) انظر ! .. انظر ! .. لقد أطاحت قبلة المدفع ببرج الحصن ! ...

قائد السرية : (ينظر بمنظاره) نعم .. يا له من عمل رائع لمدفيعتنا !! ...

الضابط : الدخان يرتفع من أرجاء الحصن .. أبداً زحفنا ؟ ...

قائد السرية : (ينظر فى ساعته) انتظر لحظة .. إن الدقائق السبع لم تنقضى بعد .. أخبرنى .. إنك لم تحدثنى ...

الضابط : عن ماذا ؟ .

قائد السرية : عما رأيت وسمعت فى القاهرة أثناء مدة علاجك ..

الضابط : آه .. لقد رأيت ..

قائد السرية : إلى مصغ .

الضابط : لا شيء ..

قائد السرية : ما لصوتك قد تهدج ؟ ..

الضابط : كم الساعة الآن ؟ ..

قائد السرية : إذا صدقت فراستى ، فإنك قد قابلت هناك شخصا عزيزاً ! ...

الضابط : الأمر لا يحتاج إلى فراسة .. كلنا لنا هناك شخص عزيز ..

ولكن ..

قائد السرية : ولكن ماذا ؟ ..

الضابط : أهذا مكان وزمان نتحدث فيهما عن ذلك ؟! ..

قائد السرية : إنه خير موضع وظرف ، نستأنس فيهما بالصور الموضوعة فى قلوبنا .

الضابط : قلوبنا .. عجيب ذلك الذى حدث لهذه القلوب .. لقلبي أنا على

الأقل ... لكأنه هو أيضا قد تحول إلى ميدان حرب .. طغى فيه
هدير المدافع على الهمسات والبسمات .. ولكن سجع اليمام
يسمع أحيانا رقيق النغم ، حلو الهديل ، بين طيات الرعد
القاصف .. صدقت . هنالك صورة ، وهنالك صوت .. لا بد
أن نحملهما معنا في أخطر المواقف ، وأخرج اللحظات ! ..

قائد السرية : (يحدق في صدر الضابط) ما هذا الشيء الذى يبرق في
صدرك ؟ ..

الضابط : هذا .. مشبك ذهبى ..
قائد السرية : (باسمها) يالها من أناقة ، جديرة بعاشق يسير في حديقة أزهار ،
لا في حقل ألغام ! ..

الضابط : لست أجد الآن فرقا كبيرا بين الحديقتين ... لكل من الزهر تحت
الخمائل ، واللغم تحت الأسلاك ، مقص ومحس ! ..
قائد السرية : أنت أيضا تتناكب هذه الأفكار ؟ ...
الضابط : أى أفكار ؟ ..

قائد السرية : خيل إلى أنى وحدى الذى اكتشف حقيقتنا المدفونة ككنز ، التى
كنا نهمل وجودها فى أنفسنا .. إني لم أعد بعد إلى القاهرة ، منذ
بدء المعارك .. ولكن إذا قدر لى عمر وعودة إلى الوطن ، فإنى على
ثقة من أنى سأكون رجلا جديدا ... لذلك سألتك الساعة عما
رأيت هناك .. هل نحن وحدنا الذين تغيرنا ... أو أن أهل بلادنا
حدث لهم كذلك مثل الذى حدث لنا ؟ ..

الضابط : (يشير إلى الحصن) انظر .. ما هذا ؟ .. أحق ما أرى أم هو
سراب ؟ ...

قائد السرية : (يمسك بمنظاره) ماذا !؟ ..
الضابط : هذه الرايات البيضاء التى ترفع فوق الحصن !؟ ..

قائد السرية : (يرى بمنظاره) نعم .. نعم .. حقاً .. إنها رايات التسليم ! ..
الضابط : إذن .. فلنقتحم الحصن في الحال ! ...

قائد السرية : مهلاً .. يجب أولاً أن نخبر مركز القيادة الرئيسي ... (يسرع إلى
تليفون الميدان ويخاطب القيادة) : رفعت رايات التسليم فوق
الحصن ... أفندم ؟ يحتمل أن تكون خدعة ؟ .. ترسل الفصيلة
الأولى ؟ ...

الضابط : فصيلتي ؟ ...
قائد السرية : (وهو يترك جهاز التليفون) نعم ... ولكن يجب أن تكونوا على
حذر .. فهؤلاء الأعداء غادرون ... وقد يكون التسليم خدعة ،
لا اجتذاب عدد كبير من جنودنا ... حتى إذا اقتربوا من العدو ،
فتح عليهم النيران ...

الضابط : لن يذهب أحد من جنودنا ...
قائد السرية : ومن يذهب ليتلقى التسليم ! ...
الضابط : أنا ... بمفردي ! ...

قائد السرية : وإذا كان في الأمر غدر ، وأطلق عليك قناصتهم الرصاص ؟ ...
الضابط : لن يظفروا عندئذ بغير قتيل واحد ! ..

قائد السرية : لا .. لن أفرط فيك أنت .. فليذهب ...
الضابط : لا تبحث عن أحد غيري ... أنا قائد الفصيلة الأولى ... ولن
أعرض أحداً من رجال فصيلتي ... سأذهب وحدي ! ...

قائد السرية : لن أصدر إليك هذا الأمر ! ...
الضابط : لقد صدرت إليك تعليمات القيادة بتحريك الفصيلة الأولى ...
فصيلتي ... وليس لك أن تخالف أوامر القيادة ! ...

قائد السرية : هذا صحيح ... فلنذهب إذن فصيلتك ...
الضابط : أنا حر إذن في اختيار من يذهب معي منها ... فأنا قائدها ... وقد

— ١٢٠ —

اخترت نفسي ! ...

قائد السرية : إذا صدقت فراستى فأنت مقتول ! ...

الضابط : يسرنى أن أضع فراستك هذه المرة موضع الامتحان ... خذ هذا ! ...

قائد السرية : (يتلقى من يد الضابط شيئاً نزعته من صدره) مشبكك الذهبي ؟ ...

الضابط : إنه ليس لى ... لمرضة متطوعة فى المستشفى العسكرى بالقاهرة ... إذا قتلت أنا .. وعدت أنت إلى الوطن سالماً فإذهب واجتث عنها ... ورد هذا المشبك إليها ...

قائد السرية : ما اسمها ؟ ..

الضابط : لست أدرى ... إلى ما سألتها قط عن اسمها ... ولكنى واثق أنك ستجدها ... قل لها : لقد كان وعدك أن يرد إليك هذا المشبك فى يوم من الأيام ... وقد بر بوعده ... أما الثمن المرتفع الذى قدره فى نظير الاحتفاظ به هذه اللحظات ، فإنه لم يستطع أن يدفع أكثر من حياته ... إلى اللقاء أووداعاً ! ...

(يقفز الضابط إلى سيارة صغيرة ويمضى إلى الحصن ...)

قائد السرية : اذهب فى حفظ الله ! ..

(يرفع قائد السرية منظاره إلى عينيه ويتبع الضابط)

الضابط : (صائحا) إذا أطلقت لكم وهجاً من مسدسى ، فهى إشارة إلى أن التسليم صادق .

قائد السرية : (للجنود) اصطفوا وارقبوا الإشارة .. ها هو ذا قائدكم يذهب بمفرده (يتبعه بمنظاره) إنه الآن يقترب من أسلاك الحصن ... آه ... يا للجناء ! .. يا للأندال ! .. (صائحا) إنهم ينزلون

— ١٢١ —

الرايات البيضاء ... لقد سحبوا التسليم .. ما هذا .. ما
هذا ؟ ... صوت طلقات مدفع رشاش ؟ .. قتلوه ! .. لقد
قتلوه .. قتلوه .. قتلوه .. مات الرجل ! ..
الجنود : (بغیظ وتأثر) مات الضابط ! ..
قائد السرية : (مجلد وفي عينيه دمعة) ولكن ... ولد البطل ..

(ستار)

من وحكـ رجال الأعمال وصراع الأجيال

الليّص

قصة تمثيلية في أربعة فصول

الفصل الأول

(حجرة نائية في منزل فخم بالزمالك . بها فرش وثير ومقاعد مريحة ، وخزانة للملابس وخزانة للزينة ، وبها نافذة مفتوحة تطل على حديقة المنزل .

الحجرة غارقة في الظلام . ولكن شعاعاً من بطارية كهربائية صغيرة ينطلق في الحجرة من جهة النافذة . ويظهر شبح يتسلق جدار النافذة صاعداً من الحديقة إلى الحجرة .

ويتحرك الشبح في أرجاء الحجرة مصوباً شعاع بطاريته إلى أركانها .

ويقع الشعاع أخيراً على الفرش . ثم على مصحف فوق الوسادة . فيتقدم الشبح إليه ويتاوله في يده ويقرأ غلافه تحت ضوء البطارية ..)

الشبح : (يقرأ ثم يهمس في عجب) مصحف ... نشر المكتبة الأحمدية بالأزهر ! ...

(وعندئذ تدق الساعة دقة واحدة بعد منتصف الليل ، فينطفئ شعاع البطارية في الحال « كالمفزع » ، ثم تسمع أصوات تقترب ، فيترك الشبح المصحف فوق الفرش ، ويسرع باحثاً عن مكان يختبئ فيه ، ويمتد إلى ستارة النافذة فيخفي خلفها ... وعندئذ يفتح باب الحجرة ، وتدخل « الأنسة خيرية » بملابس الخروج ، وتدير زراً في الحائط قرب الباب فتضيء الحجرة ، وإذا خلفها « الباشا » داخلاً الحجرة بملابس الخارج ! ...)

خيرية : (تصد « الباشا » بأدب) لا تدخل .. أرجوك ! ..

الباشا : (يرسل أنظاره في أنحاء الحجرة متهدداً) الجنة ! ... بأى حق
تصديتنى عن دخول الجنة ؟! ..

خيرية : انصرف .. من فضلك ..

الباشا : أى ذنب ارتكبت لأطرد من هذه الجنة ؟ ..

خيرية : حجرتى ليست الجنة ! ..

الباشا : كل مكان تحلين فيه هو بالنسبة لى نعيم معطر بأنفاسك ! ...

خيرية : إنى لفى جحيم .. فى جحيم ..

الباشا : مرحباً بهذا الجحيم ! ... مهما يكن من سعي جحيمك فإنه لا شىء إلى
جانب نيران قلبى ! ...

خيرية : أهى رواية « السينا » التى أخرجتك الليلة عن أطوارك ؟ ..

الباشا : كان العاشق فى الرواية أبرد من لوح الثلج ! ..

خيرية : كان سلوكك معى فى السينا غير لائق . أحذرك من أن تمسك يدى
هكذا فى الظلام مرة أخرى . تذكر أُمى التى كانت تجوارى ، غارقة فى
ثقتها العمياء ، وحبا العميق لك ! ..

الباشا : لم يكن لى على يدى حكم ولا سلطان ، لكأن فى تلك اليد قلباً مستقلاً
يدفعها إلى يدك ! ...

خيرية : إنك ستدفعنى إلى كارثة ...

الباشا : إنى واثق أن صدك لن يدوم طويلاً ، أو مستطيع كيانك الرقيق أن يقاوم
اللهب ؟ .. مهما تفعلى فأنت محترقة بما يضطرم به قلبى من غرام ! ..

خيرية : (مرتاعة) بابا ..

الباشا : لا تنطقى بهذه الكلمة ... لا تنطقى بهذه الكلمة ! ..

خيرية : أرجوك أن تذهب ... اذهب ...

الباشا : أرجوك ألا تحرمينى هذه اللحظة ! .. حذار أن تحرمينى هذه اللحظة
بقربك فى هذا الليل الساكن الجميل ... لحظة واحدة منك أشترىها

بكل ما فى رصيدى من أموال ... اسألنى شيئاً مهما يكن باهظاً ...
اطلبى .. لا تخجلى ... ليس أحب إلى نفسى من أن أراك تطلبين إلى
طلبا ... ولو كان روحى ! ..

خيرية : أطلب خروجك ...

الباشا : خروج روحى ؟ ! ..

خيرية : خروجك أنت من هنا ... من حجرى الآن ! ..

(الجرس يدق فى البهو ...)

خيرية : هذه أمى ! .. أمى تدعو الخدم لتسأل عنك ... إنها لم ترك صاعداً إلى
حجرتك ... اذهب إليها ... اذهب ! ...

الباشا : سأذهب لأخلع ثيابى ، ثم أعود ! ...

خيرية : إلى متعبة .. سأغلق بابى وأنام ! ..

الباشا : لا تنامى يا « خيرية » قبل أن أراك مرة أخرى ... وأقدم إليك ما أعددت
لك من مفاجأة ... ألا تعرفين أنى سأفاجئك بما يبهرك ! ...

خيرية : فى الصباح .. قدم إلّى ما أعددت فى الصباح ! ..

الباشا : بل الليلة .. إن هذه المفاجأة لا يكون لها معنى إلا فى الليل ! ...

(الجرس يرن فى البهو ...)

خيرية : اذهب قبل أن تقلق أمى ، وتأتى فتجدك هنا ! ...

الباشا : إلى اللقاء ! ... بعد ربع ساعة .. لا تنامى ... سأطرق بابك ،
لأوقظك ! ...

(يخرج وهو يرسل إليها قبلة فى الهواء)

خيرية : (تندفع إلى الباب وتغلقه بالمفتاح) أف ... إلهى .. إلهى ... أنقذنى
مما أنا فيه ... أرسل إلى ملاكا أو شيطاناً يخرجنى من هذا المأزق ...
(الشبح يخرج من خلف الستار ، وإذا هو شاب وسيم فى ثياب
نظيفة ، ولكنها غير فاخرة)

الشاب : هاأنذا ..

خيرية : (تصرخ صرخة مكتومة) النجدة !!...)

الشاب : (يبادر ملاطفاً) لا تصرخى ... ولا تستنجدى .. ألسنت أنت التى سألت الله أن يرسلنى إليك ! ...

خيرية : من أنت ؟ ...

الشاب : ملاك أو شيطان .. لست أدرى ..

خيرية : (تنظر إلى النافذة المفتوحة بجوار الستارة) لص ؟؟ ..

الشاب : يا للناس ! ... أهكذا تسمون من يأتى إليكم من السماء ؟ ...

خيرية : إنك جئت من هذه النافذة ...

الشاب : لأنها أسهل طريقة ...

خيرية : ماذا أنت تصنع هنا فى حجرتى ؟ ...

الشاب : أولاً ، ألا تذكرين أننا تقابلنا قبل الآن ؟ ...

خيرية : تقابلنا ؟! .. أين نستطيع أن نتقابل ؟ ...

الشاب : (يتناول المصحف) من أين اشتريت هذا المصحف ؟ ...

خيرية : من مكتبة فى حى « الأزهر » ! ...

الشاب : بالضبط ... من « المكتبة الأحمدية » ، ألا تذكرين البائع الذى يدير

المكتبة ؟ .. تفرسى وجهى جيداً ...

خيرية : (تفرس وجهه) أنت ! .. حقا ... حقا ... تذكرتك ..

الشاب : كان ثمن المصحف ثلاثين قرشا ، ولكنك دفعت لى ورقة من فئة

الخمسة الجنيهات . فأوقعتنى فى حيرة ، ولم يكن فى المحل وقتئذ نقود

صغيرة لأرد إليك الباقي !.

خيرية : نعم ... نعم .. أذكر الآن .. وقد قدمت إلى كرسياً . وطلبت لى

كوبا من العرقسوس ، من بائع جائل وذهبت تبحث عن الفكة ! ..

الشاب : تاركا المحل فى حراستك ! ..

خيرية : وجاء في غيبك بعض الزبائن يسألوننى عن كتب فى التفسير والفقه ،
ويدهشون لبائعة فى حى الأزهر بشاى هذه ...

الشاب : التى على آخر « موضة » ! ...

خيرية : (تتأمله) حقا .. هذا أنت .. ولكن ماذا جئت هنا تصنع فى
حجرتى ، فى مثل هذه الساعة من الليل ؟! ..

الشاب : جئت كى ... أتريدى الصراحة ؟ ..

خيرية : أريد الصراحة طبعاً ...

الشاب : إنى الآن خجل من ذكرها .. ما كنت أحب القدر يوقعنى فى بيتك أنت
بالذات ، وفى حجرتك ، ولكنى تخيرت منزلاً فخماً فى حى
« الزمالك » ، لا أعرف لمن ، وبعد أن تمكنت من دخول الحديقة ،
وجدت نافذة مفتوحة ، فى هذا الطابق الأول . فمن غير المعقول أن
أتركها ، وأتسلق إلى حجرة مغلقة فى الطابق الثانى ، خصوصاً وأنا
حديث عهد بهذا العمل غير الشريف ! ..

خيرية : (فى دهشة واستنكار) جئت تسرق ؟ ...

الشاب : بل أقترض .. لقد كان فى نيتى أن آخذ من هنا حاجتى من النقود على
سبيل القرض ... ثقى بذلك ، ولو لم تفاجئنى الساعة لوجدت ها هنا
قرب فرشك ورقة ، هى إيصال بالمبلغ ، ووعد بالسداد عندما ينجح
المشروع ! ..

خيرية : أى مشروع ؟ ...

الشاب : مشروع تجارى ، لا يهملك فيما أظن أن تعرفى الآن تفاصيله ...

خيرية : أولاً يستطيع البنك أن يقرضك ما تريد ؟ ..

الشاب : أنا لا أحب التعامل مع البنك ، أتدري لماذا ؟ .. لأنه لا يثق بى .. إنه

يقول لى : قبل أن تقترض منى أخبرنى أين رصيدك وأين ضمانك ؟ ..

يجب أن أكون غنيا ليدفعوا لى ... ثراء يقرض ثراء .. تلك هى

البنوك ... خلقت لتمد الأغنياء ، أما بنك الفقراء فلم يخلق بعد ...
ذلك البنك الذى لا يطالب المحتاج المعدم إلا برصيد من نيته وضامن من
ضميره ...

خيرية : (تفتح حقيبة يدها) كم تريد أن أقرضك ؟ ...

الشاب : مائة جنيه بالتام ! ...

خيرية : مائة جنيه ؟ .. هذا مستحيل ... إلى لا أملك فى حقيبتي أكثر من ..

انظر بنفسك ... من ثلاثة وعشرين ...

الشاب : آسف . إن سوء الحظ يلازمنى .. ألا أستطيع يا ربى العثور على مائة

جنيه بشرف أو بغير شرف !؟ ..

خيرية : أنت أيضا تريد أن تعتدى على الشرف ؟! ... كل الناس من حولى لا

يعنيهم الشرف ! .. إلهي ! .. إلهي ! ...

الشاب : عفوا أيها الآنسة ... أعلم لماذا تقولين ذلك ! ... أنايتى حبستنى فى

نطاق مصالحى وأهدافى . ولكنى أعرف ما أنت فيه لقد سمعت كل

شئ من خلف هذه الستارة ! ...

خيرية : سمعت كل شئ ؟؟ .. نعم لا بد أنك سمعت ! ...

الشاب : إنها حقاً لكارثة ! ... أهذا الرجل أبوك ؟ ..

خيرية : لا ! ..

الشاب : ليس أباك ؟ .. ولكنى سمعتك تقولين له يا « بابا » ! ...

خيرية : أقول له يا « بابا » ، ولكنه ليس أبى (كالشاردة) آه إن هذا فظيع ! ..

الشاب : ما هذا الاصفرار على وجهك ، وما لشفتيك ترتجفان ؟! ..

خيرية : (تجلس متخاذلة على مقعد) أرجو أن تتركنى الآن وحدى ! ...

الشاب : أخبرينى ماذا بك ؟ ...

خيرية : (تضع رأسها فى كفيها) دعنى ! ... دعنى لمصيرى ! ...

الشاب : لمصيرك ؟ ... لست أفهم شيئا ، يا له من أمر عجيب ! ... لقد

(بين يوم وليلة)

— ١٣٠ —

قابلتني بشجاعة . وقد رأيتني فجأة في حجرتك ! ... وها هي ذى
شجاعتك نخونك فجأة لأمر لا أعرفه ! ...
خيرية : أرجوك . لا شأن لك بي (تتناول حقيبتها) ألا يكفيك هذا المبلغ الذى
معى ؟ ...

الشاب : ألا تريد أن تطلعيني على ما يعذبك ؟ .. ربما استطعت لك بعض
المعونة ؟ ..

خيرية : لا أظن فى مقدورك أن تصنع لى شيئاً ... تكلم فى شأنك أنت .. ليس
فى حقيبتى الآن ما أقدم إليك سوى ...

الشاب : صدقت ! ... ليس من حقى أن أسألك الإفضاء إلى بأسرارك،
فلأرجع إلى شئونى أنا ... أصارحك أن المبلغ الذى أحتاج إليه هو مائة
جنيه ! ... لا تنقص قرشاً ... ولا تزيد قرشاً ! ..

خيرية : ولماذا تصر على هذه المائة جنيه ؟ ! ! ..

الشاب : للمشروع ! ...

خيرية : ما هذا المشروع ؟ ...

الشاب : اسمعى ... لا بأس عندى الآن من أن أطلعك على مشروعى ، بل ولا
ضير من أن أكشف لك عن كل حياى .. أنا يا آنستى كنت طالبا فى
كلية الآداب .. وكان أبى موظفاً فى إحدى الشركات الكبرى ، وله
سبعة أولاد غيرى ، فمات ولم يترك لنا شيئاً ، إنما ترك بعض أولاده
عاجزين عن مواصلة دراستهم فتشردوا يطلبون الرزق من أعمال
مختلفة ، وكان نصيبى هذا العمل فى المكتبة التى رأيتنى فيها بحى
الأزهر ... صاحبها أمى لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، فكنت أنا له اليد
اليمينى بل المعين والعقل والروح ، وأخلصت لعملى كل الإخلاص ،
فكنت أنا الذى أعقد له صفقات الكتب القديمة والحديثة . وأقتنى له
المصاحف النفيسة والرخيصة ، ثم أبيعها له بأحسن الأثمان ، وآتى له

بأوفر الأرباح . وأنظم له المكتبة ، وأنظفها وأكنسها ، وأنفض الغبار عن رفوفها ، وأرش بالخرطوم أمام بابها ، بينما يجلس هو يدخن الشيعة ويشرب الشاي الأخضر في المقهى المجاور ، ثم فوق ذلك أحتال له على مغمورى المؤلفين فأخذ منهم مؤلفاتهم وعصير أذهانهم بأجنس الأجر ، ملوحاً لهم بسراب المجد نافخاً فيهم روح الفخر ، فبطبعها هو ، أو على الأصح أباشر أنا طبعها له . وأشرف على نشرها ، فيكون له من وراء ذلك جميع الغنم ، ولمؤلفيها الأفاضل المتصورين جوعاً لا شيء غير الوهم .. وكان لى على كل هذا التفانى في الخدمة والإخلاص في العمل مرتب شهري . أتدريين كم مقداراه يا آنستي ؟ ...

خيرية : كم ؟ ... عشرون جنيهًا على الأقل ..

الشاب : سبعة جنيهات ...

خيرية : ماذا تقول ؟ ..

الشاب : الحقيقة .. وكلما رجوته أن يرفع مرتبي قليلاً بكى واشتكى ، ثم هدد وتوعد ، ثم جعل أذنًا من طين وأخرى من عجين ... وردد عبارته الدائمة : « اصبر وتحمل » ، فصبرت وتحملت إلى أن شيد فوق أكتافى عمارة فى السكة الجديدة مكونة من سبع طبقات ، وأخيراً يا آنستي حدث ذات يوم أن دب بيننا خلاف ؛ إذ اتهمنى بأنى حايت مؤلفاً مغموراً ، فاتفقت معه على أجر لكتابه استكثره على واستهوله . مع أنه أجر لا يكاد يمسك الرمق ، فصرخ فى وجهى وشتمنى وسبنى وسمع كل أهل الحى صياحه وهو يقول لى : « سرقتنى ، جعلت المؤلفين يسرقوننى أيها اللص ! .. أيها اللص ! .. » ونسى خدماتى الطويلة له ، وعرق الذى سال فى جيوبه ذهباً وهو جالس « بشيشته » فى المقاهى ، فطرذنى أشنع الطرد ! .. نعم طردنى أمس فقط .. فخرجت من دكانه على غير هدى ... لا أدري ماذا أصنع ؟ .. أسائل نفسى :

ما هو ذلك الشيء الذى جعل منه سيداً ، وجعل منى كلباً ؟ .. أهو العلم ؟ .. لا .. أهو العمل ؟ ... لا .. فأنا الذى من نصيبى هذان الشيطان ! ... ما هو ذلك الشيء إذن ؟ .. لا شك أنها تلك « المائة » جنيه التى اعترف لى يوماً قائلاً بزهو إنها كانت كل رأسماله الذى فتح به تلك المكتبة فى أول عهدها ! .. نعم مائة جنيه .. عندئذ أقسمت أن أعثر على مبلغ ١٠٠ جنيه مثل التى فتح بها مكتبته من أى طريق لأفتح مكتبة ، وأستخدم موظفاً أعتصر جهوده قطرة قطرة ، وأشيد فوق كاهله ، حجراً حجراً ، عمارة من سبع طبقات فى السكة الجديدة أو الحسينية ، أو حتى فى باب الشعرية ! ... ذلك هو مشروعى أيتها الآنسة ! ..

خيرية : نعم ... نعم .. فهمت ! .. ولكن ...
الشاب : لكن ماذا ؟ ..

خيرية : كل هذا لا يبرر أن تكون لصاً ؟!

الشاب : وهل كنت كذلك حقاً ، عندما اتهمنى مخدومى ظلماً وصاح بى فى حى الأزهر : أيها اللص !؟ .. لقد كنت وقتئذ أشرف إنسان ... ولكن الناس صدقوه هو ، وما دار فى خلدكم قط أن اللص الحقيقى هو ذلك الصارخ المستنجد .. ما عاد يهمنى مصدر النقود يا آنستى ... ما دمت لم أضبط ، وما دام فى جيبي هذه المائة جنيه ، فسوف أرغم الدنيا كلها على احترامى وأتهم بملء فمى أشرف الناس باللصوصية ! ..

خيرية : إني أعذرك ، وأدرك ما أنت فيه .. إن الإنسان فى مثل موقعك ليثور أحياناً على كل الأوضاع ، ويفقد إيمانه بالفضيلة ، ولكنى مع ذلك لا أقرك على هذا المسلك .. ثقتى لا أقولها تنصلاً من إعطائك ما تريد ، فأني سأدبر لك المبلغ مهما يكلفنى ذلك . ولكن لن أنسى مطلقاً أنك لص ضبطته فى حجرتى ! ...

الشاب : رأيك فى له قيمته ولا شك ، لكن الذى أطمع فيه الآن ليس نيل المسلك ، ولا حسن السمعة ولا طيب الأحداث ..
خيرية : أخشى أن تندم يوماً على هذه الزلة ! ..

(يسمع طرق خفيف على باب الحجر . فيرتك الشاب ولا يدرى ما يفعل ، ويضع إصبعه على فمه طالباً من الفتاة ألا تكشف أمره ، ويستمر الطرق فيسرع الشاب إلى الاختفاء خلف ستارة النافذة بينما تتجه « خيرية » إلى الباب وتلمس مقبضه ولا تفتحه)

الباشا : (يهمس من خلف الباب) أنا يا « خيرية » ، هل أدخل ؟ ...
خيرية : (تنظر إلى الستارة ثم إلى الباب مترددة ثم تسرع قائلة) لا .. لا يا بابا . لا تدخل ... الآن .. إلى ... إلى لم أخلع ثيابى بعد ! ...
الباشا : (همسا من الخارج) خذى راحتك ... سأعود بعد قليل ! ...

(يسكت صوت « الباشا » وتظل « خيرية » لحظة بلا حراك تنظر إلى الباب ، ويرى الشاب رأسه خلف الستارة ، فتلفت إليه الفتاة طالبة إليه بإشارة من يدها ألا يحدث صوتاً ، ولا ضجة ...)

الشاب : (يخرج من خلف الستارة هامساً) شكراً لك أيتها الأنسة .. لقد أنقذت حياتى ، أو حياة ذلك الرجل ، إذ لو كان دخل وضبطنى ...
خيرية : يجب أن تذهب الآن ! ..

الشاب : نعم .. قبل أن يعود ! ...
خيرية : (كالخاطبة لنفسها) يعود ؟ ... نعم ... إنه لا شك عائد الليلة ! ..

إنى أفضل أن أفتح بابى هذا للموت على أن أفتح الليلة لهذا الرجل ! ..
الشاب : هذا الرجل الذى يعرض عليك غرامه ، ويعد لك مفاجأة ؟ ..

خيرية : ألا تستطيع الأرض أن تبتلعنى قبل أن يأتى ؟ .. ألا تستطيع السماء أن تخطفنى ؟ ... أين أذهب ؟ .. أين أهرب ؟ ..

الشاب : لو أخبرتنى بأمرك أيتها الأنسة ؟! ... لقد أخبرتك أنا بأمرى ، إنى

أراك في محنة .. لا أعرف ما هي ؟ ... أطلعيني على محتك ... وثقى
أنى حفيظ لأمانتك ؛ إنها لسعادة كبرى أن تتيح لى الظروف أن أكون
موضع شرك ! ..

خيرية : بل قل إنها لسخرية كبرى ! ... لكن ... ما حيلتى ... ما من شىء
أسمى يصدمنى أو يخرجنى بعد هذا الحرج الذى أنا فيه . إنى لست فقط
فى حرج .. بل إنى لفى خطر . نعم إنى فى هذه الحجرة أشد تعرضاً
للخطر منك أنت ! ...

الشاب : تتعرضين للخطر وأنت فى حجرتك هذه ؟ .. أيتها الآنسة ! .. ليس
لى حق التدخل فى حياتك أو الاطلاع على شئونك ، ولكن واجبى
كأإنسان تتحتم عليه حمايتك ، يرغمنى على أن أطلب إليك الإفضاء إلى
فى الحال بأمرك ! .. تكلمى ! ... بل أحتم عليك الكلام ! ...

خيرية : (تطرق لحظة تفكر ثم ترفع رأسها) اسمع إذن يا سيدى ... اللص أو
المقترض، أو المجتهد، أو ماشئت ... لا تهمنى صفاتك ولا مؤهلاتك ...
كل ما يهمنى أنك إنسان ... أستطيع الآن أن أسمع قصتى التى كتمتها
فى صدرى، وكدت بها أختنق. قلت لك إن هذا الرجل ليس أنى .. لقد
مات أنى منذ أكثر من ثمانية أعوام، وكنت فى الثالثة عشرة، فلم ينقض
عام حتى تزوجت أُمى هذا الرجل؛ فقد كانت فى عنفوان جمالها، وما
كان من الممكن أن تظل طويلاً بلا زواج، فتعرض لأقاويل الناس ...
ومنذ زواجها ألحقت بالقسم الداخلى فى المدارس الأجنبية إلى أن
تخرجت منذ شهور .. وكان لا بد لى بعدئذ أن أتخذ هذا البيت سكناً،
وأن أعيش مع والدتى وزوجها. ولقد أوصتنى أُمى أن أتخذ من هذا
الرجل أباً ، فأطعتها، وصرت أناديه يا بابا، وكان هو يحذب على حقاً،
ويموطنى بعطف وعناية وحنان امتلأ بها قلبى اطمئناناً وأفعم بها قلب
والدتى اغتباطاً. ومرت الأيام وهو يزداد حرصاً على إرضائى وتدليلى
ويكثر من الذهاب بى إلى السينما —

والدنى أحياناً وأحياناً بدونها . وفي الظلام الدامس يأخذ يدي في يديه ، ويميل بوجهه حتى يلامس خده شعري ، وأحس حرارة أنفاسه تهب لافحة محرقة أعلى أذني كسريح الخماسين ... إنها ليست حرارة الحب الأبوي .. إنها شيء ارتجف له قلبي خوفاً ، وجسدي اشمزازاً ، وصرت أظهر التعامى والتجاهل وأبدى التغاى والتغافل ، وصار هو يلاحقني بالتلميح تارة ثم بالإشارة ، ثم أخيراً بالتصريح ، ثم انتهى إلى التوسل والتذلل والترغيب والإغراء . لا ينجله استنكارى الذى أبدىه بفزع وجزع ، ولا تصده عنى كلمة « بابا » التى ألقيا بينى وبينه ؛ كأنها تعويذة تقى من شيطان .. لقد أسفر الآن عن وجه مآربه ... إنه لا يرانى كابنته . ولكن كامرأة ، وهو يريدنى بأى ثمن أن أكون له ...

الشاب : (مرتاعاً) ماذا ؟ .. (هامساً) عشيقة !؟ ..

خيرية : صه ! ... نعم ... ياله من أمر فظيع ! ... كما ترى .. ولكنها حقيقة الموقف . إنه يريد أن يسلبنى أعز ما أملك .. ولا يفتن إلى فداحة ما يأخذ منى .. نعم لقد هالنى أنه يريد ذلك ببساطة ، وبغير تفكير ؛ كأنما هو شيء طبيعى ، شأن من اعتاد أن يأخذ كل ما يريد بلا تفكير ولا جهد وهو معتاد ذلك ولا شك ! .. هذا « الباشا » الذى يدخن سيجاره الكبير ، ويجلس فى ناديه ، وعلى النقود أن تصب فى حساباته الجارية فى البنوك ، دون أن يحفل كيف تنبعث ولا كيف صنعت ؛ فهو كما قد تعلم مساهم فى كل الشركات تقريباً . إنه من أولئك المدرجة أسماؤهم فى تلك القائمة الخاصة التى توزع فيما بينها أسهم كل شركة مضمونة الربح ... قبل أن تعرض النفاية القليلة على الجمهور ذراً للرماد فى العيون ... إنك لا شك سمعت عن هذا النوع ! ... »

الشاب : من رجال الأعمال ! ...

خيرية : نعم .. كما يقولون .. هؤلاء الذين يأخذون المال من الأعمال ،

ويتركون للآخرين الأعمال بغير المال ! ...

الشاب : مثل صاحب مكتبتى ! ..

خيرية : أرجوك . لا تفكر الآن فى أمرك ... أصغ إلى مصيبتى أنا .. فهى أفدح من مصيبتك .. إن ذلك الذى يشتري عرقك بدارهم ، ليس مثل الذى يشتري عرضى مهما يكن الثمن .. إن هذا الباشا الذى أدعوه أبى ، لا يريد أن يفهم خطورة ما يريد .. لقد جعل يبذل من الهدايا ما أدهش والدتى ، ما من أسبوع يمر دون أن يقدم لى حلية من ماس أو لؤلؤ ، حتى امتلأت خزانة زيتى هذه بالجواهر (ينظر الشاب إلى هذه الخزانة ملياً) ... إن قاموس هذا الرجل لا يحوى غير كلمة واحدة : النقود ... ذلك أنه لا يطالع فى الدنيا غير وجهها وحدها .. فيها يتنفس ويعيش ويبطش .. ليس أخطر من إنسان لا يدرك أن فى الحياة قيمة أنفوس من المال وأسمى ! ... لذلك عجزت عن أن أفهمه لغتى ! ...

الشاب : إنها عين العقلية عند هؤلاء جميعاً .. إن الذهب ليس فقط نوعاً من المعادن النفيسة .. ولكنه أيضاً نوع من المعادن السامة ، قاتل لكثير من الفضائل الإنسانية . إنى مقدر للخطر الذى أنت فيه ، وأخشى أن يكون الأمر قد ...

خيرية : لا .. لم يقع شئ بعد ... إنى أدافع عن نفسى دفاع المستميت ، ولكن هجومه شديد ... كان الأمر يسيراً علىّ يوم كان يكفى بمغازلتى فى البهو نهاراً ، أو فى ظلام السينا .. ولكنه تجرباً منذ أيام على اقتحام حجرى فى الليل بعد أن تنام والدتى والخدم ! ...

الشاب : ألم تخبرى والدتك ؟ ...

خيرية : كيف تريد أن أخبر هذه المسكينة ؟ ... إنها تهيم به حباً ... أى فاجعة تصيبها لو علمت ... ثم هى وحيدة فقيرة لا عائل لها غيره ، وهنا موضع ضعفى الذى يستغله هذا الرجل .. عندما طرق بابى فى الليل

أول مرة ، همس راجياً أن أفتح له لأمرضه ؛ فقد زعم أنه أصيب بيرد في الكلى ، ويريد شرباً ساخناً ، ولا يود إزعاج والدتي ، فلم يسعني إلا أن أفتح له ، فدخل ييسم ويلثم يدي ، ويضع في معصمي سواراً فاخراً ، فأطرقت شاحبة مرتجفة ، وزجرته برفق ، واحتلت عليه حتى خرج ، لكنه كرّر هذا العمل بعد ذلك ، فرفضت عندئذ أن أفتح له الباب ، وهنا بدأ يتوعد ويتهدد بأنه سيوقظ أهل المنزل ، ويجعلها فضيحة ، ويطلق والدتي ؛ فهو وحده الذي يستطيع أن يبطش بها ويطردها ويشردها ، وأنا وحدي — كما يقول — التي أستطيع أن أشتريها وأنقذها وأدرأ عنها وأحميها ، ففتحت له وجعلت أتضرع إليه ، وأبكى بين يديه ، ولكنه ما كان يذعن وينصرف إلا على وعد بالرجوع في ليلة أخرى ... وعلى أمل بأن يظفر يوماً بما يسميه الرضا والوصال .. تلك حالي ... ماذا أصنع ؟ ... أخبرني ! ... ما من أحد جرؤت على أن أفضي إليه بهذا السر ... انصحتني بما يجب أن أفعل .. إن مقامي في هذا البيت أمسى مستحيلاً ، وخروجي منه ليس أيضاً بالأمر اليسير ... فهذا الرجل لا يقبل طبعاً مغادرتي لمنزلي وسكني عند أهل والدي المرحوم ، وهؤلاء أيضاً ليسوا الآن في ظروف عائلية تسمح لهم بإيوائي . ومن المتعذر أن أتزوج . فهذا الرجل يرفض ويطرده كل خاطب . وليتني تعلمت في الجامعة أو غيرها ذلك النوع من التعليم الذي أستطيع به اكتساب رزقي في الحياة . والاستقلال بنفسى .

إني حيرى ، ضعيفة ، مهددة في شرفي في كل لحظة . لا أجد غير هذا « المصحف » . جئت به لأستمد منه الشجاعة والعزاء . أطلع فيه كل ليلة آية بعينها : « فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا » وإني لأأخذُه درعاً كلما دخل على ذلك الرجل ليلاً . أتناوله في يميني لأخجله ، وأجعلُه بيني وبينه سداً يحميني . إني تعسة .. تعسة (تخرج

منديلها وتكفكف دموعها) .

الشاب : لا تبكى يا آنسة ! .. إن الذى يجب أن يسيل ليس دمعك . بل دم هذا الشقى ... أصغى إلى جيداً .. تريدن مخرجاً من كارثتك ؟ .. لا أرى الآن غير حل واحد ! ..

خيرية : ماهو ؟ ...

الشاب : هذا الحل الوحيد هو .. أتعديني أولاً ألا تترددى ؟ ...

خيرية : ما هو ؟ ...

الشاب : قتل هذا الرجل ، إنه عائد إليك الآن . سأكمن له خلف هذه الستارة ... فإذا دخل حطمت رأسه بهذا (يلتفت حوله باحثاً ، فيرى كرسيّاً) بهذا الكرسي ثم خنقته بيدي ، وقفزت من هذه النافذة حاملاً جواهرى ، وبعد ذلك تصيحين : « اللص . اللص » بهذا أبنى أنا لنفسى حياة جديدة ، وتحررين أنت منه وتتنفسين حياة طليقة شريفة ! ...

خيرية : شريفة ؟! بعد هذا الجرم ؟! .. أجننت ؟ أخطر فى بالك أنى أوافقك على ارتكاب جريمة ؟! .. وهل تظن أنك بهذا الحل المنكر تسعدنى ؟ ... وقد شقيت أسمى بموت الرجل الذى تحبه ؟ ... ثم أنت ؟ ... كيف يسوغ لك ضميرك هذا الفعل الأثيم ؟! ..

الشاب : لقد رضيت لنفسى أن أكون لصاً . فهل أرفض من أجلك أن أكون قاتلاً ؟ ..

خيرية : لا .. لا .. إنك قد زللت بدخولك حجرتى كلص ، وقد كدت أعتقد أنك الآن نادم على هذه الزلة ، فلا تفجعنى فى عقيدتى ! ..

الشاب : أيمكن أن أكون رجلاً شريفاً ؟ ..

خيرية : نعم ! ..

الشاب : الآن ؟ ... وأنت معرضة لهذا الخطر الذى يهدد طهرى ؟ ...

خيرية : سأدافع عن نفسي ، وأظل أدافع ، حتى أموت ... ولكن لا ينبغي لك ولا لى أن نفقد الشرف دفاعاً عن الشرف ! ..

الشاب : أنت فتاة غريبة تغذين بالكلمات بينا الآخرون يتغذون بدمائنا ! ..
(يسمع طرق خفيف على الباب وصوت الباشا يهمس : « خيرية . خيرية » ، فترتعد الفتاة .)

خيرية : (بصوت مرتفع) انتظر لحظة يا . « بابا » ... لحظة (للشاب هامة) اذهب من النافذة بسرعة ، اذهب .. اذهب ! ...

الشاب : (همساً) سأبقى . وسأنفذ ما فى رأسى ! ...

(يجذب الكرسي قرب الستارة ثم يختبئ خلفها)

خيرية : (همساً) أتوسل إليك .. أتوسل إليك ألا تقدم على هذا الإثم .

الشاب : (همساً وهو يطل برأسه من خلف الستارة) إذا استفرنتى دناءة هذا الرجل ، فلن أضبط أعصابى ! ...

الباشا : (من الخارج) من عندك يا خيرية ؟ .. أسمع كلاماً فى حجرتك ...
افتحى حالا (يدير مقبض الباب) ...

خيرية : (تسرع إلى فتح الباب فيدخل الباشا فى روب دى شامبر حيرى)
إنى متعبة ... وما كان ينبغي أن أذهب إلى السيخا الليلة . كنت أود أن آوى نوا إلى فراشى ! ..

الباشا : (يتأملها) ومع ذلك لا تزالين بملابس الخروج ... من كنت تحاذين ؟ . (يحيل بصره فى الحجرة) خيل إالى أنى سمعتك تخاطبين أحداً ! ...

خيرية : (رابطة الجأش) نعم .. خيل إليك ... أو لم تقل إنك عائد ، لم أرد خلع ملابسى انتظاراً لمجيئك !

الباشا : أحقا ... كنت تنتظريننى ! ... أنا ؟ ..

(يجول فى الحجرة منقبا بعينه . ويدنو من النافذة المفتوحة ويطل

(منها)

خيرية : عمن تبحث ؟ ...

الباشا : الليل ساكن ! ... والهواء منعش والشجر في حديقتنا يهمس ... و ... (يلتفت إليها) وجمالك مفر ... وشبابك يسحر ،

ونضارتك تسكر ! ... (يجلس إلى الكرسي المجاور للستارة)

خيرية : (تسرع صائحة) لا ... لا تجلس على هذا الكرسي ! ...

الباشا : لماذا ؟ ...

خيرية : (مخفية ارتباكها) إنه ... بجوار النافذة وبرد الليل مضر لمن في سنك ! ...

الباشا : إني لست مسنا متهدماً يا عزيزتي خيرية .. ومع ذلك أشكر لك هذا الحرص على صحتي (ينهض من الكرسي ، ويجلس على المقعد الكبير

وظهره للستارة) ما دامت صحتي تهلك .. فأنا إذن أهلك ! ...

خيرية : (بفتور) طبعاً ! ...

الباشا : هذا تقدم كبير يا خيرية لقد بدأ العقل يهديك . وبدأت تقدرين حبي وتدركين أن صدك لا معنى له ، وأن صداقتي خير لك وأبقى ...

اعترفي أنك كنت مخطئة يوم أظهرت لي بعض النفور ! ...

خيرية : إني لا أنفر منك يا « بابا » .. ولكن ! ...

الباشا : بابا ؟ . ألتفظينها عمدا ؟ ... نهتك كثيراً إلى أن هذه الكلمة تجرح إحساسى ... تريدن إيهامى أيتها الخبيثة أنى لا أصلح لك حبيباً ! ...

خيرية : أرجوك ألا تتفوه بهذا الكلام المعيب الشائن المخجل البذى .

الباشا : حياؤك ؟ .. ما أجمل احمرار خديك وأنت تقولين لي ذلك ، حياء العذارى يزيدك فتنة وإغراء .. ويزيد قلبى هيما .. « خيرية » ! ...

عثر لك على بروش من الماس (يخرج منه جيب الروب) . مبتكر

الصياغة ، لم يوضع مثله على صدر امرأة . إنه يمثل شق القمر (ينهض

ويدنو من خيرية) دعيني أضعه يستمد الحرارة من هاتين الشمسيتين
الطالعتين في هذا الصدر ! ..

(يمد يده إلى صدرها ...)

خيرية : (صائحة) لا تلمسني (الستارة تهتز قليلا ..)

الباشا : لا تصيحى هكذا . أتريدين أن توقظى والدتك والخدم ؟ ...

خيرية : اخرج ! ...

الباشا : ما هذا الارتجاف في صوتك ؟! .. إنك خائفة منى ! ...

خيرية : إنك لا ترى نفسك ... إن ماتت لبع .

الباشا : أتعودين ؟ .. لقد مضى الحديث في ذلك كما تعلمين ، إنك لن تصدى

عنك غرامى بآرائك الصبانية . لقد صبرت أكثر مما ينبغى ومما

أحتمل . لقد كنت ضعيفا مطيعا أمام تمنعك وتعللك ، وكنت أغادرك

في كل مرة خائبا فارغا ، حتى ولا قبلة صغيرة أناها منك . أقسم لك

أنى لن أتركك الليلة حتى أنال ...

خيرية : تنال من شرفى !!! ...

الباشا : عدنا إلى هذه الكلمات التى تعكر الجو ؟ ... « خيرية » .. أنت

تعرفين جوائى في ذلك .. أنا عندى أيضاً كلمات المعكرة ... وإذا

كنت تحرصين على سعادة أمك ...

خيرية : أعرف سلاحك الدنى ! ...

الباشا : ماذا تقولين ؟ .. لا يعينى أن أسمع . ما من شىء يخرج من شفئك

الرطبتين يسيئنى أو يؤلمنى ... أيتها النحلة المحبوبة ، الذعى ما شئت .

فإن الذى يهمنى هو غسل فمك !! ..

خيرية : أنت يا من لا تعرف غير لغة الأخذ والشرء . أريد أن أشتري منك

طهرى ، ماذا تطلب منى في مقابله ! .. كم أدفع لك فيه ؟ ...

الباشا : أنا الذى أدفع في قبلة منك كل مال الأرض يا « خيرية » ، أرجوك ألا

تسمى الأشياء بغير أسمائها .. أهنا لك اليوم فتاة تتحدث هكذا عندما تجد الغرام ؟! .. إني لست غراً ... إني رجل حنكته الدنيا ، إذا رفضت حبى فمعناه أنك تحبين آخر ! ..

خيرية : آخر ؟! ..

الباشا : نعم ! .. رجل آخر لا تكرهين أن تمنحيه فمك . فمن هو إذن حبيبك الآخر ؟ .. الحقيقى ! .. أيتها الماكرة ! ..

خيرية : ليس لى حبيب ! ..

الباشا : أنا إذن حبيبك ، لأن هذا الهيكل البديع ، لا بد له من عابد يحرق البخور وينثر العطور .. « خيرية » ! .. هذا القمر الماسى لم يزل فى يدى مظلمة معتما ، دعينى أجعله يضىء فى صدرك ! ..

(يمد يده بالمشبك الماسى إلى صدرها ..)

خيرية : ابعد عنى أيها الرجل ! .. لا تلمسنى ! ...

(الستارة تهتز بعنف ...)

الباشا : كل فتاة قالت هكذا .. وهكذا فى أول الأمر صاحت .. « وكان لا بد أن تؤخذ منها القبلات غصبا . لن يروعنى صدك . أنت لى يا « خيرية » ... لن تهربى الليلة من ذراعى ! ..

(يهجم عليها ليضمها فتدفعه عنها ، وتبرز عندئذ يد الشاب من خلف الستارة ؛ لتساول الكرسي القريب ! ...)

خيرية : (تلمح الستارة ويد الشاب فتصيح) لا .. لا .. لا تفعل ! .. لا تفعل ! ..

الباشا : لا تصيحى هكذا . ستوقظين البيت ! ..

خيرية : لا تفعل ! .. من أجلى .. من أجلى ! ..

الباشا : (متعجبا) من أجلك ؟ .. ماذا تقصدين ؟ .. لماذا تنظرين إلى جهة النافذة ؟ ..

خيرية : (حاضرة البديهة) ألقى بنفسى منها . إذا فعلت أنتحر . أسامعنى أنت ؟ ... إياك ... إياك ! ..

الباشا : (مصغيا إلى ناحية الباب) . أسمع صوتا يقترب .

(صوت الأم فى الخارج تصيح ..)

الأم : (من الخارج) « خيرية » .. أتصرخين ؟ .. ماذا بك ؟ ..

الباشا : (هامسا بسرعة) تصنعى المرض يا « خيرية » ... بسرعة .. رافة بأملك ...

(خيرية تضطجع على فراشها سريعا ..)

الأم : (قدخل) ماذا جرى (تنقل بصرها بين ابنتها وزوجها)

الباشا : يظهر أنها أصيبت ببرد وهى فى السينا .. برد فى .. الكلى .. وقد تنهت أنا فبادرت إليها .. ولم نشأ إزعاجك ! ..

الأم : (لزوجها) أشكر لك اهتمامك بها (لابنتها) أتشعرين بألم يا « خيرية » ؟ ...

خيرية : لا يا « ماما » لقد زال الآن كل ألم ، إنه ليس بردا فى الكلى كما حسبنا .. إنها مجرد وخزة بسيطة عابرة فى جنبى وانصرفت ! ..

الأم : هل أحضرلك شرابا ساخنا ؟ ..

خيرية : لا لزوم يا ماما . لا أشعر الآن بشىء .. كل ما أحتاج إليه هو النوم والراحة .

الأم : لم تخلى ملابسك بعد ، هل أساعدك على خلعها ؟ ..

خيرية : أشكرك يا « ماما » ، سأخلعها بنفسى الآن ! ..

الباشا : دعها تستريح ... فلندعها لتستريح .. هلمى بنا (يأخذ يد زوجته ليخرجها معا) ..

الأم : (تسحب يدها منه برفق) سأتبعك بعد قليل ... عد أنت إلى فراشك .

الباشا : (وهو يخرج) لا تطيل المكث هنا وهى متعبة .. إنها كما ترين فى حاجة إلى الراحة (يخرج) ...

الأم : (لابتها) ألا تحتاجين إلى شىء يا « خيرية » ؟
خيرية : لا يا أماه . اذهبى إلى فراشك أنت أيضا .

الأم : (ترى المشبك وتتناوله) ما هذا البروش الملقى بجوارك ؟ .. هو طبعاً الذى أهداه إليك ؟ ..

خيرية : نعم ! ..

الأم : الليلة ؟ .. نعم لا بد أن يكون الليلة ؛ لأنى لم أره من قبل ! ..

خيرية : نعم ! .. الليلة ! ..

الأم : (تضعه بجوار ابتها) مبروك ... لديك الآن ثروة من جواهره يا « خيرية » ! ..

خيرية : نعم ! ..

الأم : ما كنت أتصور يوماً أن يفتح قلبه لك على هذا النحو .

خيرية : (تنظر إلى أمها ملياً) ماذا تقصدين ؟ ...

الأم : إنك لا شك تشعرين بمقدار عنايته بك « يا خيرية » ! ..

خيرية : نعم ، إنه شديد العناية بى ...

الأم : ألاحظ ذلك ، وها هو ذا نفسه يبادر إليك فى جوف الليل ليسهر على راحتك ! ...

خيرية : إنى ما أردت قط أن يهتم بى ذلك الاهتمام ! ...

الأم : أهذا شعورك حقاً ؟ ..

خيرية : أراك لا تصدين ، ما عدت تصدين ابتك التى لم ترزقى غيرها ، ولكنى أقسم لك يا أماه ، أقسم لك أن هذا شعورى حقاً ! ..

الأم : يدهشنى ذلك منك .. لو تعلمين يا « خيرية » كم أتعذب بسببك ؟ ..

خيرية : (تمسك بيد أمها) أعرف يا أماه .. أعرف ولو علمت كم أتحمل أنا من

أجلك .. إن سعادتك يا « ماما » هى وحدها التى تلهمنى الصبر ،
وتدفعنى إلى الرضا صامتة بما أنا فيه ! ..

الأم : بما أنت فيه ؟؟ ... ماذا أسمع منك يا « خيرية » ؟ .. أنت حقاً إلى هذا
الحد لست سعيدة هنا ؟ ..

خيرية : سعيدة بجوارك أنت وحدك ! ..

الأم : بالنكران الجميل ! ... ماذا كنت تطمعين فى أن يصنع لك كسى .
يرضيك ؟ .. ألا تكفيك هذه الهدايا التى يغدها عليك ؟ ... بمناسبة
وغير مناسبة ؟ .. وهذه النزاهات وهذه الملاهى التى يخرجك إليها فى
كل آن . وهذا الإغراق فى الإعزاز والتدليل والحنان . وهذه اللهفة
والحماسة والحرارة التى تبدو فى نظراته ونبراته كلما حدثك أو دنا
منك . أو تعلق الأمر بك . إذا صدق ظنى فأنت معبودته الصغيرة ..
أنت شغله الشاغل .. أنت كل ما فى عقله وقلبه وفكره . « اسمك » هو
الكلمة الأولى التى يلفظها عند دخوله البيت ... إن ألد لحظاته ساعة
يجلس إليك إن كل ما يسره الآن أن يبقى بجوارك . وكل ما يسعده أن
يلتصق بك دائماً ، ولا يفارقك أبداً ، إنه لمن الواضح يا « خيرية » أنك
الآن كل شىء فى حياته ! ...

خيرية : (تنظر إلى أمها طويلاً لتستشف ما وراء كلامها) وأنت يا
« ماما » ؟ ... أراضية بهذا ؟ ...

لأم : ماذا تقصدين ... أنا التى يجب أن ألقى عليك هذا السؤال ؟ ...
خيرية : لا شىء يرضينى غير سعادتك أنت يا أمى ... هل أنت الآن
سعيدة ؟ ...

الأم : أرى أنك تكثرين من الحديث فى سعادتي . لا تشغلي بالك كثيراً ،
بأمرى يا ابنتى . هنالك أحوال . لا يحق فيها لأم أن تفكر فى هئاتها
هى .. إنك وحيدة يا « خيرية » ... ولست أدري كيف أتصرف
(بين يوم وليلة)

نحوك ؟ . وما واجبي حيالك ؟ .. ولكنى عظيمة الثقة بالله وبشجاعتك، إن الحياة يا بنيتى لتضعنا أحيانا فى ظروف لا يستطيع غير الله وحده أن يجد لها مخرجاً ... لقد وضعت أمرك فى يد الله .. وهو خير مصرف للأموال .. نامى الآن يا « خيرية » بملء جفنيك .. وأرى نفسك وفكرك ؛ أتركك فى حمى الله ، تصبحين على خير ! ..
(تقبلها وتخرج وتغلق الباب خلفها .. وعندئذ تقفز « خيرية » من مضجعها ويرز الشاب من خلف الستارة)

خيرية : (للشباب) سمعت حديثها ؟ ..
الشباب : نعم .. ولم أفهم منه شيئا ! ..
خيرية : ولا أنا .. إن موقف والدتي ما زال شديد الغموض ... لم أستشف منها بعد إذا كانت تعرف أو تجهل ...
الشباب : يبدو لى أنها تجهل وأنها تحسب اهتمام هذا الوغد بك عطفاً أوبياً ! ..
خيرية : أتظن ذلك ؟ .. أخشى أن تكون عارفة وتتجاهل ببراءة ، ولم لا تقول إن هذه الأم المسكينة تعرف .. ولكنها لا تدرى كيف تتصرف ! ..
وهى تخاف أن تثيرها فى هذا البيت عاصفة تنتهى بحرقنا جميعا .
وفضيجتنا الشاملة فى المجتمع ، إلى أعرف والدتي .. سيدة متدبنة ،
شديدة الإيمان بالله ، وقد ورثت ذلك عنها .. نعم ... ربما آثرت إخفاء شعورها عن الجميع . وترك الأمر لتدبير المولى وحده ! ...
الشباب : دعينا الآن من علمها بالحقيقة أو جهلها . مهما يكن من أمرها فإن عليك أنت اليوم أن تحددى موقفك .. وأن تقررى شيئا ! ..
خيرية : لست أرى غير شيء واحد .. إن وجودى فى هذا البيت أمسى متعذرا ،
إن شجاعتى لن تخوننى . ولكنى أخشى لؤم هذا الرجل ، وجراته على سلوك كل سبيل دنى .. كفاحى ضد مآربه الآثمة يجب أن يوضع له حد ، وشكوكى فى أمر أمى التى قد تكون ملاحظة لكل شيء وتعيش

صامته تتعذب ، يجب أن يوضع لها حد أيضا .. ما رأيك أنت ؟ ..
الشاب : لقد رأيت لك الجلل . ولكنك فرغت وصحت بي صيحة دهمتني
ومنعتني من التنفيذ ! ..

خيرية : آه .. لا تذكرني .. عندما مددت يدك إلى الكرسي لترتكب جريمتك
شعرت كأن روحي تسقط في الجحيم ! ...

الشاب : وأنا عندما لمحت من خلف الستارة يد ذلك الرجل تمتد إلى صدرك .
شعرت كأن نيران الجحيم كلها تأكل قلبي . وأن دم هذا الرجل حلال
كدم كافر ، يلقي الدنس على أعتاب حرم مقدس ! ...

خيرية : أعتاب حرم مقدس ! .. ياله من تشبيه ... يسرنى أن ألتقي منك هذا
التشجيع ! ..

الشاب : العفو : أعترف أنه أمر مضحك حقا أن تتلقى ذلك التشجيع مني ... أنا
الذي ماتشرفت بزيارتك إلا من هذه النافذة .. ولكن ثقي ، على
الرغم من كل شيء ، أتي رجل بدأ يحس الآن الطهر يدب في روحه كأنه
خمر ، ما كنت أظن الفضيلة تعدى كالمرض بهذه السرعة ! ...

خيرية : إنك لم تكن يوما ، فيما أعتقد ، روحاً شريراً ، ولكن الغضب أضلك
وظلم الأقوياء أعماك ، والرأى الفاسد أغواك . فأشرفت على
الزلل ! ..

الشاب : (بعد تفكير كالتحاطب نفسه) كانت بالفعل زلة ، يداخلي إحساس
غريب أتي لا بد دافع ثمنها يوماً ! ...

خيرية : انس كل شيء الآن ... وتذكر فقط أتي أنقذتك في الوقت
المناسب ! ... وأن عليك أن تنقذني أنت بدورك ! ..

الشاب : هل تمكينني حقا من إنقاذك ؟ .. هل تصغين إلى نصيحتي هذه المرة ،
وتنفذين ما قام برأسي الآن ؟ ..

خيرية : ماذا قام برأسك الآن ؟ ..

الشاب : قبل كل شيء اسمحي لي أن ألقى عليك سؤالا .. هل تتقين بي ؟ ..
خيرية : (تنظر إليه مليا) لست أدري .. لكن .. إذا استمعت إلى صوت
شعوري الداخلي فأني أستطيع أن أثق بك ! ...

الشاب : ضعي أمتعتك في حقيبة .. واتبعيني ! ..
خيرية : إلى أين ؟ ..

الشاب : إلى حيث تعيش والدتي ، إنها تعيش الآن بعد وفاة أبي ، مع أسرة أخرى
الأكبر . إنه موظف ، وتقطن مع زوجته وأولاده في حي السيدة
زينب ! ...

خيرية : أظن هذا حلا أن أعيش عائلة على أسرة أخيك !؟ ...
الشاب : مؤقتا حتى نبحث لك عن عمل ! ...

خيرية : نعم .. أريد أن أعمل ، وأن أحيا من عرق جبیني ! ...
الشاب : أعرف ذلك ، وأطالع أفكارك ؛ لأننا نلتقي في آراء كثيرة .. ونشترك
في ظروف متشابهة . لست أدري هل تصدقيني إذا قلت لك : إنه قد
تبين لي الآن أن لا أمل لأمثالنا أنا وأنت إلا في العمل الشريف
لنعيش ...

خيرية : نعم .. الشريف ! ...

الشاب : تحيدين بالطبع لغة أجنبية .. إذن من السهل أن تعملی كبائعة في محل
تجاری !

خيرية : أفضل العمل في مكتبة ! ...

الشاب : أنت أيضا ؟ .. أرايت إلى أي حد نتحد في الاتجاه والميول .. لقد
يسرت مهمتي . هذا ميدان أعرفه . ولن يشق علي أن أجد لك وظيفة
بائعة أو صرافة في مكتبة ... ولكن لن تكون بالطبع في حي « سيدنا
الحسين » ! ..

خيرية : في أي حي شئت ؟ ..

الشاب : (مازحا) لو كنت سمحت لى بسرقة جوهرة واحدة من جواهرك التى فى هذه الخزانة لأنشأت أنا المكتبة . ووضعتك أنت موظفة بالحل ! ..
خيرية : حذار أن تمس شيئا مما فى هذه الحجرية ... يجب أن تترك لهذا الرجل كل جواهره و هداياه .. لن أحمل معى غير مسلابسى الخاصة الضرورية ! ..

الشاب : (جاداً) هذا حقاً ما ينبغي أن نفعله ! ..
خيرية : يسرنى أنك طرحت أفكارك القديمة . ونبذت مشروعاتك السابقة . آه يا صديقى .. لقد قلتها أنت الساعة .. لن تكون سعادتنا .. أنت وأنا وأمثالنا . من أصحاب النفوس الرفيعة . إلا فى الحبز الشريف والعرق الطاهر .. ثق يا صديقى أنه ليس ألد طعاماً فى الوجود كله من كسرة خبز اكتسبت بشرف ! ..

الشاب : يا « صديقى » .. تقولين لى « يا صديقى » ما أسعدنى بهذه الكلمة ! ..

خيرية : ولم لا ؟ أو لسنا من نفس النوع والروح والطبقة ؟ ...

الشاب : هلمى بنا إذن .. إلى حقيبتك ! ...

خيرية : (بتردد) الآن .. معك ؟ ... نخرج معا ! ..

الشاب : نعم .. معى .. لكن انتظرى .. أنت على صواب .. لدى اقتراح ، سخييف بلا شك .. أو جرىء .. أو فيه تطاول عليك ! ..

خيرية : قل ولا تخف ! ...

الشاب : لا .. لن أقول . إنى ولا شك جنتت .. نعم كل ما فعلت ورأيت وسمعت فى هذه الليلة الغريبة ، كان عجبيا وسريعا ومفاجئا إلى حد عطل فى رأسى كل أداة للتفكير .. ما أنا الآن إلا إنسان لا يصلح إلا للإقدام على الأشياء الجنونية .. حقا .. لم يعد بينى وبين مستشفى المجاذيب غير خطوة ! ..

- خيرية : قل كل ما يجول في خاطرك ! ..
- الشاب : حتى وإن كان لا يقبله العقل الصحيح ولا الذوق السليم ؟ ..
- خيرية : نعم ! ..
- الشاب : يجول في خاطرى .. أنى .. لو لم أكن هكذا بائساً مضبوطاً متلبساً بالشروع في سرقتك ، لكنت رأيت أن أتقدم إليك بطلب .. يدك .
- خيرية : طلب يدى ؟ ..
- الشاب : لأحمى سمعتك . وأكافح من أجلك ومعك .. بذلك لا تتعرضين لألسنة السوء وأنا أخرج إلى جانبك في الحياة الواسعة . ولكنى أسترده في الحال هذا الاقتراح الجنونى .. وأتمس منك المغفرة على هذا التهجم المهين . إنه لمن سوء الأدب أن أتجاهل الفارق الذى بيننا ..
- خيرية : حقاً . حقاً إنه لفارق كبير ! ..
- الشاب : (خجلاً) نعم .. لم أفقد بعد كل الوعى والبصر ، حتى لا أراه ! ..
- خيرية : من حيث الأسرة .. كان المرحوم والذى موظفاً في الحكومة متوسط الحال ! ..
- الشاب : (دهشاً) كالمرحوم والذى تقريبا ! ..
- خيرية : من حيث الدراسة . لم أذهب إلى جامعة ولم أتل دبلوماً عالياً ! ..
- الشاب : أما أنا فذهبت . وكدت أظفر بهذا الدبلوم ! ...
- خيرية : ومن حيث الأخلاق ، فأنا لم تنزل إلى القدم ، ولم يضلنى اليأس ، لم يذهب عني الإيمان لحظة بقيمة المبادئ الفاضلة ! ..
- الشاب : أما أنا فمع الأسف ! ..
- تحيرية : هذا هو الفارق الوحيد الذى بيننا ! ..
- الشاب : (بتأثر صادق) صديقتى ائذنى لى فى أن أتأدبك باسمك مرة ..
- « خيرية » .. أعاهدك وأقسم لك أنى سأكون مدى حياتى جديراً بك ! ..

خيرية : أصدقك ! ..

الشاب : هلمى بنا إذن .. حياق لك منذ هذه اللحظة ، ضعى ثيابك فى حقيرتك ، ولذهب توأ إلى حيننا ، فنوقظ المأذون لعقد زواجنا ! ...
خيرية : (تتحرك إلى خزانة الملابس) ساعدنى فى إعداد الحقية (وهى تخرج ثيابها) أوائق أنت أنى لن أزعج حياتك . ولن أكون عبئا على كاهلك ؟ ..

الشاب : (بفرح) وائق أنى سأكون شخصا أسمى وقلبا انبل .. نسيئت أن أطلعك على خبر .. بعد تركى لعملى القديم عرضت مكتبة أخرى على أن أعمل فيها بمرتب شهرى عشرة جنيهات . فإذا عملت أنت أيضا ، فلن يكون مرتبك أقل من ستة جنيهات ، أفلا تعتقدين أن فى مقدورنا أن نكون سعداء بستة عشر جنيها ؟ ..

خيرية : وأنا نسيئت أن أطلعك على خبر .. أنى أحسن الطهى بأقل نفقة ، وأجيد تفصيل ثيابى وثيابك ، وأحذق تنظيم البيت .. انظر .. ألا ترى حجرتى هذه منظمة ، سأجعل بيتك أجمل نظاما ولو كان غرفة فوق سطح ! ...

الشاب : وسأقتصد أنا فى مصروفى فأنا كما أحب أن تعلمى . لا أدخن ولا أجلس فى مقهى . لقد كان عملى مستغرقا كل وقتى ، إلى شاب مستقيم ، وما أوفره من مصروفى أستطيع به أن أدعوك إلى « السينما » مرة كل شهر ! ..

خيرية : كل شهرين . لا تكن زوجا مسرفا متلافا ... تعلم الاعتدال .. وإلا اضطررت إلى تعليمك كيف تعيش بحكمة .. هنالك أنواع من الزهه فى الهواء الطلق لا تكلف قرشا .. دعنى أدير كل ذلك ... والآن افتح لى الحقية من فضلك . ولا تقف هكذا مكتوف اليدين (يسرع هو إلى الحقية) لا تنتظر منى تدليلا فى كل وقت .. أسرع .. يا ..

عجبا ... ما اسمك ؟ .. كل شيء تحدثنا فيه . وبجئناه ودبرناه . إلا شيئا واحدا نسبت أن أعرفه منك .. اسمك ! ..

الشاب : خير لك أن تعرفى نفسى قبل أن تعرفى اسمى ، وإن كان عكس ذلك هو الذى يحدث عادة بين الناس .. اسمى يا « خيرية » . لا يريق فيه ولا رنين . « حامد حمدي حسنين » ! ...

خيرية : إنه عندى ذو يريق ... ما الاسم للنفس إلا كالزجاج للمسرجة ، يضىء بضوئها .. هلم بنا يا « حامد » لا أحسب أنى نسبت شيئا مما أحتاج إليه .. بل انتظر ... ناولنى هذا المصحف ! ...

حامد : (يسرع إلى المصحف ويناوله إياها) أول شيء لمست يدى فى حجرتك .

خيرية : (حاملة المصحف فى يدها ، تعبر رأسها فكرة) « حامد » ! ..
حامد : ماذا بك يا « خيرية » ؟ ..

خيرية : الآن .. وأنا أحمل هذا الكتاب المطهر تذكرت شخصا .. أمى .. كيف أخرج الساعة معك ، وأتركها هكذا نهباً للهواجس ؟ ... لا .. لا بد أن أمكث الليلة فى هذا المنزل ، فإذا طلع النهار حاولت أن ألمح لوالدى ، أو أصرح لها بعزمى على الاستقلال بحياتى .. يجب يا « حامد » أن أمهد الأمر هنا قبل الرحيل ، حتى تستطيع أمى أن تواجه على الأقل من يسألها عن غيبتى ! ..

حامد : أترين ذلك ؟ ! ..

خيرية : وأنت ؟ .. أأنت ترى أننى على صواب فى هذا ؟ ..

حامد : هذا هو المعقول حقيقة . لا بد أن تطلى والدتك على ما اتفقت .. أما زوجها فحذار أن يعلم .. تستطيع والدتك أن تخترع حجة مقبولة ! .. فتقول له مثلاً بعد ذهابك . إنك فى ضيافة أهل أهلك ! ..
خيرية : هذا ما سأصنع .

- حامد : أتركك الآن إذن يا « خيرية » ... لكن ... كيف ألقاك غدا ؟ ...
 خيرية : تعال قبيل الظهر في غيبة ذلك الرجل ... من الباب الكبير طبعاً ...
 وقل للخدم « بائع الكتب » ! ...
 حامد : إلى الغد إذن يا « خيرية » . ولا تنسى أنى خطيبك أمام الله ! ...
 خيرية : لن أنسى ذلك أبدا .
 حامد : (يتجه إلى النافذة ليتسلقها) ..
 خيرية : ماذا تفعل ؟ ... أخرج من هنا ؟ ..
 حامد : كيف أخرج إذن ؟ ..
 خيرية : من الباب يا عزيزى ... لا ينبغي لخطيبى أن يتسلق النوافذ بعد اليوم
 اتبعنى وأنا أخرج بك بلا جلبة من باب البيت ! ...
 (تقوده وتخرج به من الحجرة ويخلو المكان . ويسمع فى الخارج
 صوت باب خارجى يفتح . ولا تمر لحظة حتى يدخل « الباشا »
 الحجرة شبه راكض يبحث بعينه فى أرجائها . ثم يسرع إلى النافذة
 يطل منها)
 خيرية : (تدخل وتبغت لوجود الباشا) ماذا تفعل هنا ؟ ..
 الباشا : (يستلير) وأنت أين كنت ؟ ... ومن الذى خرج الساعة من الباب
 الخارجى ؟ ...
 خيرية : (متهربة) أتريد أن توقظ « ماما » مرة أخرى ؟ ...
 الباشا : (بجدلة) أجيبى على سؤالى . من كان هنا معك ؟ ... ومع ذلك لا
 حاجة بى إليك لأعرف سرّك . (يحدق بصره من النافذة) أرى شبح
 رجل يتخبط فى الحديقة كلص ... عشيقك بالطبع ! ...
 خيرية : خست أيها ... أيها الظالم .
 الباشا : (يترك النافذة والحجرة ، ويهرع إلى الخارج صائحا) ... إلى
 اللص . إلى اللص .

(ويسمع الباب الخارجى يفتح . ولا تمضى لحظة حتى يدوى طلق نارى فى الحديقة ثم ضجة أهل المنزل وهم يهبون صائحين لا غطين .)
 خيرية : (تسرع إلى النافذة) يارنى ! ... يارنى ! ... رحمتك بى و ... به (تحدق فى الحديقة المظلمة وفجأة تسمع صوتاً هامساً)
 حامد : (يهمس من الحديقة تحت النافذة) « خيرية » ! ...
 خيرية : (تطل عليه هامسة) أنت ؟ ... ترحف إلى نافذتى ! ..
 (تظهر بعد قليل يدها تتسلقان النافذة ... ثم ييدو رأس حامد وهو شاحب الوجه ..)
 حامد : (بصوت هامس متمزق) لا تنضبى يا .. « خيرية » . هذه آخر مرة أتسلقها ... لأراك ! ...
 خيرية : (جزعة ملهوفة) « حامد » ما هذا الدم فى صدرك ؟ ...
 حامد : (منتزعا ابتسامة) قتلنى ... ولكنى ... دفعت ... ثمن ... زلتى ...
 (تترك يدها النافذة وتسقط جثته فى الحديقة)
 خيرية : (تضع كفها على عينيها وتبقى لحظة بلا حراك ، ثم تقع بلا حراك .
 متهالكة على المقعد الكبير هامسة) رباہ ! ... ما أبهظ الثمن الذى ندفعه نحن ... لنكون شرفاء !! ...

(ستار)

الفصل الثاني

(بهو منزل « الباشا » . سلم كبير يؤدي إلى الطابق الثاني . أبواب جانبية تؤدي إلى حجرات . وباب كبير يؤدي إلى الحديقة وهو مدخل القيلا .. رياش فاخرة .. وتليفون فوق منضدة ! ... « خيرية واقفة بقرب باب حجرة مغلقة ، وهي في قلق تسمع .

بينما « الباشا » يوافيها كاظما ما يحيش في نفسه)

الباشا : (في سخرية خفية) إنه لم يزل على قيد الحياة ! ...

خيرية : (هامسة من بين أسنانها) أيها القاتل ! ...

الباشا : لم أقتله ... لقد رأيت وجهه ، وهم يدخلون الساعة به من الحديقة

إلى هذه الحجرة .. ما هو بوجه شخص سيموت ! ...

خيرية : سنعرف الحقيقة عندما يخرج الطبيب من الحجرة ! ...

(تلتفت إلى باب الحجرة كالترقبة ...)

الباشا : ياله من اهتمام رائع ! ... من عادة بلص ! ...

خيرية : إنه ليس لصاً ! ...

الباشا : بائع كتب ! ... جاء يعرض كتبه المحشوة بالعلوم والمعارف والفلسفة

والحكم والأدب ، في الهزيع الأخير من الليل ! ...

خيرية : ليس هذا وقت السخرية منه ! ...

الباشا : ربما .. ولكنه على كل حال وقت التحرى عن شخصيته البارزة ،

وعن موقفه الشريف ! ..

(يتجه إلى آلة التليفون ...)

خيرية : (تهرع إليه في جزع) ماذا أنت صانع ؟ ..

الباشا : (ويده تمتد إلى السماعة) أبلغ البوليس ! ...

- خيرية : (تمسك يده مرتاعه) البوليس ؟! ...
 (تظهر الأم تهبط السلم وفي يدها لفافة)
 الأم : هذا كل ما وجدت الآن عندنا من قطن طبي ، أيكفى هذا يا
 « خيرية » ؟ ..
- خيرية : (وهى شاردة) اسألى الدكتور يا « ماما » ! ...
 الأم : (تلمح السماعه فى يد الباشا) من تريد أن تخاطب بالتليفون ؟ ...
 الباشا : البوليس ! ...
 خيرية : اقترحت عليه أن يتمهل ، حتى نتحقق من مدى الإصابة ! ...
 الأم : (للباشا) الحق معها يا « محمود » .. ما الداعى إلى العجلة ؟ ...
 ربما كانت الإصابة خفيفة وأمكن تسوية الموضوع بغير حاجة إلى إثارة
 ضجة ! ...
- الباشا : تسوية « الموضوع » بالنسبة إلى من ؟! ...
 الأم : بالنسبة إلى الجميع ! ...
 الباشا : (يلتفت بعينيه إلى خيرية) لمصلحة من ؟ ...
 خيرية : لمصلحتك أنت .. لا تنس أنك أطلقت الرصاص على هذا
 الشخص ! ...
- الباشا : القانون يعطينى هذا الحق ...
 خيرية : إذا استطعت أن تثبت أنه جاء بقصد السرقة ! ...
 الباشا : هو الذى عليه أن يثبت ذلك القصد الكريم ، الذى أدخله هذا البيت
 فى هذه الساعة المتأخرة ! ..
- خيرية : (بنبرة ذات معنى خفى رداً على نبرته ذات المغزى الخفى) قد لا يجد
 صعوبة فى إثبات ذلك .
- الباشا : هناك جهة وظيفتها تحرى المقاصد النبيلة ، وتقصى الأغراض
 السامية ... هذه الجهة يسمونها « البوليس » و « النيابة » ! ...

(يتجه إلى آلة التليفون ...)

خيرية : (في رعدة) وما وجه الإسراع يا « بابا » ؟ ..
 الباشا : وما وجه الإبطاء ؟ ..
 الأم : « خيرية » حريصة على سمعتك .. يا « باشا » ! ...
 الباشا : (بنبرة ذات مغزى وعيناها إلى « خيرية ») سمعتى أنا ؟ ...
 الأم : إنها لا تريد لك أن تقف أمام « البوليس » موقف السؤال .. على أى شكل من الأشكال ! .

الباشا : عواطف رقيقة ؛ فلتطمئن عزيزتى « خيرية » أن موقفى أمام « البوليس » هو موقف صاحب القضية الذى يريد ويشكو ويتم ! ...

خيرية : تشكو ماذا ؟ .. هل سرق منك شيء ؟ ...
 الباشا : أكان يجب أن أنتظر حتى ترتكب الجريمة ؟ ... يكفى أن أضبط فى بيتى اللص ! ...

خيرية : إنك لم تضبط فى بيتك لصا ، ولكنك أطلقت النار على شخص يمشى فى الحديقة ! ...

الباشا : فى الحديقة ؟ ... يا لعواطفك الرقيقة ! ... لعله أيضا شاعر ! ... يمشى يترنم فى الحديقة وينشد فى ضوء القمر ... ولو أننا فى أواخر الشهر العرى ولكن هذا لا يهم ؛ فقمر الشاعر لا يضىء حسب الشهور الهجرية أو النتيجة الرسمية . ولكنه يراه حسب مواعيد أخرى . إنك يا « خيرية » تغلفين الحقائق فى ثياب من الحرير الناعم ... ما أسعد حظ ذلك الذى تتولين عنه الدفاع ! ...

خيرية : (فى حمرة تنظر إلى أمها ثم إليه) لست أتولى دفاعاً عن أحد ، ولكنى أرى هذا الحادث لا يستوجب منك كل هذا الجذ والعنف ! ...

الأم : حقا يا « محمود » ... رجل وجد فى الحديقة ، ماذا كان عليك لو

أخذت الأمر باللين والتؤدة ؟ ... ولم تلجأ إلى القوة وإطلاق النار
عهدي بك راجع العقل ، واسع الحيلة ، كثير الاتزان .. ما الذى
دفعك إلى هذا التصرف العنيف ؟ ...

الباشا : أتستطيعين أن تجيبى .. يا « خيرية » ؟ ! ..
خيرية : لعله الوهم ... لقد تخيلت شيئا لا وجود له ! ...
الباشا : أرجو ذلك يا « خيرية » ! ... وإن كنت أرى من القرائن أن مخاوفى
كانت فى موضعها ! ...

خيرية : لا ينبغي أن تحكم بما يقوم فى رأسك من وهم ! ...
الباشا : ليس وهما ... بل ها هو ذا رجل قد وجد ، بلحمه ودمه ، ماذا تقولين
فيه ؟ ..

الأم : كان يجب أن تناديه فى الحديقة أولا ، وأن تسأله ! ...
الباشا : وأن أقدم له « سيجارة » ، وأدعوه إلى تناول فنجان من القهوة فى
الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ! ...

خيرية : بل تركه وشأنه ... وعلى البواب والحرس أن يقبضوا عليه ، إذا
وجدوا من أمره ما يريب ! ...

الباشا : آسف أنى لم أدعه يذهب معززا . ولم أوصله بنفسى إلى الباب
الخارجى مشيعا بالتجلة والإكرام . لأستحق بعدئذ تقدير الآنسة
« خيرية » ...

خيرية : لتستحق راحة ضميرك ! ...
الباشا : ضميرى مستريح ... ثقى بذلك ؛ فقد قمت بالواجب الذى تفرضه
على كرامتى ! ... وكرامة هذا البيت ! ..

الأم : وهل كرامة هذا البيت يخذشها حادث مثل هذا ؟ ...

الباشا : (يشير لها إلى خيرية) سلى ابنتك ! ...

الأم : لست أفهم ... أفهمت أنت يا « خيرية » ؟ ..

خيرية : لعله يعتقد أن دخول هذا الرجل فيه اعتداء على كرامة البيت ! ..
الباشا : (لخيرية بنبرة ذات معنى) وأنت ألا تعتقدين ذلك ؟ ... دخول
رجل لا فى الحديقة ، بل فى حجرة داخل هذا البيت ... افرضى أن
رجلا دخل حجرتك فى ساعة متأخرة من الليل ، ألا ترين فى ذلك
اعتداء على كرامتك ؟ ..

خيرية : (بنبرة ذات مغزى) أترك لك أنت الجواب عن هذا السؤال ! ..
الباشا : (يباغت ولكنه يتالك) صدقت ... أعرف رأيك ؟! ..
خيرية : (فى لهجة ذات معنى) أرجو أن نكون الآن متفقين فى رأى ...
الباشا : (بنفس اللهجة) لا تنسى أن الظروف مختلفة كل الاختلاف ! ..
خيرية : الظروف واجدة ... لا يوجد اختلاف إلا فى وجهة النظر ! ...
الأم : ما الداعى إلى كل هذا الخلاف بينكما ؟ ... هو يرى أن يبلغ ، وأنت
لا ترين ذلك ... ربما كان الباشا أدري بالظروف يا « خيرية » ...
دعيه يفعل ما يريد ! ... ما الذى يهمك أنت من هذا الأمر ؟! ...
الباشا : حقا ... سلبها هذا السؤال ! ...

خيرية : (مرتبكة) طبعاً ... لا شيء ... ولكن . ألم نتفق على تأجيل
التبليغ ؟ ... إلى أن نعرف مدى الإصابة ويقول لنا الطبيب شيئاً عن
حالة هذا الشخص هل سيموت ؟ .. هل سيعيش ؟ ...

الباشا : وما الذى يهمك أنت من هذا الشخص ؟ ... مات أو عاش ؟ ...
الأم : حقا .. ماذا يهمك أنت يا « خيرية » ؟ ... لماذا تشغلين بالك بهذا
الحادث ؟ .. فلنضع المسألة فى يد « الباشا » فهو أخبر منا بهذه
الأمر ! ...

الباشا : نصيحة ثينة من أم ، لعلك تصغين إليها ! ..
(يتجه إلى التليفون ...)

الأم : إذا أردت رأىى يا « خيرية » ، فاذهبى توا إلى فراشك ؛ فأنت لا

- تتحملين السهر الطويل ! ...
- خيرية : (تتبع الباشا بأنظار قلقه ، وهو يضع يده على السماعه فتلفظ صيحة مكتومة) إلهى ! ...
- (عندئذ يفتح باب حجرة جانيية . ويرى رأس الطيب ...)
- الطيب : (بعجلة) القطن ... من فضلكم ... القطن ..
- الأم : (مبادرة إلى الطيب) معى يا « دكتور » .. فى يدى .. كان يجب أن أسرع به إليك .
- الطيب :- (وهو يتناول القطن) شكراً .. هل لى أن أطلب معونتك لحظة ؟ ...
- (تدخل الأم مع الطيب ويغلق باب الحجرة)
- خيرية : (تهرع عندئذ إلى الباشا وتضع يدها على التليفون) لن تبلغ « البوليس » ... أعرف نواياك ... تريد أن تنتقم ... تريد أن تلوث اسم هذا الشاب ، وتزج به فى السجن ! ..
- الباشا : عشيقك ! ..
- خيرية : خسئت .. لا تقل هذه الكلمة ! ..
- الباشا : مخاوفى كانت فى محلها .. ما كنت أرى لصداك معنى ، إلا أن يكون فى حياتك رجل ! ...
- خيرية : ليس فى حياتى رجل ! ...
- الباشا : هذا الشاب ، كيف دخل هنا ؟ ..
- خيرية : لست أدرى ، لم أراه ساعة جاء ؟ ..
- الباشا : ولماذا جاء ؟ ..
- خيرية : جاء يقترض منى نقودا ..
- الباشا : بعد منتصف الليل ! ..
- خيرية : ربما جاء مبكرا ، فلما لم يجدنى انتظر عودتى ..

- الباشا : فى الحديقة ؟ ... أو فى .. حجرتك ؟ ! ..
- خيرية : لست أدرى ... أين وجدته أنت ؟ ..
- الباشا : سمعتك تخرجينه من هذا الباب ! ...
- (يشير إلى باب البهو المؤدى إلى الحديقة .)
- خيرية : سمعت هذا الباب يفتح .. هذا كل ما تستطيع أن تسمع ! ...
- الباشا : ووجدت حجرتك خالية منك ! ...
- خيرية : خرجت أشيعه فى الحديقة ! ..
- الباشا : وجدت نافذتك مفتوحة . ووجد هو عقب الإصابة ، ملقى تحت النافذة ! ...
- خيرية : لقد تسلق كى يخبرنى بفعلتك ! ...
- الباشا : (روميو) يتسلق نافذة « جوليت » ! ..
- خيرية : لا تسخر من هذا البائع الفقير ، الذى أنقته المقادير فى يدك ! ..
- الباشا : بائع كتب ... قلت لى أين ؟؟ ..
- خيرية : فى مكتبة بحى الأزهر ... اشتريت منها مصحفى ! ..
- الباشا : معرفة وثيقة ... تتيج له تسلق النوافذ ، واقتراض النقود ! ...
- خيرية : إنه شاب بائس ... لو عرفت قصته لرحمته ، ولكن .. أين لقلبك أن يعرف الرحمة بمثله ؟! ..
- الباشا : رحسبه قلبك أنت ! ..
- خيرية : ثق أئى منذ رأيت لأول مرة فى المكتبة لم أره قط إلا الليلة . على غير انتظار . كانت مفاجأة لى ..
- الباشا : مفاجأة سارة .. تترى بكل ما عداها ، بل كل مفاجأة أخرى إلى جانبها رخيصة ! ...
- خيرية : إنك تخطئ لو ظننت أن بينى وبينه علاقة سابقة ! ...
- الباشا : العلاقة الحاضرة بينكما تكفينى ؛ فهى على فرض حدانة عهدا ، (بين يوم وليلة)

بادية النمو ، غائرة الجذور ، دانية الثمار ! ..

خيرية : لا تبالغ .. لا تبالغ ! ...

الباشا : دعيني إذن أنتزعها من أصولها ...

خيرية : تنتزع ماذا ؟ ...

الباشا : هذا السد الذى يقوم بينى وبينك لا بد من تحطيمه ! ...

خيرية : إن الغيرة تعميك ! ..

الباشا : لن يأخذك هذا الشاب منى ، إلى أعرف أين ألقى به ؟ ...

خيرية : فى أعماق السجون ...

الباشا : سأخير له مكانا يليق به ! ...

خيرية : إلى أمنعك ... لن تستطيع أن تناله بسوء ، لن تمس منه شعرة ... لن

تمس منه شعرة ! ...

الباشا : يا للشرر المتطاير من عينيك ! ... لكأنك هرة تذود عن صغارها

هنيئا له .. هنيئا له ! ...

خيرية : أراك مقدما على شر .. أرنى ماذا فى مقدورك أن تصنع ! ..

الباشا : تتحدين الآن ؟ .. أنت تعرفين ما أنا صانع ! ..

خيرية : ستبلغ « البوليس » ؟ ...

الباشا : (وهو يرفع السماعة) نعم ! ...

خيرية : (بعزم) بلغ وأسرع ! ...

الباشا : (يلتفت إليها مباحثا) مرحى ! ... مرحى ! .. هذا شىء جديد ،

لا تخشين التبليغ الآن ! ..

خيرية : لا .. لأنى أعرف ما سأقول أمام البوليس ، والنيابة ! ...

الباشا : ماذا ستقولين ؟ ...

خيرية : سأقول إن هذا الشاب لم يدخل بقصد السرقة ، بل دخل لأنه خطيبي

أمام الله !

- الباشا : خطيبك أمام الله ! ...
- خيرية : أليستطيع القانون أن يدينه في هذه الحالة ؟ ...
- الباشا : أو حدث هذا حقا ؟ .. أم هي فكرة نيرة لإنقاذ الشاب من ورطته ؟
- خيرية : فليكن هذا أو ذاك ... المهم هو أن تصرّحى هذا في التحقيق سيوقعك أنت في ورطة كبرى ...
- الباشا : يوقعنى أنا ؟ ! ...
- خيرية : لقد أطلقت الرصاص على خطيبى ... فعليك أن تثبت أنك لم تقصد إصابته عمداً لغرض في النفس ! ...
- الباشا : غرض في النفس ... ستقولين بالطبع سر تفاصيله ! ...
- خيرية : بكل دقة وصراحة ! ..
- الباشا : يالك من مأكرة ! .. قصيرة النظر ! ...
- خيرية : بل بعيدة النظر ... أعترف أنى بذلك سآثيرها فضيحة في المجتمع .
- تلوث اسمك ، وتقضى على سمعتك ... وتجرفك من فوق مقاعدك العديدة في مجالس الشركات ! ...
- الباشا : خنجر حاد حقا .. ولكنه سيصيب قلبا آخر ! ..
- خيرية : قلب من ؟ ..
- الباشا : قلب أمك ! ...
- خيرية : أمى ؟ ! ..
- الباشا : خنجر ذو حدين ؛ لأن الفضيحة ستكون فضيحتك أنت ، قبل أن تكون فضيحتى ، وستفجع أمك في بنتها وزوجها في آن . لست أنت التى تتحدّين ، بل أنا الذى أتحدّى ... التليفون أمامك . اطلبى بنفسك البوليس وبلغيه أن خطيبك قد أطلق عليه الرصاص ، وأن الجانى هو « محمود باشا نعمان » ..
- خيرية : (هامة بلا حراك) أمى ! ...

- الباشا : مالك وجهت ؟ .. أقدمى ... نفذى تهديدك ! ..
- خيرية : وأخيرا .. ماذا تنوى أن تصنع بى ؟ ..
- الباشا : بك أنت .. لا شيء .. إنك أعز عليّ من أن أفكر فى إساءتك . لقد رأيت الساعة كيف كنت أدارى الأمور أمام أمك .. حتى لا تفتن إلى مرمى كلامنا .. ألم تفهمى من ذلك أنى حريص عليك ، ضنين بك ؟ ولكنك دائما سيئة الظن بى ... متى تدرकिन أنى لك محب مخلص ؟ وأن مصلحتك فى أن تكونى لى صديقة ؟ .. إلى أريدك يا خيرية ... لقد أقسمت على ذلك ، ولن يقف أحد ولا شيء فى سبيلى أبدا ... وإنى أعنى ما أقول ! ..
- خيرية : (تنظر إليه يائسة وتقول كالتحاطبة نفسها) أرى أنك تعنى ما تقول ! ...
- الباشا : لا فائدة من مقاومتى يا خيرية ! ...
- خيرية : (تطرق مليا مفكرة ، ثم ترفع رأسها) أو ما من طريقة عندك غير البطش بهذا البريء المسكين !؟ ..
- الباشا : خطيئك أمام الله !؟ ..
- خيرية : (وقد غيرت من لهجتها) يدهشنى كيف ذهبت فطنتك ؟ ... ألم تسائل نفسك عن السبب الحقيقى الذى من أجله أدافع عن هذا الرجل ، وأتمسك به ؟ ...
- الباشا : لأنك تحبينه ! ..
- خيرية : فى نصف ساعة !؟ ... أيمكن أن تصدق هذا ؟ ...
- الباشا : لأنك تكرهينى ! ...
- خيرية : أكره من يمنحنى قلبه ، ويغمرنى بعطفه وهداياه ؟ ...
- الباشا : ألا تكرهينى ؟ ... إنك تحيرينى ، لماذا إذن تدافعين عن هذا الرجل ؟ ..

- خيرية : لأن فكرة هبطت على .. ساعة رأيته الليلة ! ...
- الباشا : ما هى هذه الفكرة ؟ ...
- خيرية : أن أتزوجه ! ...
- الباشا : (بدهشة) تتزوجينه ؟! ...
- خيرية : من أجلك ! ...
- الباشا : من أجلى ؟! ..
- خيرية : نعم من أجلك ... ألم تفهم قصدى ؟ ...
- الباشا : أفهم ... ولكنى .. لا أصدق ! ...
- خيرية : لأنك أنت الذى تسيء الظن بى دائما ... إنك على الرغم من خبرتك التى تتحدث عنها ، وحنكتك وتجاربك فى الحياة ، تفوتك أبسط الأشياء ! .. كيف كنت تريد منى أن أبادلك العطف تحت سقف هذا البيت ؟ .. وعلى أى وضع من الأوضاع تطلب ذلك ؟ .. لقد نسيت أنى فتاة ، لا بد لها من زوج ... أفهمت ؟ ... لو كنت تنظم شركاتك هناك ؛ كما تنظم أمورك هنا ؛ — لما شككت فى أنها شركات مخففة خاسرة .. هل أدركت الآن كيف أنه كان يجدر بك أن تنظم وضعى أولا ... وأن تجعلنى فى إطار اجتماعى مفهوم ، قبل أن تأذ لتطرق بى وتطلب عطفى ! ..
- الباشا : (يتأمل كلامها) معقول ! ...
- خيرية : ما هو الترتيب الذى قمت به أنت فى هذا السبيل ؟ ... لا شيء ، كان على أن أفكر فيه أخيراً ! ...
- الباشا : ولماذا لم تنهينى إلى هذا قبل الليلة ؟ ...
- خيرية : أتظن حياء المرأة وكبرياءها يسمحان لها فى كل الأحوال بهذه المصارحة ؟! .. إن المرأة تحب دائما أن تشعر أن الرجل هو الذى يفكر لها ويدبر ... وليست هى التى تفكر وتدبر له ! ...

الباشا : ولكنى لم ألمس منك حركة أو نظرة أو إشارة تنم على شىء غير الصد والنفور ! ...

خيرية : ما من شىء ينفر المرأة الرقيقة مثل الأسلوب الهمجى ، الخالى من الكياسة واللياقة والذوق ... إن المرأة المهذبة تهمها الطريقة قبل الغاية ... وإن من الرجال من يستطيع الوصول إلى قلب المرأة التى يريد لها ، إذا استطاع أن يغطى أشواك هذا الطريق بحرير من المظاهر السليمة والأوضاع المقبولة ! ... إن المرأة تحب قبل أن تمنح قلبها أن تعتقد أنها لا تأتى أمرا يسقطها من الأعين ! ...

الباشا : صدقت فى هذا يا « خيرية » ... لقد ظننت أنى ! ...
خيرية : لقد ظننت أنك بالهدايا تصل إلى قلبى ... إنك مخطئ .. هذا أسلوب ينفع مع الغوانى والخليعات ... غلطتك الكبرى ؛ هى أنك تحسب المال كل شىء ؛ لأنك به تشتري الأسهم فى الشركات ، لكن ثقب أن الأسهم التى تصيب بها القلوب ؛ لا تشتري دائما بالأموال ! ...

الباشا : حقا ... أنت امرأة ليست كالأخريات ! ...
خيرية : كان يجب أن تعرف أن المرأة ذات الكرامة لا تقبل الحب إلا من الرجل الذى يشعرها بأنه مقدر لظروفها ، حريص على مظهرها ، أمين على سمعتها ... إن المرأة كالطاووس لا بد لها من ثياب من الريش الزاهى الجميل ، يغطى جسمها ويستر تصرفاتها ! ...

الباشا : نعم ... كان يجب أن أفكر لك قبل كل شىء فى ... زوج وفى بيت ! ...

خيرية : هل ثبت الآن إلى صوابك ، وأدركت حقيقة موقفى ؟ ...
الباشا : وما الذى جعلك تتخيرين هذا الشاب بالذات ؟ ..
خيرية : لم أتخيره ، ولكنه هو الذى جاء ، وهبط علينا الليلة من السماء ، فحرك فى رأسى الفكرة ! ..

- الباشا : (مهرش رأسه) فكرة في الحق ، لا بأس بها ، فهو على الأقل ...
 خيرية : واقع في أيدينا ، مدين لنا ، من طراز يلزمنا وينفعنا ! ..
 الباشا : آه ... إن رأسك الصغير لا يخلو من عبقرية ! ...
 خيرية : في استطاعتك أن ترفعه إلى مستوانا . كما فعلت بكثير من محاسبيك
 الذين وزعتهم في الشركات ! ..
 الباشا : سيكون مديرا .. في بضعة أشهر ، لشركة ناجحة ! ...
 خيرية : وسيكون لي بيت ! ...
 الباشا : يليق بك وبزياراتك لك ! ...
 خيرية : لن تزورني في البيت بالطبع إلا نهراً ...
 الباشا : مفهوم ؟ ... منذ اليوم لن تفوتني اللياقة ولا الكياسة ... سأدبر
 المسكن الآخر الذي سيكون في يدك مفتاحه ! ...
 خيرية : (وهي تطرق) أخف هذه الأشياء عني الآن ! ..
 الباشا : حقا ... لامؤاخذه .. من اللياقة والكياسة أن أفاجئك بها في حينها ،
 والآن كيف ننفذ هذا المشروع ؟ ...
 خيرية : اترك لي أنا الأمر فيما يختص بالشاب ... المهم أمي ! ...
 الباشا : أمك .. أنا أتولى عرض الأمر عليها وإقناعها ! ..
 خيرية : ماذا ستقول لها ؟ ...
 الباشا : سأقول إن هذا الشاب لقطة ! ...
 خيرية : ما هذا الكلام ؟ ..
 الباشا : دعيني أتصرف في الوقت المناسب ... أنا لا أستطيع أن أعد الكلام
 قبل أوانه ، حتى عند انعقاد الجمعيات العمومية لشركاتي .. لا أحب
 تحضير خطبي مقدما .. براعتي هي الارتجال ... أنا مرتجل من الطبقة
 الأولى ... سبتين الآن حججتي الدامغة أمام أمك ، تخرج من رأسي
 ومن فمي بدون وعي ! ...

— ١٦٨ —

- خيرية : بدون وعى ؟! ... بل يجب أن تزن الكلام ! ..
- الباشا : سيخرج موزونا ، أربعة وعشرين « قيراطا » ! ...
- (باب الحجره يفتح وتظهر الأم ...)
- خيرية : (هامة) أمى ؟ !
- الباشا : (يتنحنح توطئة للكلام) كيف حال هذا الشاب ، المهذب
- المؤدب . الحلو الشمائل ، الكريم الخصال ؟ ...
- الأم : (تنظر إليه بهشة) ماذا تقول ؟ ...
- خيرية : (تسرع) ماما .. ما رأى الطبيب ؟ .. أحواله خطيرة ؟ ...
- الأم : أبدا ... الإصابة سطحية جدا ! ...
- الباشا : اللهم لك الحمد ! ... إن في فقد هذا الشاب خسارة جسيمة ! ...
- الأم : من حسن حظّه أنه لم يصب إلا بخدش بسيط ! ...
- الباشا : بل هذا من حسن حظنا نحن ! ...
- الأم : اطمئن الآن .. المسألة لم تعد تستحق أى تبليغ ! ...
- الباشا : يل لا بد من التبليغ ! ...
- الأم : تبليغ « البوليس » ؟ ...
- الباشا : بل تبليغك أنت ! ...
- الأم : (فى دهشة) تبليغى أنا ؟ ... بماذا ؟ ...
- الباشا : يا لخبر السار ! ...
- الأم : (فى عجب) أى خبر سار ؟! ..
- الباشا : خبر الخطبة ! ..
- الأم : خطبة من ؟ ..
- الباشا : ما رأيك فى هذا الشاب ؟ ألم تلاحظى أنه مؤدب مهذب وديع ، مطيع ؟ .
- الأم : لم ألاحظ شيئا ؛ فقد لزم الصمت ، ولم يتبادل الحديث ! ...
- الباشا : أما أنا فقد لا حظت من أول نظرة ، قرأت على وجهه الدماثة والطيبة

والترية العالية ! ..

الأم : سمعتك الساعة تصفه بأنه لص ! ...

الباشا : قول مرتجل ، لا وزن له ، ولا أساس له من الصحة ! ..

الأم : مهما يكن من صفته ، فالمهم أن ينتهى الحادث بسلام ! ..

الباشا : بل يجب أن ينتهى بالأفراح والليالى الملاح ! ...

الأم : ما الذى جرى لك ؟ ...

الباشا : هتئى « خيرية » ! ...

الأم : (بدهشة) أهتئى « خيرية » ؟! بماذا أهتئها ؟ ...

خيرية : (للباشا) طريقتك هذه فى الارتجال ، تجعل كلامك كما ترى غير

مفهوم ...

الأم : فى الحق أنى لست أفهم شيئاً ! ...

الباشا : المسألة بالاختصار أن هذا الشاب هو خير زوج لخيرية ! ...

الأم : ماذا حدث لعقلك يا « محمود » ؟ .. ابنتى الوحيدة لا أجد لها زوجاً

غير هذا الذى ...

الباشا : هذا الذى ماذا ؟ ...

الأم : الذى ضبط الليلة فى هذا البيت ! ...

الباشا : من قال لك إنه ضبط ؟ .. هذه وشاية دينية . هذه معلومات مستقاة

من مصادر مغرضة ! ...

الأم : أنت المصدر ، وأنت الذى أطلق عليه الرصاص ...

الباشا : رصاصة طائشة ، فى ظلام الليل ! .. كان هذا الشاب المهذب

يتمشى فى الحديقة يناجى القمر ، أقصد القمر الذى سوف يطلع فى

الشهر الجديد ، ولكنه رأى قمراً آخر يطلع من هذه النافذة . هو وجه

« خيرية » ! ..

الأم : أكانت إذن بينهما علاقة ؟! ..

الباشا : بريئة جدا !
 الأم : (تنظر إلى خيرية بتأنيب) أنت ؟ ... أنت التى كنت أحسبها ابنتى
 الطاهرة الفاضلة ؟ ...

خيرية : إني طاهرة فاضلة — لو تعلمين يا أمى — كعهدك لى دائما ! ... ثقبى
 أنى لم أرتكب شيئا تكرر هينه منى ، ولكنى أريد أن يكون لى زوج
 وبیت ! ...

الأم : زوج مثل هذا الرجل ؟ ...
 خيرية : هو فقير حقا ... ولكنه مجد نشيط ، وذو مبادئ عليا ، وأسرته
 فقيرة ، ولكنها فاضلة شريفة ! ...

الباشا : أهله من خيار الناس ... اشتهروا دائما بالدماثة ، والوداعة ، وطيب
 الأخلاق وجميل السجايا ! ..

الأم : (لا يبتها) أتعرفينه من قبل ؟ ...
 خيرية : رأيته فى المكتبة التى كان يعمل بها ، يوم اشترت المصحف ! ..
 الأم : عامل مكتبة ؟

خيرية : كان طالبا فى كلية الآداب ! ..
 الباشا : (للأم) ألم أقل لك إني لاحظته ، من النظرة الأولى متحليا بالفضائل
 والآداب ؟؟ ..

الأم : عامل مكتبة ؟ ..
 الباشا : سيكون مدير شركة فى وقت قريب وهذا على عهدى ! ...
 الأم : (للباشا) يدهشنى تحبيدك لهذا الخطيب بالذات ! ...

الباشا : لأنه .. لأنه .. لأنها .. لأنها .. تحب ذلك .. رغبة « خيرية » يجب
 أن يحسب لها حساب .. نحن الآن فى عصر يجب أن تزوج فيه البنات
 حسب رغباتهن ، لا حسب رغباتنا ! ...

الأم : (لخيرية) أو لم يقع اختيارك إلا على مثل هذا الشخص ؟ ! ..

- خيرية : الظروف ... يا « ماما » ! ..
- الباشا : يجب أن نحسب حساباً للظروف ! ..
- الأم : أى ظروف ؟ ..
- الباشا : وجود هذا الرجل هنا ، فى هذه الساعة من الليل . وانطلاق الرصاصة الطائشة ، ووجود الطبيب ؛ — كل ذلك يدعوننا إلى إنقاذ الموقف بمنتهى الكياسة واللباقة ! ..
- الأم : (بنظرة توبيخ) فهمت .. فهمت .. أنت التى وضعت نفسك فى هذا الموضع الشائن ! ..
- الباشا : (بلهجة الشهامة) لا توبخها ؛ ما دام فى إمكاننا أن ندرأ الفضيحة قبل أن تشيع ؛ فلا محل للوم أو تقريع .. اتركى لى الأمر .. خيرية عزيزة على نفسى ، كما تعلمين ، وسأعمل كل جهدى لأجعلها سعيدة فى بيتها الجديد . وسيكون زوجها ثريا وجيها لا تقصاً بها . مرفوعاً إلى مستواها . وسوف أسهر عليها فى حياتها الجديدة . وأرفرف على هنائها بأجنحة العناية والحماية والحب ! ..
- الأم : أعرف أنك لها فى مقام الأب ... ولكن ..
- الباشا : ولكن ماذا ؟ أتشكين فى حسن تقديرى للظروف ؟ .. وخبرنى بالحياة ؟ .. لو لم أر هذا الحل هو الحل الموفق السعيد ، لما حبذته ونفذته .. اطمئنى يا زوجتى العزيزة . اطمئنى دائماً لرأبى وحكمى ! ..
- الأم : (مطرقة فى إذعان) إنى مطمئنة لرأبك وحكمك .
- الباشا : قولى إذن لخيرية .. مبروك ! ...
- الأم : (تتحامل على نفسها) مبروك يا « خيرية » ! ...
- (باب الحجره يفتح . ويظهر الطبيب يحمل حقيته الصغيرة ...)
- الباشا : (يلتفت إليه) خيراً يا دكتور ؟! ..

الطبيب : سليمة يا باشا ! ... الرصاصة لم تخدش غير الجلد في أعلى الكتف بعد ثلاثة أيام لا يكون هناك أثر يذكر لهذا الجرح ! ...

الباشا : ألا يحتاج لمواولة العلاج ؟ ...

الطبيب : لا أظن .. عندما يرفع الرباط سيكون الجرح قد التأم ! ...

الباشا : شكرا يا « دكتور » ... إن صحته غالية جدا ! ...

الطبيب : هل لدى « البوليس » علم بالحادث ؟ ...

الباشا : (البوليس) ؟ ... ولماذا « البوليس » ؟ ...

الطبيب : لأن الحادث من رصاصة .. والمصاب ! ...

الباشا : الرصاصة من مسدسي ، والمصاب نسيبي ...

الطبيب : نسيبك ؟ ..

الباشا : (يشير إلى خيرية) خطيب الأنسة « خيرية » ! ...

الطبيب : (يلتفت إلى خيرية) عفوا ... عفوا (ثم يلتفت إلى الباشا) لم أفهم

ذلك ! فقد خيل إلى عند مجيئي أفي سمعتك يا « باشا » تقول إن المصاب ضبط في الحديقة .

الباشا : بالضبط .. في الحديقة .. قولي يا « خيرية » للدكتور ! ...

خيرية : (بدهشة) أقول له ماذا ؟ ...

الباشا : كيف يتقابل الخطيبان في هذا الجيل الجديد ؟! .. (للطبيب) إنهما

يا دكتور لا يعترفان بوجود الأبواب ، بل يستخدمان النوافذ ...

الخطيبة تطل من النافذة في ظلام الليل ، والخطيب يناجيه من

الحديقة . مثل « روميو » و « جولييت » ... رحم الله « الشيخ

سلامة حجازي » ! ...

خيرية : وما دخل « الشيخ سلامة حجازي » هنا ؟ ...

الباشا : لن أنسى قصيدته : « جولييت ما هذا السكوت » ؟ ... شاهدته

يمثلها منذ أعوام كثيرة ، وكنت بالطبع غلاماً يافعا ، ولكنني فكرت

يوماً أن أناجى خطيتى تحت نافذة .. ها هي ذى زوحتى تشهد ...
أحدث أنى ...

الأم : لا .. لأنه لم يكن فى منزلنا حديقة ! ..
الباشا : هذا صحيح .. كانت نافذتك على الطريق العام ، وفى عمارة فى
الطابق الخامس ، لو أردت يومئذ تسلقها لكان لا بد لى من سلم
المطافئ ...

الأم : ذاك منزلنا القديم ... ولكن أيام خطبتنا ، كنت فى منزل نافذتى فيه
من السهل تسلقها ؛ فقد كانت فى الطابق الأول ! ...

الباشا : ومع ذلك لم أفكر فى تسلقها ! ...
الأم : لأنك لو كنت تقدر على ذلك لفعلت ! ...
الباشا : ومن قال لك إنى كنت غير قادر ؟ ... أراهنك الآن أمام الدكتور أنى
مستعد أن أذهب إلى الحديقة وأتسلق أى نافذة ، ولتكن نافذة
« خيرية » .

خيرية : لا .. لا .. أرجوك ... لا تقرب نافذتى ! ...
الباشا : لماذا ؟ ...
خيرية : لا أريد أن ... أن أتحمّل مسؤولية ما يقع ! ...
الباشا : وما الذى سيقع ؟ ...
الأم : أنت ... ومن سيقع غيرك ؟ ...
الطبيب : (ضاحكاً) أنا أيضاً من هذا رأى ... لا أجد هذه التجربة ... إن
رواية « روميو » و « جولييت » تنتهى دائماً بكوارث ! ...
الباشا : بسبب النوافذ ... هذا صحيح .. لو لم ألمح خطيب « خيرية »
واقفاً فى الظلام تحت نافذتها ، لما ظننته لصاً وأطلقت عليه خطأً هذه
الرصاصة ! ...

الطبيب : حصل خير على كل حال ... وما دامت الإصابة بسيطة ، والأمر

حدث خطأ في محيط عائلي ، فيحسن عدم التبليغ ! ...

الباشا : هذا ما رأيناه بالفعل ! ...

الطبيب : والآن اسمحوالى (يتحرك للانصراف ، ويسلم على الأم) نسيت أن أطلب إليك شيئاً ... إذا أمكن الآن تقديم شراب ساخن منعش مثل فنجان من الشاي إلى جريحنا العزيز ، فإن هذا يفيده كثيراً ! ...

الأم : حالاً يا « دكتور » ! ..

(وتترك المكان وتخرج من باب جانبي)

الطبيب : (لخيرية مسلماً) اطمئنى على خطيئك ؛ فهو في أتم صحة ! ...
(ثم يتجه إلى الباشا مسلماً ...)

الباشا : دعنى أشيعك إلى باب الحديقة الخارجى ، لئلا تضل في الظلام ...
الطبيب : لا داعى يا « باشا » إن برد الليل ...

الباشا : برد الليل لا يؤذنى ... لا تخف على بنيتى القوية ! ...

(يخرج الطبيب من باب البهو المؤدى إلى الحديقة ... « خيرية »

تبعهما بأنظارها إلى أن يخرججا ، وعندئذ يفتح باب الحجرة ويطل

منها رأس حامد)

حامد : (هامساً) خيرية ! ...

خيرية : (تلتفت) حامد ! ... تعال ! ... كيف صحتك ؟ ... أخبرنى بالصدق ! ...

(تهرع إليه وتتأمل رباطه الصحى ...)

حامد : لا شىء ... صحتى على ما يرام ! ...

خيرية : (تقوده إلى مقعد مريح) اجلس هنا ... عندى كلام كثير أقوله لك ..

حامد : قبل كل شىء .. لا بد أن أريح ضميرى ، وأقوم بخوك ببعض الواجب ؟ ...

- خيرية : أى واجب ؟ ..
- حامد : إنقاذك من هذا الموقف السيئ الذى وضعتك فيه ، أين التليفون ؟ ...
(يراه ويريد أن يتجه إليه ...)
- خيرية : (تمنعه) التليفون ؟ ... لماذا ؟ .. ماذا تريد أن تصنع ؟ ...
- حامد : أبلغ البوليس ! ..
- خيرية : اجلس هنا ... ولا ترح مكانك ... تبلغه ماذا ؟ ...
- حامد : ... أنى لص ... دخلت للسرقة .. فأنا واثق أنك لم تخبرهم
بالحقيقة ... ولم تقولى لهم أنى جئت أسرق ! ...
- خيرية : لا لزوم لكل هذا الآن ! ..
- حامد : بل لا بد لى من أن أعرف ماذا قلت لهم عنى ؟ ... بماذا عللت
وجودى فى حجرتك ؟ .. لا ينبغي أن أسبب لك فضيحة .. أنت
بريئة طاهرة ، ولا ذنب لك فى شىء ... ولكن أنا المذنب الذى
زل ..
- خيرية : لا تقل ذلك .. كل شىء قد انتهى إلى خير حل ...
- حامد : أى حل ؟ ... إنى أرفض أن تحمل عى وزرى .
- خيرية : إنك لم ترتكب وزرا .. تمهل وأصغ إلى .. تعرف كل ما حصل ...
- حامد : أعرف أنك جاهدت لإنقاذى ، هذا لا شك عندى فيه . ولكن بأى
ثمن ؟ .. ما هو الثمن ؟ ..
- خيرية : لم أنقذك .. بل أنت الذى أنقذتنى ! ..
- حامد : أنقذتك أنا ؟ .. من ماذا ؟ ..
- خيرية : أنسيتنى هكذا سريعا ؟ ... إنك لم تعد تفكر إلا فى موقفك
أنت ؟ .. ألا تذكر ساعة هتفت من أعماق نفسى ! .. إلهى ! ..
- أرسل إلى من عندك ملاكا ينقذنى فبرزت أنت قائلا : هأنذا ...
- حامد : أذكر .. ولما سألتنى ! .. عمن أكون ؟ ... قلت لك : ملاك

أو شيطان لست أدرى ! .. ولكنى الآن أيقنت أنى كنت لك
شيطانا ... جاء يوقعك فى ورطة ، ويجعل اسمك مضغة فى
الأفواه ! ..

خيرية : بل لقد أخرجتنى أنت من الورطة ... وصنت اسمى الذى كان مهدداً
بالتلوث ، وحفظت شرفى الذى كان موشكاً على الضياع ! ..

حامد : أنا ؟ .. أنا فعلت ذلك لك ؟ ..

خيرية : أنسيت أنك خطيبي أمام الله ؟ ...

حامد : إنى أحلك من هذا العهد ، بعد أن ضببت فى منزلك كسارق ! ..

خيرية : إنك لم تضبط كسارق ! ..

حامد : وهذه الرصاصة فى أعلى كتفى ! ؟ ..

خيرية : رصاصة طائشة . أطلقت عليك خطأ ، ولم يعرف الذى أطلقها
شخصيتك فى الظلام ، فلما عرف أنك خطيبي اعتذر ! ..

حامد : اعتذر ! .. أقلت لهم إنى خطيبيك ؟ ...

خيرية : طبعاً ... إنى لم أعود الكذب .. أليست هذه هى الحقيقة ؟ ! ...

حامد : وكيف تلقوا هذا النبأ ؟ ..

خيرية : كما يتلقى العقلاء الأمر الواقع ! ...

حامد : والباشا ؟ ..

خيرية : الباشا فى أيدينا ، أو فى يدك .. إذا أردت تبليغ البوليس أنه أطلق عليك
الرصاص قاصداً قتلك باعتبارك خطيبي ؛ فإن فى إمكانك أن ترج به
فى السجن .

حامد : أهددته بذلك ؟ ..

خيرية : نعم ! .. هددته ، فأبدى أسفه .. إنه لم يكن يعرف أنى ارتبطت
بخطيب .

حامد : والآن .. ما المخرج ؟ ..

خيرية : لماذا تبحث الآن عن مخرج ؟! .. ألا تريد أن تنسى أنك الشخص الذى دخل إلى هنا خلصة ؟! .. أنت الآن هنا رجل معترف به رسمياً ! ...

حامد : معترف به رسمياً ؟ ...

خيرية : لقد أعلنت خطبتنا إلى أمى وإلى الدكتور ، وستعلن فى الغد إلى الجميع .

حامد : وماذا قالت أمك ؟ ...

خيرية : قالت لى « مبروك » ! ...

حامد : أنا لا أصدق ! ..

خيرية : بل صدق ، أنت الآن فى بيت خطيبتك ! ..

حامد : ما هذه الليلة العجيبة ؟ .. بدأتها بجرماً ، وختمتها متزوجاً ! ..

خيرية : كتب عليك فى هذه الليلة ، على كل حال ، أن تختار بين قيديين ، قيد من حديد .. أو قيد من ذهب ! ..

حامد : لا تقولى ذلك يا « خيرية » . إن القيد الذى يربطنى بك هو قطعة من النعيم ! ...

خيرية : فليشرق الآن وجهك .. لتطرح عنا فواجع هذه الليلة ، ولا نذكر إلا خاتمتها السعيدة ! ..

حامد : (يعود إلى القلق) والباشا ؟ .. كيف كان موقفه منك بالدقة ؟ ... كيف لم يثر لفكرة زواجك منى ؟ .. كيف يتخلى عنك هذا الرجل بمثل هذه السهولة ؟ .. لقد سمعته من خلف ستارتك يقسم أنه يحطم كل ما يحول بينه وبينك ؟ .. ما الذى يمكن أن يصرفه عن هذا المأرب ؟ .. ويتنزع من نفسه هذه الرغبة ، ويجعل قلبه صافياً ناصعاً نقياً ؟ ..

خيرية : (تخفى ارتباكها) قلت لك ! .. قلت لك ! ..

حامد : (بحدة) تكلمى ! ...
 خيرية : لا تنظر إالى هكذا ، كما لو كنت مجرمة !! ...
 حامد : إنى أريد أن أقنع ! .. أقنعينى كيف تخلى عنك هذا الرجل ؟ ..
 خيرية : بالتهديد ، أولاً ، كما قلت لك ...
 حامد : التهديد بأنه فى أيدينا ؛ لأنه أطلق على خطيبك النار ؟ ..
 خيرية : حذار يا « حامد » أن تخاطبنى هكذا بلهجة الارتياب ! ..
 حامد : أريد أن أقنع ! ..
 خيرية : من حقل أن تكون غيوراً ، بعض الشيء ، ولكن إياك أن تشك فى منذ الآن ! ..

حامد : إنى أثق بك يا « خيرية » كل الثقة ، ولكن أريد أن أقنع ! ..
 خيرية : إذا كنت تثق بى حقاً فلا تثر هذه الأسئلة الخيالية . هناك أشياء لا يستطيع الإنسان أن يقدم عنها جواباً مقنعاً ، لأن طبيعتها تأبى التعليل المعقول . من ذلك مسائل العواطف والغرائز ... إن هذا الرجل الذى سمعته من خلف الستار يقذف من فمه ذلك الكلام كأنه حمم من بركان ، غد تخمد فجأة ... أتصور هذا ؟ .. نعم .. لقد هدأ عندما أيقن أن هناك وثاقاً متيناً يربطنى نهائياً بخطيب .. لكأن كل أمل عنده قد انهار ، وحل محل الرجاء فى قلبه يأس .. مريح .. مريح .. تنفس بعده الصعداء ، وكأنه أفاق من حلم مزعج ، فإذا السكنينة تقر فى نفسه ممزوجة بالرضا .. إنك لا تصدق ، ولكنك الآن ستره ، وترى منه ما رأيت أنا .. وتلاحظ ذلك التغير الذى طرأ عليه . أكاد أشعر أن عواطف الأبوة قد بدأت تتيقظ فيه ، وتقوم مكان تلك العواطف المستعرة الأخرى ؛ فهو الآن يتحدث فى هنأى ، ويجد راحة نفسية فى أن يعيننى على تأسيس بيتنا ، وأن يحذب ويعطف على سعادتنا الزوجية ! ..

- حامد : واثقة أنت إذن ؟ .. كل الثقة .. من نواياه الطيبة ؟ ..
- خيرية : كل الثقة ! ..
- حامد : ما دمت تثقين فأنا أثق .. إنه لمن حسن حظنا أن تتحول مشاعر هذا الرجل إلى ناحية الخير ! ..
- خيرية : دخولك حياتي كان له هذا الفضل ! ..
- حامد : ربما ... إن الكنز المتروك يغرى بالسطو ! ..
- خيرية : سطو من ؟ ..
- حامد : سطو « الباشا » بالطبع ... رآك وحيدة منفردة ، لاخطيب يحبك ، ولا حارس يحرسك فنبئت فيه غريزة السطو ! ..
- خيرية : أما أنت فلم تأت للسطو على هذا الكنز ، بل على كنز آخر ! ...
- حامد : ألا تريد أن تنسى لى هذه الزلة ؟! .. ألا تظنين أنى قد دفعت ثمنها هذه القطرات من دمي .. من تلك الرصاصة التي كان يمكن أن تقتلني ! .. أسوءك أنى لم أجيء للسطو عليك أنت ؟ .. إنها لمفخرة لى .. إني جئت أحرس هذا الكنز الأسمى وأدود عنه ، وأحفظ كرامته . وأكون دائما فى خدمته ، خالصا مخلصا إلى آخر أيامى على هذه الأرض ! ..
- خيرية : أتعاهدنى على ذلك ؟ ..
- حامد : أعاهدك ! ..
- خيرية : هات يدك ! ..
- حامد : هاتى يدك أنت ! ..
- (يتناول يدها ويلصقها طويلا ، يظهر عندئذ « الباشا » عائدا من الحديقة ...)
- الباشا : (يراهما فيتحنح) قبلة الخطبة المباركة ؟! ...
- خيرية : (تنهض وتقدم حامد للباشا) أقدم لك خطيبى « حامد » ! ..
- الباشا : إننا سعداء يا « حامد بك » ، بوجودك ! ..

- حامد : أنالى الشرف يا باشا ! ...
- الباشا : (ينظر إلى رباطه الصحي) كيف حالك الآن ؟ .. لعلك غير متألم من هذا الجرح ؟ ! ..
- حامد : إنه خدش بسيط لا يؤلم ! ...
- الباشا : إلى آسف أن يكون أول استقبال لك في بيتنا ، لا أقدم إليك فيه شيئاً من المرطبات ، أو بعض الحلوى و « الملبس » ! ..
- خيرية : (بابتسامة) أما « الملبس » فقد تناوله في شكل رصاصة ! ..
- الباشا : يؤلمنى ذلك .. ولكن الذنب ذنبكما ، بل أنت المخطئة يا خيرية .. كان الواجب عليك أن تقدمى إلينا خطيبك في وضح النهار والشمس طالعة ، فما من أحد يسعى في الظلام ، ويوحى إلى الناس بالفضيلة والسلام ! ...
- حامد : الظروف يا « باشا » قد قضت بذلك .
- الباشا : لقد تغيرت الظروف .. ومند اليوم تدخل بيتنا ندخل بيتك وقت ما نشاء ! ..
- حامد : إلى أتشرف ! ...
- الباشا : لا بد لكما بالضرورة من بيت لطيف أنيق ... هذا على أنا .. ثق أنى سأجهز « خيرية » جهازاً يليق بها ، ويغريها باستقبال زوارها ، وهى مزهوة فخورة ! ...
- خيرية : متى يتم ذلك ؟ ..
- الباشا : (بنظرة ذات مغزى) إلى هذا الحد أنت نافذة الصبر ؟ ..
- خيرية : أيدهشك هذا ؟ ..
- الباشا : (بنظرة ذات معنى) يدهشنى قليلا ، ويسرنى كثيرا .. لا تقلقى يا خيرية ! .. ثقى أنى أشد منك حرصاً على سرعة التنفيذ ؛ فإن سعادتك تهمنى ... غدا أشرع في إعداد كل ما يلزم .. نعم ابتداء من

- صباح الغد ! ...
- (تظهر الأم ، خلقها خادم يحمل صينية عليها معدات الشاي ...)
- الأم : ابتداء من صباح الغد .. ماذا ؟ ...
- الباشا : نقوم بتجهيز خيرية .. أليس هذا من رأيك ؟ ..
- الأم : ولماذا الإسراع ؟ ..
- خيرية : (وهي تساعد أمها في إعداد فنجان الشاي) كم قطعة من السكر يا « حامد » ؟ ...
- حامد : ثلاث قطع فقط ! ..
- خيرية : (لأمها همسا) دعيني يا أمي أذهب إلى بيتي سريعا .. أرجوك .. يا « ماما » أرجوك .
- الأم : فليكن ما تريد يا ابنتي ! .. إلى أفهمك ! ..
- الباشا : (يتساءب) لا تنسوا أني رجل على عانقي مسؤوليات خطيرة في المجتمع ، وعندى غدا كالعادة اجتماعات هامة في مجالس إدارات شركات وجمعيات ، فواجبكم أن تشجعوني على الذهاب إلى فراشي ، كما يشجع الأطفال الأبرياء الأطهار ! ...
- الأم : وما الذي يرغملك على السهر ؟ ... اصعد أنت إلى حجرتك ! ..
- الباشا : (لحامد وخيرية) أكرر التهانى .. وإلى الغد .. موعدا الغد ! ...
- حامد : (ومعه خيرية في نفس الوقت) إن شاء الله ! ...
- الباشا : (وهو يتجه إلى السلم) سأذهب إلى فراشي ، وأنام بملء جفوني أو أحلم أحلاما جميلة ... ظريفة .. لطيفة ! ..
- (يصعد السلم على مهل وهو يصلح هندامه مختالا ، ويكون وجه « خيرية » في اتجاهه بينما الأم و « حامد » ظهرهما إلى السلم فلا يربانه وقد انشغلا في حديث خاص . يقف الباشا على الدرج ويلتفت إلى « خيرية » ويرسل إليها قبلة طويلة في الهواء فتلقاها برعدة وتطرق برأسها نحو الأرض ! ...)
- (ستار)

الفصل الثالث

(مكتب مدير « شركة الحامدية » : مقاعد جلد فاخرة وأثاث

فخم ، وخرائط زراعية وإحصائية إلخ)

(« حامد » : المدير جالس إلى مكتبه . وأجسراس

التليفونات العديدة حوله ترن في وقت واحد ...)

حامد : (يتناول السماعات) نعم ! .. مفهوم .. سأتحرى الأمر الآن

بنفسي ، ونكتب إليكم الرد (يضع سماعة ويحيب في التليفون

الآخر) فاهم ! .. فاهم .. سيصلكم قريباً جداً .. سأتحرى

الموضوع .. باشكاتب الشركة سيعرض على البيانات ! (يضع

السماعة ويدق جرس السكرتير الخاص وإذا التليفون يرن)

أف ! .. غير موجود الآن ! .. (يضع سماعة التليفون ويدخل

السكرتير) الباشكاتب ؟ ... أين حضرة الباشكاتب ؟ ..

طلبته منذ ساعة ، ألا يريد أن يأتي ١٩ ؟ ..

السكرتير : (في ارتباك) قال لي إنه .. مشغول قليلاً ! ..

حامد : عجباً ! .. أألسنت أنا مدير الشركة ! ... ألا يستطيع مدير

الشركة أن يطلب باشكاتب الشركة ؟ ..

السكرتير : (في يده بطاقة زيارة) « شاكر بك » هنا .. يريد مقابلة

سعادتك في أمر هام ١٩ ؟ ..

حامد : (شاكر بك) .. من هو « شاكر بك » ؟ ..

السكرتير : هو ..

(يفتح الباب ويدخل الباشكاتب فجأة)

حامد : أخيراً ! ... يا حضرة الباشكاتب ١٩ ؟ ..

الباشكاتب : (يتجه إلى حامد ، ولكنه يلتفت إلى البطاقة في يد السكرتير ، ويخاطبه بعنف) من قال لك أن تستقبل هذا الرجل ؟! ..

السكرتير : (بأدب وخضوع) لقد جاء يلتمس مقابلة البك المدير ! ..

الباشكاتب : هذا الرجل ممنوع أن يضع قدمه في هذه الشركة .. ألا تعرف ذلك ؟ ..

السكرتير : ممنوع ! ..

الباشكاتب : بأمر الباشا .. ممنوع بأمر الباشا ! ..

السكرتير : لم أكن أعرف ! ...

الباشكاتب : لقد عرفت الآن .. اذهب واطرده في الحال ! ..

السكرتير : (يخرج بسرعة صاعداً بالأمر) في الحال ! ...

حامد : ما شاء الله ! .. حتى زواري لا أستطيع أن أستقبلهم ؟ .. ما معنى كل هذا ؟ ..

الباشكاتب : العفو يا سعادة البك ! .. جنابك هنا المدير .. مطلق التصرف .. صاحب الكلمة النافذة .. الأمر الناهي ... لكن من واجبتنا أن نحميك وأنت لنا الذخر والسند والموجه والمرشد من زيارات الثقلاء ، وأن نحمي وقتك الذهبي الثمين من أصحاب الشكاوى ...

حامد : أو ليس من واجبي أيضاً تحرى شكاوى المساهمين ؟ ...

الباشكاتب : ثق أن كل شيء بخير .. كل شيء بخير .. ومركزنا المالى والحمد لله أرسخ من الجبال ! ... امسك جنابك الحشيش ! ...

حامد : هذا جواب غير مقنع .. وقد أجبته بمثله مرارا ، ولكن المساهمين في قلق على هذه الشركة ! ..

الباشكاتب : ولماذا القلق .. لا سمح الله ؟ ..

حامد : لأنكم بعد أن أعلنتم عنها ذلك الإعلان الضخم ، وطرحتم أسهمها

فى السوق وأقبل الجمهور على الاكتاب ، وسار كل شىء على ما يرام ، إذا فجأة لا يسمع أحد شيئاً عن هذه الشركة ! ..
الباشكاتب : وماذا يريد الناس أن يسمعوا ؟ .. لقد تم الاكتاب ، وانتهى الأمر .. أى داع بعدئذ للطبل والزمير ؟ ..

حامد : إني لا أسأل عن الطبل والزمير ؟ ... إني أسأل عن الشركة ؟ ..
أين هى هذه الشركة الآن ؟ ..

الباشكاتب : موجودة ! ..

حامد : أين مديرها ؟ ..

الباشكاتب : هذه .. مسألة أخرى ...

حامد : أين أسهمها ؟ .. هل سلمتم كل الأسهم لأصحابها ؟ .. مئات من الخطابات والتليفونات ، من صغار المزارعين ، والمهندسين والمدرسين والمحامين ، أهل الطبقة المتوسطة من الجمهور ، ممن بادروا إلى الاكتاب ؛ — يقولون إنهم دفعوا النقود ولم يتسلموا سوى إيصالات غير قابلة للتحويل ، ولما طالبوكم بالأسهم ، أجلتم وماطلتم . وأخيراً اقترحتم عليهم أن يأخذوا بنقودهم أسهم الشركة الجديدة « الحامدية » بدلا من الشركة القديمة « الشاكرية » ! ...

الباشكاتب : هذا صحيح .. وأى ضرر فى هذا ؟ .. إن غرضنا دائما هو مصلحة الجمهور ! ..

حامد : وما هى مصلحة الجمهور هنا ؟ ..

الباشكاتب : الشركة الجديدة التى تتشرف بإدارتكم خير ألف مرة من الشركة القديمة ! ..

حامد : شىء عجيب ! .. لقد ساهم الجمهور فى الشركة القديمة بأمواله . فبأى حق توجهونه إلى شركة أخرى ؟ ! ..

الباشكاتب : الشيء العجيب حقا هو أن الجمهور يشكو من ذلك .. هذا الجمهور الذى لا يعرف مصلحته ! ..

حامد : إنك لم تجب عن سؤالى .. لماذا حولتم الجمهور من شركة إلى شركة ؟ من الشاكرية إلى الحامدية ؟ ..

الباشكاتب : وما الفرق بين الشاكرية والحامدية ؟ ..

حامد : أتسألنى أنا ؟ .. هذا هو السر الذى أريد أنا أن أعرفه ؟ ! ..

الباشكاتب : لا يوجد سر على الإطلاق . ولكن نستطيع القول إن شركة الشاكرية سائرة في طريقها ! ..

حامد : في طريقها ! ..

الباشكاتب : نعم .. إلى التصفية ! ..

حامد : ماذا تقول ؟ .. التصفية ؟ .. بعد نجاح اكتتابها ، وتغطية أسهمها ؟ ..

الباشكاتب : هذا هو الشيء الغريب ! .. لكن ماذا نفعل ؟ .. ومديرها رجل محتال نصاب ، مزور ؟ ! ..

حامد : ياللكارثة ! .. احتال وزور على من ؟ ..

الباشكاتب : على الجميع .. على الجمهور وعلى الباشا وعلى أعضاء مجلس الإدارة .

حامد : وكيف تمكن من الاحتيال والتزوير ؟ ... أخبرنى بكل شيء ! ..

الباشكاتب : تلك حكاية طويلة . يحسن أن أقصها على سعادتك في وقت

أوسع ! .. من واقع الملف الخاص ، حتى يكون كلامى مؤيدا

بالمستندات . أما الآن فأنى مشغول جدا ، ولو سمحت لى

بالإمضاء ؟ ...

(يعرض أوراق ملفه ...)

حامد : (دون أن ينظر إلى الأوراق) وأموال الجمهور ؟ ...

الباشكاتب : لا خوف عليها .. لقد حولناها إلى شركتكم الناجحة المضمونة ! ..

حامد : فهمت ، وهذا المحتال في السجن طبعاً ! ..
الباشكاتب : مع الأسف .. لا .. أنت تعرف قلب سعادة الباشا المتدفق بالرحمة ، الفياض بالشفقة ، النابض بالعواطف الجميلة النبيلة ! .. (مشيراً إلى الأوراق) لو سمحت بالإمضاء هنا ! ..

حامد : (ينظر إلى الأوراق) ما هذا ؟ .. أيضاً ؟ .. أسهم ؟ ! ..
الباشكاتب : نعم ... لقد أردت أن أخفف عن سعادتك العبء ، فرأيت أن أحضر للإمضاء في كل يوم كمية من الأسهم الصادر بها المرسوم ! ..

حامد : (وهو يمضى بالقلم) حقا .. في كل يوم أمضى كمية .. أما من طريقة أخرى ؟ .. لماذا لا أوقع بختمى ؟ .. حتى تنتهى من هذه العملية سريعاً ؟ ...

الباشكاتب : لا بد من إمضاء سعادتك على كل سند ، زيادة في الضمان ؟ ! ..
حامد : إنك شديد الحرص يا حضرة الباشكاتب .. وإنه ليدعشنى كيف استطاع مدير « الشاكزية » أن يحتال ويزور ، وأنت هنا ، على مقربة منه ، مفتوح العينين ؟ ! ..

الباشكاتب : ساعة القدر يعنى البصر ! ...
حامد : لقد شوقتنى إلى معرفة هذه الجريمة ! .. (يضع القلم) فلنؤجل إمضاء ما بقى من الأسهم إلى لحظة أخرى .. اذهب الآن وأحضر إلى الملف الذى وعدتنى به .

الباشكاتب : (بقلق) أى ملف ؟ .
حامد : الملف الخاص بحكاية الاحتيال والتزوير ! ..
الباشكاتب : الآن ؟ ..

حامد : نعم .. الآن .. ما الذى يمنعك ؟ ..

الباشكاتب : إنه ليس عندى ! ..

حامد : أين هو ؟ ..

الباشكاتب : إنه عند .. عند سعادة الباشا ! ..

حامد : المسألة بسيطة .. نطلبه من الباشا بالتليفون ، فيرسله مع ساع فى أقرب وقت .

(يمسك بالسماعة ...)

الباشكاتب : (يضطرب) لا .. لا داعى إلى مخاطبة الباشا فى ذلك ؟ .. لئلا يظن أنى ..

حامد : أنك ماذا ؟ ..

الباشكاتب : أنى متحامل على المدير السابق ، وأنى أريد فضيحتة .. لقد رأى الباشا وأعضاء مجلس إدارة الشركة القديمة أن يكون الأمر سرا ، وأن يطوى الموضوع ، ويسوى بهدوء ، حتى لا يثار اللغط حول مشروعاتهم ، فلا تخرجنى يا سعادة المدير ! ..

حامد : ليس فى هذا إحراج لك ، ولكنى أريد أن أعرف مركز الشركة القديمة التى دخلت فى شركتى ..

الباشكاتب : ما دام الباشا لم يذكر لك شيئا ! ..

حامد : إذن يجب أن أسأله ..

الباشكاتب : لا .. لا تسأل .. نصيحتى المتواضعة ألا تفعل .. ماذا يهملك من كل ذلك يا سعادة البك ؟ ... أنت مدير ناجح ، تتقاضى مرتبا كبيرا ، وتعيش فى بحبوحة وسعادة ! .. كل أوامرك مطاعة وطلباتك مجابة ، حائز لثقة مجلس الإدارة ، متمتع ببيت جميل وحياة عائلية رغدة ناعمة ، فى ظل سعادة الباشا وكرمه وعطفه .

حامد : (بحدقة) ما معنى هذا ؟ ..

الباشكاتب : لا شيء .. لست أعنى شيئاً على الإطلاق ، سوى أن الموضوع لا يساوى الآن أن تحدث من أجله ضجة ، أو تثير فيه ساكن الباشا أو المجلس ! ..

حامد : ولكنى أريد أن أعرف !؟ ..

الباشكاتب : إذا كان لا بد من ذلك فاترك لى الأمر ، أحضر لك المعلومات خلسة بلاضوءاء ! ..

حامد : أريد الاطلاع على الملف ؟ ..

الباشكاتب : (ملف الشاكزية) ؟ ... أنا أحضره إليك ! ..

حامد : متى ؟ ..

الباشكاتب : مع شيء من الصبر .. مع شيء من الصبر ! ..

حامد : اذهب الآن وأحضره .. الآن ..

الباشكاتب : (يأخذ أوراقه من أمام « حامد » ويذهب) سأحاول ! ..

حامد : نعم .. اذهب وحاول ! ..

(يخرج الباشكاتب ، وينهض حامد ويقترب من إحدى الخرائط

فوق الحائط وهو يلفظ « الشاكزية » .. « الشاكزية » .. ولا

تمضى لحظة حتى يفتح الباب ويطل منه رأس شاب فى مثل عمر

حامد ثم يدخل المكتب) .

حامد : من حضرتك ؟ ..

الشاب : لا تؤاخذنى ! .

حامد : (مقاطعاً) من حضرتك ؟ ..

الشاب : (متابعاً كلامه) لم أجد غير هذه الطريقة ، كلهم هنا يريدون

منعى من مقابلتك ! ..

حامد : من حضرتك ؟ ...

الشاب : أنا مدير الشركة السابقة .. « شاكز » ! ..

- حامد : الشاكريّة ؟! .. مدير الشاكريّة ؟! ..
- شاكر : نعم ، أنا المدير .. ولا فخر ! ..
- حامد : (يبادر ويقدم إليه كرسيًا) تفضل ! .. تفضل ! .. فرصة طيبة إنه ليسرني أن أراك .. ماذا أطلب لك ؟ .. قهوة ؟ ... ليون ؟ ...
- شاكر : لا .. لا .. لا تطلب لي شيئا .. ولا يحسن أن يراني أحد معك .. بعد أن غافلت الجميع ودخلت عليك هكذا ! ..
- حامد : (يقدم إليه علبة السجائر) سيجارة ؟ ..
- شاكر : (يتناول واحدة) متشكر ! ..
- حامد : ولماذا يريدون منعك من مقابلتي ؟...
- شاكر : لأنهم يخشون أن أطلعك على معلومات ليس من مصلحتهم أن تعرفها أنت ، في الوقت الحاضر ؟...
- حامد : في الوقت الحاضر ؟..
- شاكر : نعم في الوقت الذي تصدر فيه أسهم شركة « الحامدية » !...
- حامد : لست أفهم شيئا ، أفصح قليلا !...
- شاكر : لقد طلب إليك باشكاتب الشركة أن توقع بامضائك على كل سهم باعتبارك المدير ؟!...
- حامد : طبعًا ، زيادة في الضمان !...
- شاكر : ضمان من ؟... ضمان خلو مسؤوليتهم هم ... ما علينا ... أراقبت بنفسك الأرقام المسلسلة لهذه الأسهم ؟!...
- حامد : - فعلت ذلك في أول الأمر ، ولكنني في كل يوم أوقع بامضائي على كميات كبيرة ... وأصبحت العملية آلية كما تعلم !...
- شاكر : نعم ... كما أعلم ... للأسف ... بعد فوات الأوان !...
- حامد : أرجو أن توضح لي الأمر أكثر من ذلك ؟!...

- شاكر : هل اطلعت أولا على ما تم في موضوع الشركة القديمة « الشاكرية » .
- حامد : لقد حاولت ذلك كثيرا ، ولكنى اليوم أصررت على أن أطلع على الملف ، وقد ذهب الباشكاتب بالفعل ليحضره إليّ ! ..
- شاكر : إنه لن يحضره إليك ! ..
- حامد : لماذا ؟ ...
- شاكر : لأنك ستجد فيه إجراءات وأساليب ، يتضح لك منها أنى محتال ومزور ! ..
- حامد : هذا حقا ما قيل عنك . ولكن ما دخلى أنا فى ذلك ؟ ...
- شاكر : سيتضح لك منها فى عين الوقت أنك أنت أيضا محتال ومزور ! ...
- حامد : أنا ؟ .. ما هذا الذى تقول ؟ ...
- شاكر : تريد أن تعرف بالضبط ما حدث ؟ ... إذن فاسمع ... لقد تأسست الشركة المساهمة « الشاكرية » بمقتضى مرسوم ، برأس مال قدره مائة ألف جنيه .. دفع منه الباشوات أعضاء مجلس الإدارة نحو الثلث ، على الورق ، مفهوم ؟ .. أى أنهم لم يدفعوا مليما ... ولكن أسهمهم قدمت إليهم هدية كما تقدم باقات الزهر ... تيمنا بأسمائهم الكريمة ، وطرحت بقية الأسهم فى السوق ، ودقت طبول الإعلان مصحوبة بالأسماء الكريمة . فأقبل الجمهور الواثق بهم على الشراء إقبالا جارفا . حتى ارتفع ثمن الأسهم إلى ضعفه فى أيام وهنا يأتى دورى ! .. فإن قلمى باعتبارى مديرا جعل يمضى على أسهم لا ينتهى عددها فى كل يوم .. وإذا الحقيقة تظهر لى بعدئذ أن هذه الكميات الأخيرة من الأسهم قد طبعت حديثا بعد ارتفاع الأسعار ، بأرقام سلسلة مزورة ،

أى أن السهم رقم ١٧٥ مثلا قد تكرر أكثر من أربع مرات . أى
أن السهم الواحد قد بيع أكثر من أربع مرات ! ..

حامد : يا للمصيبة ! ... ومن الذى فعل ذلك ؟ ...

شاكر : أنا طبعاً المسئول ؛ لأن إمضائى بيدى على كل سهم ! ...

حامد : وفى جيب من دخلت أثمان الأسهم المكررة ؟ ...

شاكر : اسأل « الباشا » و « الباشكاتب » ! ...

حامد : والجمهور من المساهمين ؟ ...

شاكر : لم يسلموهم الأسهم المزورة ، بل أعطوهم إيصالات بالمبلغ .

وجعلوا يماطلونهم فى تسليم هذه الأسهم ... ثم رأوا أن يصفوا

« الشاكرية » ، قبل أن ينكشف الأمر ، ويؤسسوا مكانها

« الحامدية » ويعطوا الضحايا أسهمها بدلا من أسهم الأولى ...

مفهوم ؟ ...

حامد : وأنت ؟ ... مامركزك ؟ ...

شاكر : كما ترى ... عنقى هو الذى تحت السيف ... كلمة من الباشا إلى

النيابة فإذا بى أنا فى أعماق السجون ، بتهمة التزوير

والاحتيال ! ...

حامد : (يشير إلى الحائط) وما هذه الأطيان المرسومة على الخرائط ،

باسم تفتيش « الشاكرية » ؟ ..

شاكر : تلك أرض بور ورمال كان يملكها « الباشا » فى صحراء الشرقية ،

مساحتها نحو ألف فدان لا تساوى كلها أكثر من ألف جنيه ، باعها

سعادته للشاكرية بعشرين ألف جنيه ، وجعل من أغراضها أن

تزرعها بالفول السودانى ، وأن تستخرج من الفول السودانى

زيتا ، وأن يصنع من الزيت صابون ، وأن يجعل من الصابون إلى

آخره .. إلى آخره ..

- حامد : ولكن هذه الأطيان حولت الآن إلى الشركة « الحامدية » ...
- شاكر : حولت بطريق البيع مرة أخرى ! ..
- حامد : مرة أخرى ؟ ...
- شاكر : بعد تصفية « الشاكرية » باع سعادة الباشا بصفته رئيس مجلس الإدارة الشركة القديمة إلى سعادة الباشا ، بصفته رئيس مجلس إدارة الشركة الجديدة ، هذه الأطيان نفسها ، بمبلغ ثلاثين ألف جنيه ! . تجد ذلك ثابتا في الملفات . أى بربح عشرة آلاف جنيهه في الصفقة ... والأرض هى الأرض ، والرمل هو الرمل ، ولم تكن قد أخرجت بعد لا فول ولا صابون .
- حامد : (كاتخاطب لنفسه) يا للعجب ! ... هكذا إذن يصنعون المال ! ..
- شاكر : نعم هكذا يصنعون المال ! ...
- حامد : (يمد يده إلى الجرس) لقد نبهتني إلى خطر ! ..
- شاكر : (يستوقفه) مهلا .. ماذا أنت صانع ؟ ..
- حامد : يجب أن أنادى الباشكاتب ، وأفحص معه أرقام الأسهم ! .
- شاكر : حذار من أن تخبره أنك مرتاب فى شيء ؛ فإنه قدير على أن يضللك ، ويخفى عنك كل أثر ! ..
- حامد : وما العمل ؟ ..
- شاكر : اعتمد على ذاكرتك ، وراقب بنفسك كل رقم تشك فى أنه مكرر ! ... واضبطهم متلبسين بالجريمة ! ..
- حامد : ولكنى وقعت بإمضائى على أسهم كثيرة . من يدرينى أنها ليست مزورة ؟ ...
- شاكر : فى هذه الحالة تكون قد وقعت فى الفخ ، وفات الأوان ! ...
- حامد : (فى رعدة) يا لله ! .. فى أى مكان نعمل هنا ؟ ... وأنا الذى

- حسبت أنى أدير شركة محترمة منتجة ؟ ..
- شاكر : الشركة « الحامدية » !! ... ومن يدرى ماذا ستخذ لها غداً من الأسماء والمترادفات ؟! ...
- حامد : غداً ؟! ...
- شاكر : أنسيت أن اسمها بالأمس كان « الشاكرية » ، وكنت أنا مديرها الذى يجلس فى نفس هذه الحجرة ، وإلى نفس هذا المكتب ، محاطاً بهذا الفرش والرياش والخرائط والأرقام والإحصاءات ... ما من شىء تغير هنا الآن إلا اسم الشركة واسم المدير ! ...
- حامد : وما هو عملك اليوم ؟ ..
- شاكر : لا شىء .. مطرود إلى قارعة الطريق ! ..
- حامد : ولماذا يطردونك ؟ ..
- شاكر : لأن « الباشا » لم يعد فى حاجة إلى ! ..
- حامد : وكيف لا يحتاج إليك وإلى خبرتك وكفاءتك ؟ .. لقد كنت مديراً ! ..
- شاكر : خبرتى وكفاءتى ؟! .. هذا ما كنت أعتقده يوم أخذنى « الباشا » من وظيفتى الصغيرة : كاتب قيودات فى شركته ، وأجلسنى مديراً للشركة .. تذكرت عندئذ نبوغى يوم كنت طالباً بكلية التجارة ، وقلت فى نفسى مزهواً ، وأنا أتربع فى هذا المقعد الكبير : هذا مكانى الطبيعى ! .. لقد وصلت حقاً بسرعة تحير اللب ، وتصدم العقل ، ولكن هذه معجزة الكفاءة ! ... وظل حضرة الباشكاتب يدخل على كل يوم يسبح بخبرتى وكفاءتى ، حتى أعمانى البخور ، وأسكرنى الغرور ، فلم أبصر أى وحل أسير فيه ، ولا أية هوة تحت قدمى ، إلى أن انتهى بى الأمر إلى ما ترى من ضياع الشرف والعرض ! ... (بين يوم وليلة)

- حامد : (بدهشة ورعشة) العرض ؟ ..
 شاكِر : نعم .. العرض ... وتلك قصة أخرى لا شأن لك بها ، فإن
 ظروفى فيها تختلف عن ظروفك ... إنما أردت مقابلتك اليوم ؛
 لأنّيك إلى تزوير الأسهم ، لعلك تتمكن من ضبط الجريمة فى
 حينها ، فأستفيد أنا من ذلك فى دفاعى ، إذا قدمنى الباشا إلى
 النيابة ؟ ..
- حامد : وما مصلحة « الباشا » فى أن يقدمك إلى النيابة ؟ ...
 شاكِر : ليتخلص منى ؟ ..
 حامد : ولماذا يتخلص منك ؟ ..
 شاكِر : لأننى أطالبه بغسل العار عن فتاة غرر بها واعتدى عليها ؟ ...
 حامد : فتاة اعتدى عليها ؟ .. وما شأنك أنت بها ؟ ...
 شاكِر : أختى ! ..
 حامد : ماذا تقول ؟ ..
- شاكِر : ما دمت تريد أن تعرف ظروفى الخاصة ، فلا بأس من أن أذكرها
 لك .. القصة باختصار أن أختى وهى فتاة فى العشرين ، مرت بى
 ذات يوم هنا — وأنا كاتب قيودات — فى بعض شأنها ، فلمحها
 الباشا وتلطف معها ومعى ، وأبدى لها استعدادا لمعاونتها فى
 الحياة ... وكان كل أمنيتها بعد أن أتمت دراستها أن توظف مدرسة
 فى إحدى مدارس البنات ، ولكن الوساطة كانت تنقصنا ، فلما
 عاونها الباشا بنفوذه وعينته بالفعل ، أسرها الجميل فلم تفتن إلى
 حقيقة نواياه ، وازداد تقربه منا ، وكثرت هداياه ، وعظم اهتمامه
 بى واكتشف مواهبى وكفاءتى ، فلم يجد لهما أنسب من منصب
 المدير لشركة تحمل اسمى ! .. وضمخ مرتبى ، فاتخذنا مسكنا
 لائقاً ، وأصبح الباشا يزورنا فى هذا البيت الفخم زيارة الصديق

للصديق ... ولكن أعمالى فى الشركة كانت تستوجب تغييرى من حين إلى حين . وليس فى البيت غير أمى العجوز ، تصلى دائماً فى حجرتها وقد ضعف بصرها .. وأخيراً تبين لى السر ! ...

حامد : (كالمخاطب نفسه) نعم .. فهمت .. فهمت ..
شاكر : نعم .. أين نحن الضعاف من هؤلاء ؟! .. نحن الجيل الجديد الذى خرج من الجامعات مؤمناً بالمثل العليا ! ..

حامد : (من بين أسنانه ساخراً) المثل العليا ! ...
شاكر : خطؤنا الأكبر أننا لم نستطع الاحتفاظ بها طويلاً فى قلوبنا . لكن هل كان فى الإمكان أن تبقى أو تصمد ؟ .. بعد أن رأينا ما يجرى فى الحياة ؟ ... وبعد أن كشف لنا المجتمع ، بما فيه من أمثال هؤلاء القادة والكبراء ، عن طرق الوصول ومثل النجاح ؟! ..

حامد : (كمن يخاطب نفسه) الويل للباشا ! .. إذا كان ما تقول صحيحاً ! ...

شاكر : نعم ... الويل له .. إني أعرف الآن ما أنا صانع . لقد دفعوا بنا إلى الجريمة ! ..

(ينهض متأهبا للانصراف ...)

حامد : (وهو ينهض) ماذا تنوى أن تفعل ؟ ..

شاكر : ما أفعل سوف تعرفه فى وقته ! ..

(يسلم على حامد ويتركه يخرج من حيث جاء ، بينما يقف

حامد بلا حراك ، وكأنه من الشرود غائب الوعي ! .. وفجأة

يفيق وينقض على آلة التليفون كالجنون ويدير رقماً)

حامد : (السماعية على أذنه) ألو ... ألو .. من أنت ؟ ..

إدريس ؟ ... من إدريس ؟ ... آه إدريس السفرجى .. اسمع يا

« إدريس » ... أين الست ؟ .. الست ؟ ... أين الست ؟ ...

خرجت ؟ خرجت أين ؟ .. ألا تعرف أين ذهبت ؟ ... لا
تعرف ؟ ... ومن طلبها في التليفون ؟؟ ... الباشا ؟ ... الباشا
طلبها في التليفون ؟ ..
(وعندئذ يدخل السكرتير حاملاً برقية يقدمها إلى « حامد »
بأدب واحترام ...)

السكرتير : هذه برقية من وكيلنا بالإسكندرية ، أشر عليها سعادة الباشا .
حامد : (يحفظها من يده ويقرأها) . عزيزى حامد بك . يجب أن
تسافر الليلة إلى الإسكندرية لتشرف بنفسك على حركة بيع
الأسهم في البورصة .
(حامد يمسك البرقية في جيبه ويلبس طربوشه ويندفع خارجاً
وهو يقول ...)

أسافر الليلة ! .. مفهوم .. مفهوم .. مفهوم جداً ! ..
(يخرج على نحو يدهش له السكرتير الذى يقف ناظراً إليه
كالماخوذ ، ويقلب كفيه كمن لم يفهم شيئاً مما يرى . ويدخل
عندئذ الباشكاتب من باب آخر يحمل أوراقه ، وينظر إلى
المكتب الخالى)

الباشكاتب : (يلتفت حوله) أين المدير ؟ ..
السكرتير : خرج مسرعاً ! ..
الباشكاتب : خرج ؟ .. وكيف خرج ، قبل أن يمضى بقية الأوراق ؟ ...
السكرتير : لست أدري يا حضرة « الباشكاتب » .
الباشكاتب : (بنظرة نارية) يا حضرة ؟ ..

السكرتير : (متداركاً) البك .. يا حضرة البك .. لست أدري والله أين
ذهب المدير .. كل ما أعلم هو أنى دخلت أعرض عليه برقية مؤشراً
عليها من « الباشا » ، فخطفها من يدي ودسها في جيبه ، وانطلق

خارجاً على نحو غريب ! ..

الباشكاتب : ما شاء الله ! .. ما شاء الله ! ..
السكرتير : لو كنت أعلم أن سعادتك تريد أن يبقى في مكتبه قليلاً . كنت
اتخذت اللازم .

(صوت الباشا من الخارج يتضح .)

الباشكاتب : صه .. سعادة الباشا ! ..
(يقف بأدب متأهباً للمقابلة ، وكذلك السكرتير ، ويدخل
« الباشا » يعيث بسبحة من الكهرمان ...)

الباشا : (ينظر إلى المكتب الخالي) أين « حامد بك » ؟ ..

الباشكاتب : خرج الآن يا « باشا » ! ..

الباشا : أين ذهب ؟ ..

الباشكاتب : لا أعرف .. لم يخطر في بذهابه ، ولكن السكرتير يقول إنه أعطاه
برقية ؟ ! ..

السكرتير : البرقية المؤشر عليها من سعادة « الباشا » .

الباشا : آه .. عظيم .. عظيم ... عظيم .. لقد ذهب ولا شك يعدّ حقيقة
السفر فهو لا بد أن يكون الليلة في الإسكندرية .. مدير نشيط ! ..

الباشكاتب : بماذا يأمر سعادة الباشا ؟ ..

الباشا : لا شيء .. كيف حال العمل عندك يا حضرة الباشكاتب ؟ ..

(الباشكاتب يومئ بإشارة إلى السكرتير لينصرف ، فيخرج)

(السكرتير في الحال ...)

الباشكاتب : (في ابتسامة ذات معنى) على ما يرام يا باشا ! ..

الباشا : (ببرة ذات معنى) عملية إمضاء الأسهم ؟ ..

الباشكاتب : كدنا ننتهي منها اليوم ! ...

الباشا : كدتم ؟ .. وما الذى منعكم ؟ ..

— ١٩٨ —

الباشكاتب : فكرة قامت في رأس « حامد بك » أن يناقشني في موضوع « الشاكزية » .

الباشا : عرفت بالطبع كيف تجيب ؟ ..

الباشكاتب : طبعاً ! ..

الباشا : أعرف براعتك .. إني مطمئن إليك ، وثقتي بك لا حدها ، لا لأنني رجل عاطفي فقط بل لأنني رجل يراك تدافع عن مصلحتك ، أو بعبارة أخرى عن عمارتك التي تبنى الآن في الدرب الأحمر ! ..

الباشكاتب : (مطرقاً) كله من خير سعادة الباشا ! ..

الباشا : (بلهجة ذات مغزى) ومن خير الأسهم المكررة ! .. إذا صدقت معلوماتي ، فإن كل رقم مكرر يختفي منه سهم .. وهذا وضع يمكن أن يحدث ، وإذا صدقت معلوماتي أيضاً فإن العمارة قد وصلت إلى الطابق الخامس ، وهذا أيضاً يمكن أن يحدث . ولكن نصيحتي أن يقف البناء عند هذا الحد ، محافظة على الأساس ! ..

الباشكاتب : هذا أيضاً من رأيي يساعد الباشا ! ..

الباشا : اتفقنا ! ..

(الباب يفتح فجأة وتدخل « خيرية » ...)

خيرية : (باندفاع) « حامد » ؟! .. أين « حامد » ؟ ..

الباشا : (يلتفت باسمياً) مرحباً ! .. مرحباً ! ..

(الباشكاتب ينسل خارجاً بسرعة ...)

خيرية : (مسمرة في الأرض كالماخوذة) أنت ؟ .. هنا ؟ ..

الباشا : نعم أنا .. ما كنت تتوقعين أن تجديني هنا ؟! ..

خيرية : لا ..

- الباشا : أما أنا فكنت أتوقع أن أجذك ذات مرة هنا ! ..
- خيرية : طبعى أن أزور زوجى فى مكتبه ! ..
- الباشا : وليس من الطبيعى أن تزورينى فى مكتبى ؟!...
- خيرية : لا أرى لذلك ضرورة ! ..
- الباشا : أحب هذه الصراحة ! ..
- خيرية : ألسنا نخطى بزيارتك لنا فى منزلنا من حين إلى حين ؟ ..
- الباشا : حقاً! .. زيارة تحاولين دائماً بمهارة أن تكونى فى جو عام! .. ما من مرة أردت زيارتك إلا وجدت زوجك معك، أو أمك أو جارتك! .. لكأنك تبادرين إلى استدعاء من يقطع خلوتنا، لا ينقصك إلا جرس، تدقيقه فى النافذة ليصعد إلينا المارة والجماهير! ..
- خيرية : ولم لا؟ .. زيادة فى الترحيب بك ! ..
- الباشا : أهذا ما وعدتنى به ؟ .. وعاهدتنى عليه ؟ ..
- خيرية : بماذا وعدتك ؟ ..
- الباشا : الذاكرة لا تضعف فى مثل عيمرك الغض ! .. لم تمض بعد ثلاثة شهور على تلك الليلة التى عقدنا فيها الاتفاق الذى تعرفين ! .. أما أنا فقد قمت بوعدى ، وها هو ذا زوجك قد أصبح مدير شركة كبرى تحمل اسمه ، وهأنذا قد تحليت بالكياسة واللباقة ، فأعددت العش الجميل الذى لم تطأه بعد قدماك ! ...
- خيرية : الظروف قضت بذلك ... مرضى ، كما تعلم ، واعتلال صحتى طول هذه المدة اضطررت إلى ملازمة الفراش فى أغلب الأيام ! ..
- الباشا : قصة مرضك هذه، اسمح لى أن أقابلها بالتحفظ الشديد.. وإنى أعلم الآن لماذا يضع بعض النساء حول نحورهن فراء الثعالب «ويقربن» من ثغورهن رعوسها الصغيرة، مفتوحة الآذان... أتدريين لماذا؟... لأن هذا الصنف من النساء يلقن الثعالب دروساً فى المراوغة!..

- خيرية : ليتنى أستطيع أن أروغ منك ! ..
- الباشا : بغس هذا التمنى الذى ينطوى على الغدر ونكث العهود ! ... كان
يجمل بك أن تتخذى منى أسوة ومثلا ، وأن تحافظى على تعهداتك
نحوى ، كما حافظت على تعهداتى نحوك ، أنا الذى وفيت بكلمتى
لك مغمض العينين ، حرفا حرفا ، وشرطا وشرطا ، كما يقضى
بذلك واجب الشرف ! ..
- خيرية : الشرف !!؟ ..
- الباشا : اهزنى ما شئت ، وأنكرى قيمة المبادئ ؛ فأنت حرة فى أن تكونى
امرأة ليس لها وعد ولا عهد .. ولكن ماذنبى أنا ؟ أقع فريسة
لك ؟! تستغلين نيتى الطيبة ، وتلعين لى وتعشين ، بأناملك
الناعمة المصبوغة بالأحمر ، كأنها مخالب انغمست فى دمنى
البرىء ! ...
- خيرية : يا للضحية ! .. يا للضحية ! ..
- الباشا : تلفظين بلذة ونهم ! .. كل امرأة بالغريزة تحب أن يكون لها
ضحية ؛ لأنكن من فصيلة القطط والثور ! ..
- خيرية : تريد الآن أن تقنعنى بأنك ضحيتى ! ..
- الباشا : فأر صغير .. يحلو لك أن تمسكى به من ذيله ، وأن تفعل به ما
تشائين وتتالى منه ما تريد ، دون أن تعطيه فرصة لياخذ منك
شيئا ! ..
- خيرية : إنه يريد أن يأخذ منى كل شيء ! ..
- الباشا : إنك تبالغين ! ..
- خيرية : هذا الفأر الصغير يريد أن يقرض جبل حياى ! ..
- الباشا : حياتك ؟ ... ومن الذى صنع هذه الحياة ، وفق ما طلبت وتمنيت
وتخيلت ؟ ..

- خيرية : لقد صنعت ذلك حقا . ولكنك اليوم تقتضيني الثمن غاليا ! ...
- الباشا : الثمن غاليا !! .. إنك تتكلمين بلغة السوق ! ..
- خيرية : اللغة التى تفهمها أنت ! ..
- الباشا : نعم ، فى غير هذا المقام ، ولكن كياستى ولماقتى تحتان على . استعمال لغة أخرى ؛ للتعبير عن مشاعرى السامية وعواطفى الحارة ! ..
- خيرية : مشاعرك السامية لا يناسبها غير الصراحة المجردة .. اكتشف عن مطالبك ... ألا تعترف أنها باهظة !؟ ..
- الباشا : لقد قبلت الصفقة .. وعرفت الثمن مقدما ! ..
- خيرية : ها أنت ذا ترجع بسهولة إلى لغتك الحقيقية .. نعم .. لقد قبلت وعرفت .. ولو كان الأمر يتعلق بشئ فى وحده لكان ، ولكنه الآن يتعلق بشرف زوجى ! ..
- الباشا : شرف زوجك ! ..
- خيرية : قد أستطيع التصرف فيما أملك ، ولكنى لا أستطيع التصرف فيما لا أملك ! ..
- الباشا : شرف زوجك !؟ ..
- خيرية : نعم بأى حق ألوثه أنا وأدنسه !؟ ..
- الباشا : ياله من احتيال ! .. يوم كان الأمر يتعلق بك وحدك ، قلت لا بد من تصحيح الوضع ، ولا بد من زوج . فلما جاء الزوج ، قلت لا بد من المحافظة على شرف الزوج ، ولكنى أسارع فأدخل على قلبك الأمان ، وعلى ضميرك الاطمئنان ، وأخبرك أن زوجك لا شرف له ، حتى تحافظى عليه ! ..
- خيرية : ماذا تقول ؟ ..
- الباشا : إنه مزور محتمل ! .. ونحت يدى البراهين والمستندات ، ولم (بين يوم وليلة)

يمنعني من فضح جرائمه وتقديمه إلى النيابة ، إلا حرصى عليك وعلى سمعتك ، وإبقائى على ما بيننا من صلوات وعهود ! ..

خيرية

: أنت كاذب ! .. لا أصدق أن حامد ..
: لقد تزوجت لصاً يا سيدتى ! .. لا أعنى فقط ذلك اللص الذى ضبط فى البيت ليلاً .. ولكن هذا اللص الجالس على هذا المكتب يسرق أموال الشركة ! ...

الباشا

: خست ! ..

خيرية

: (يخرج من جيبه سهماً) إليك البرهان .. انظرى ! .. هذا سهم من أسهم الشركة .. إمضاء من هذا ؟ .. أليس إمضاء حامد بخطه ؟ .. إذن فاعلمى أن هذا السهم مزور مكرر ، مع ألوف غيره من الأسهم ، لقد زورها ، وعليها إمضاءه بخط يده ، وباعها وقبض أثمانها ، معرضاً مصالح المساهمين للخطر ، ولولا سلوكى النبيل نحوك ، وأخلاقى الكريمة التى لا تقدرينها ، لجعلتك تبصرين بعينك هذا الزوج العزيز والمدير المحترم ، مكبلاً أمام الناس فى الحديد ! ..

الباشا

: (كالتحاطبة لنفسها) حامد يفعل ذلك ؟ .. مرتبه يكفينى ، لماذا يفعل ذلك ؟ ..

خيرية

: يفعل ذلك لأنه يريد أن يثرى سريعاً .. هذا الشاب الذى دخل بيتك للحصول على نقود ، قد وضع فى رأسه الوصول إلى المال من أى طريق .. ولو من طريق الجريمة ، وما أنت فى حياته دائماً إلا سلم .. سلم معلق على نافذة .. إن « روميو » فى هذا العصر شاب يريد أن يقفز إلى نوافذ المال والجاه ، ولو قتل من شعر « جوليت » سلماً ، وجعل من جسدها درجاً ! ..

الباشا

: حامد لا يفكر هكذا الآن ! ..

خيرية

الباشا : الآن وفي كل وقت .. ولكنك بلهاء .. لم تستطعي أن تكشفى حقيقته .. أتظنين أن قلبك شىء يهيمه أو يعنيه ؟ .. أتخسبن أنه يجهل ما يفعل ؟ .. إنه يفهم جيداً حقيقة وضعه منذ الساعة الأولى ، وإن كان فاته أن يفهم ذلك من قبل ، فلا يمكن أن يبقى جاهلاً حتى الآن .. هذا الشاب ليس ساذجاً ، حتى يعتقد أن نبوغه وحده هو الذى يؤهله لمنصب المدير .. إنه لا شك قد ساءل نفسه ، من أين له هذا ؟ .. وهو اليوم يدرك أن هذه القفزة الكبرى لشاب مثله لا بد أن يكون لها ثمن ، وهو يعرف هذا الثمن ! ..

خيرية : هذا كذب وبهتان . إنه لا علم له بشىء على الإطلاق .
الباشا : أقسم لك أنه على تمام العلم ، وعلى تمام الاستعداد أن يدفع الثمن ، أو تدفعيه أنت عنه .. على شرط أن يحتفظ بمركزه الاجتماعى الذى وصل إليه ، وأن يبقى فى هذا المستوى من الرفاهية والترف الذى اعتاده ! .. إن زوجك هذا ليس أول شاب أعرفه من هذا الطراز ! ..
خيرية : أنت واهم .. حامد ليس مثل غيره من الشباب الوصولى .. إنه لا يمكن أن يبيع مبادئه ! ..

الباشا : أينها الحمقاء ! .. إنه يبيعها بأبخس مما تتصورين ... أتظنين أنه يرضى الآن بالعودة إلى حى الأزهر ؟ .. يكدح فيه بقروش معدودة ، من أجل سواد عينيك ؟ ! .. أحسبت أنى صبرت عليك هذه الشهور الثلاثة ؛ لأنى صدقت حكاية مرضك ؟ ! .. لا يا سيدتى الصغيرة ، بل لأنى أردت أن أصبر على هذا الشاب ، حتى يعتاد هذا المستوى المرتفع من الحياة الرضية الهنية ، فيعز بعدئذ على هذا المدير أن يهبط من حالى إلى أرض الأزقة . فيتحطم كإناء من الفخار ! ..

- خيرية : شيطان ! ..
- الباشا : لقد كانت روحه مستعدة للفساد . وإنى ما فعلت أكثر من أن أنلته ما أراد .. لقد نال منى بغيته .. بمنتهى السهولة ، ولكنه أصبح فى قبضتى كهذه الورقة .
- (ينتزع ورقة من فوق المكتب ويطبقها فى كفه) أستطيع أن ألقى به أى وقت فى هذه النسلة ! .. (يلقي بالورقة فى سلة المهملات ، تحت المكتب) هكذا ..
- خيرية : وأخيرا ؟! ..
- الباشا : وأخيراً .. أرجو أن تكونى مثله فى الحكمة والتعقل .. إنه يعرف قدرتى ، ويدرك ما أريد منه ومنك .. وله رغبة فى الطاعة .. ويميل إلى أن يمهّد لى طريقى .. كما مهّدت له طريقه ! ...
- خيرية : لن أصدق ذلك أبداً .. أبداً ... أبداً ..
- الباشا : معى البرهان ! ..
- خيرية : أرئى البرهان !! ..
- الباشا : أصدرت إليه أمرى بالسفر .. الليلة .. إلى « الإسكندرية » .. فى مهمة صورية لا تستدعى عادة ذهاب المدير .. وهو أذكى من أن يعمى عن المقصود من هذا الإبعاد .
- خيرية : لن يسافر ! ..
- الباشا : سيسافر .. ولن يعترض ، ولن يرفض . وسيتركك الليلة وحدك ، وسأزورك أنا فى بيتك ، فى تمام التاسعة وأصحبك إلى السينما ، ثم نخرج منها إلى العشاء الجميل حيث تتناولين معى عشاء خفيفاً لطيفاً ! ..
- خيرية : لن يتركنى الليلة ! ..
- الباشا : سيتركك الليلة .. لى .. لى ..
- خيرية : أنت واثق من نذالته ؟ ..

- الباشا : واثق من حكمته ! ..
- خيرية : حكمته ؟ ..
- الباشا : على شرط .. أن تدعيه يتصرف بمحض اختياره .. لا تحاولي التأثير على إرادته بأفكارك ، ولا تركعي عند قدميه ، تتوسلين إليه أن يبقى .
- خيرية : لن أركع أبدا عند قدمي زوج من هذا الطراز ! .. كرامتي تأبى ذلك ! ..
- الباشا : مرحى !؟ ... مرحى ! ... إنك دائما « خيرية » التي أعرفها .. ذكية .. فطنة .. تفتح عيناك على الحقائق ، في الوقت المناسب ! ..
- خيرية : (تتحرك للانصراف) أرى أن الوقت الآن غير مناسب لبقائي هنا ! ..
- الباشا : (وهو يشيعها إلى الباب) أعودين إلى بيتك ؟ ..
- خيرية : (كالشاردة) لا أدري ! ..
- الباشا : أغلب ظني أن زوجك الآن في البيت يعد حقيبة السفر .. كوني عند كلمتك هذه المرة ! ..
- خيرية : (كالخاطبة لنفسها) سأتركه يتصرف بمطلق حريته ! ..
- الباشا : إلى اللقاء ! .. « خيرية » .. الليلة .. لاتنسي ! .. في تمام التاسعة ! ..
- (تخرج خيرية من الباب سريعا دون أن تحيب ، ويعود الباشا وهو مروح يدندن .. وعندئذ يسمع نقر على الباب ، ثم يطل السكرتير برفق ...)
- السكرتير : سعادة الباشا يأذن !؟ ..
- الباشا : (يلتفت) خيرا ! ..

السكرتير : مكتب سعادة الباشا اتصل بى تليفونيا الآن ، يوجد زوار فى الانتظار هناك ، وفد من « جمعية أنصار » ...

الباشا : (مقاطعا) آه .. نعم .. ولكنى لن أعود الآن إلى مكتبى .. إلى منصرف .

السكرتير : (بتردد) يظهر أنهم كانوا على موعد ؟! ..

الباشا : (ينظر فى ساعته) إذا استطاعوا أن يلحقوا بى هنا ، فى مدى عشر دقائق فأنى أنتظرهم .. أخطر مكتبى بذلك ! ..

(السكرتير يخرج ، ويتمشى الباشا فى القاعة ويتأمل الخرائط والإحصاءات على الحائط .. وعندئذ يفتح باب جانبى آخر بهدوء ، وتدخل امرأة فى مقتبل العمر ، وتسعل قليلا فيلتفت إليها الباشا) .

الباشا : (مفاجأ) ناهد ؟ .. (بخشونة) ماذا جئت تصنعين هنا ؟ ..
ناهد : علمت أنك هنا ، وإنى أعرف أنك لا تحب رؤيتى اليوم ، وأنتك تهرب من مقابلتى ، فلم أر من وسيلة إلا أن أدخل عليك هكذا ، بغير استئذان ! ..

الباشا : ماذا تريد منى ؟ ..

ناهد : أن تصحح وضعى ! ..

الباشا : حقا ! .. لم يبق لى الآن فى الحياة من شغل إلى أن أصحح الأوضاع ! ..

ناهد : سيطردوننى من المدرسة ، ولن أجد عملا فى مدرسة أخرى ، فقد سرت الإشاعة أنى خيلتك ! ..

الباشا : ما عدت الآن خليلتى ، لقد انتهى كل شىء بينى وبينك ، كما تعلمين ! ..

ناهد : لقد كنت وعدتنى بالزواج ! ..

- الباشا : ألأنت مجنونة ؟ .. إني رجل متزوج ! ..
- ناهد : وما الذى يمنع ؟ .. لقد قلت لى إنك ستعقد على ، وأكون زوجتك الثانية ، المحظية المحبوبة فى الستر ! ... بلا ضجة ولا ضوضاء ؟ .. أتكر هذا القول اليوم ؟ ..
- الباشا : أجبث اليوم لتذكرينى بكلام قديم ، قيل منذ عامين ، على سبيل الجمالة ؟ .. لا بد أنك قد أصبت بمس فى عقلك ! ..
- ناهد : لقد أصبت بعار ... لن يمحوه إلا أن تفى بوعدك ، ولو لمدة يوم واحد ، ثم تطلقنى ! ..
- الباشا : هذا إجراء متأخر . وليس عندى اليوم وقت لهذه المساخر ! ..
- ناهد : ليس الذنب ذنبى ، لقد كنت تماطل وتؤجل ، وتخذرنا بمعسول القول إلى أن فتر اهتمامك بنا ، وقلت زيارتك لنا ، وأخيرا جاء اليوم الذى انقطعت فيه العلاقة بيننا دفعة واحدة ، فهجرتنى وطردت أخى ، أليس فى قلبك رحمة ؟ .. أين الرحمة فى قلبك ؟ ..
- الباشا : أنت تعلمين أنى قد صفيت الموقف معك نهائياً ، ومع أخيك : بكل كرم وسخاء ! ..
- ناهد : ماذا تعنى ؟ .. أنا أقبل منك ثمنا لعرضى ؟ ..
- الباشا : لقد قبل أخوك الثمن ، وقبضه وانصرف ، ولكنه عاد يطالب بالزيد ، وهأنت ذى تعودين لفتح موضوع التعويض .. تخفينه تحت ستار تلك اللغة القديمة التى لا تأثير لها فى المجتمع العصرى .. العرض والعار .. أنت أول من لا يقتنع بهذا الكلام العتيق ! .. وأول من يدرك أن علاج ذلك سهل الآن .. ففى شركاتى عشرات من الشبان مستعدون للزواج منك .. وستعارك المزعوم ... ولكنك لا تريدين ذلك .. أنت إنما

— ٢٠٨ —

تريدين اللقمة الكبرى والمغنم الأكبر ! ...

ناهد : أنت وغد ! ..

الباشا : لو كنت رجلا لصفعتك في الحال ، وطردتك من هذا المكان كما يطرد

الكلب ، ولكنك سيدة ... يرغمني الأدب على احتمالك ! ..

ناهد : لك الحق أن تفعل أكثر من ذلك .. لقد أخذتني لحما ورميتني

عظما .

الباشا : من الذى دفعك إلى المجيء هنا اليوم ؟ ... هو أخوك

« شاكِر » ؟ ...

ناهد : لا ، بل طمعى فى مروءتك ! ...

الباشا : ألا تعلمين أن « شاكِر » يلاحقنى منذ مدة بالخطابات

والتليفونات ؟ ... أحيانا يتوسل ويتمسكن . وأحيانا يتهدد

ويتوعد ، حتى ضاق صدرى ، وأعلنته أخيرا أنى سأبلغ أمره إلى

النيابة ! ...

ناهد : لقد أخبرنى أنك تهمه بالتزوير والاحتيال ! ...

الباشا : لست أنا وحدى ، بل أعضاء مجلس الإدارة وكل المساهمين ! ...

ناهد : أنت تعلم أنه برىء ...

الباشا : ومن الذى ارتكب الجريمة . ووقع بخطه ؟ .. عفريت من الجن ،

أو شبح من الأشباح ؟ ! ...

ناهد : أنصحك ألا تبلغ ! ...

الباشا : (هازئا) تنصحينى ؟ ...

ناهد : لا تدفع به إلى اليأس ، لقد لحت معه مسدسا ! ...

الباشا : (هارئا) ليطلقه على من ؟ .. على أو على نفسه ؟ ...

ناهد : لست أدرى ! ...

الباشا : عين أسلوبه فى التهديد والوعيد ! .. عصابة صغيرة بارعة ، من

الجيل الجديد ! ...

ناهد : من خلقت أنت وصنعتك ! ...

الباشا : من صنعى أنا ؟! ...

ناهد : ومن غرسك وزرعك ... كنا فى بيتنا المتواضع أنا وأخى نعيش

آمنين ، نسعى إلى رزقنا البسيط بفخر ، ونأكل لقمتنا الطاهرة

بعرق الجبين ! ... نسير فى الحياة بخطانا الطبيعية البطيئة ، ولكننا

نؤمن بقيمة الفضيلة ومعنى الشرف ، ونعتقد أن لهما نورا

قدسيا ... هو أبقى للنفس من بريق الذهب وأضواء اللائع ! ..

كنا أغنياء بالنفوس ... أقوىاء بالمبدل ... نرى الثروة شيعاً فى

قلوبنا ، لا رداء على الأبدان ! ... فجئت أنت ، ودخلت بيتنا ؛

فكانه الشيطان الرجيم جاء يقلب حياتنا رأساً على عقب ! ...

الباشا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ! ..

(يسبح بالسبحة ...)

ناهد : نعم .. استعد بالله من نفسك ... لقد علمتنا أشياء ما كنا

نعلمها ! .. وأرينا طريق المال سهلاً ميسوراً ، وأفهمتنا أنه هو

كل شيء ! .. وبهرتنا به وأغرقتنا بهالته ، فسرنا وراءك نتخذك

إماماً ، وتبغ خطاك دون أن نبصر فى أى طريق نسير ! ..

الباشا : أيتها المعلمة ... هذا كلام تخاطبين به تلاميذك فى رياض

الأطفال ! ..

ناهد : لا تنزأ بمهنتى .. إن قلبى يتمزق ، كلما تذكرت أنى لم أكن

جديرة بتعليم الجيل الصغير ! .. ماذا أعلمه ؟ ... وقد فُسدت

نفسى ، وزاغت عقيدتى ، وفقدت مثلى .. وأضعت

مبادئى ؟! ..

الباشا : ومن المسئول ؟ ...

- ناهد : أنت ! ..
- الباشا : أما أنتم فلا ذنب لكم ولا جريرة ! .. أبرياء ! .. أبرياء أطهار
بررة .. تبعون مبادئكم التي تقولون إنها غالية نفيسة . وتقبضون
الثلثين ، وتضيعونه ، ثم تصيحون : لقد خسرننا ! .. إن كل
صفقة ، أيتها المدرسة المهذبة ، تحتل الربح والخسارة ، وكل من
باع شيئا يجب أن يقدر أنه قد يربح وقد يخسر ، ولكنكم لا
تقدرون دائما غير الربح .. الربح .. الربح ! ..
- ناهد : إنك تكلمنى بلغة التجارة ... نحن لسنا تجارا ! ...
- الباشا : مغامرون ... أنتم مغامرون ! ... وقانون المغامرة مثل قانون
التجارة ! ..
- ناهد : لا تنس أنا أطفال بالنسبة إليك ... وأنا كنا نراك في مقام المنقذ
الكريم ، والمرشد الرحيم .. وكان عليك أنت أن تقودنا إلى الخير
والفضل والغنيمة .. لا إلى الضياع والفساد والجريمة ! ...
- الباشا : أعترف أنى ما فكرت في أن أقودكم إلى شيء ! ...
- ناهد : هذا صحيح ... إنك ما كنت تفكر قط إلا في نفسك . وفي أن
تتخذ منا أدوات لأغراضك ! ...
- الباشا : حذار أن تنكرى أنى بسطت لكم يدى . وأنى ما ضننت عليكم
بشيء ، وما رفضت لكم مطلباً ! ...
- ناهد : حقا .. يوم كنت ترجو شيئا منى ! ..
- الباشا : (مستمرا) وإنى أغرقتم في بحار نعمتى ! ..
- ناهد : نعم .. أغرقتنا ! .. أغرقتنا ... أغرقتنا وتركنا ! ..
- الباشا : لن تغرقوا ... إنى أعرف أنكم تحسنون السباحة ! ..
- ناهد : (في استعطاف) ألن تمد إلينا يدك ؟ ..
- الباشا : (ينظر في ساعته) ليس الآن ، الآن أنا مشغول ، مشغول

جداً ! ...

- ناهد : (فى توسل) ألق إلى ببعض الأمل .
- الباشا : ومن يمنعك أن تعيشى بالأمل ؟ ! ..
- ناهد : أتوسل إليك . أستحلفك بحبك لى ... حبك الذى مات ! ..
- الباشا : (يلتفت إلى الباب الذى يفتح) صه ! ..
- (يظهر السكرتير على العتبة ...)
- السكرتير : سعادة الباشا ! ... حضر وفد جمعية ...
- الباشا : (فى ارتباك) لحظة .. لحظة .. (يلتفت إلى « ناهد ») أرجوك يا ناهد . انصرفى الآن بسرعة . (يسمع صوت وفد الجمعية بالباب . فيدفع ناهد إلى حجرة جانبية ويفلق عليها ...) اختبئى هنا لحظة . (ثم يتجه إلى الباب ويستقبل أعضاء وفد الجمعية الداخلين ...) أهلا ! .. وسهلا ! ...
- الوفد : أهلا بسعادة الباشا ! ...
- الباشا : أنا فى غاية السرور بهذه الفرصة السعيدة ! ..
- الوفد : (بلسان كبير الأعضاء) بل نحن فى غاية السرور ؛ إذ شرفنا سعادة الباشا بقبوله الرئاسة الفخرية للجمعية أنصار الفضيلة ! ...
- الباشا : (فى تواضع مصطنع) هذا شرف لى ! ...
- الوفد : (بلسان كبيرهم) بل شرف للجمعية يا سعادة الباشا ؛ فإن ماضيك المجيد فى أعمال الخير له فى النفوس أثر لا يحصى .. وجهادك فى المجتمع من أجل الإصلاح له صفحات مشهورة ، ومساعدتك فى صيانة الأخلاق لها مواقف مشكورة ! ...
- الباشا : (يطرق متواضعا ويسبح بالسبحه ويتمم) أستغفر الله ...
- الوفد : (مستمرا) وأنت فى المجتمع قطب من أقطاب البر والفضل

والخلق ، يلهج الناس باسمك في كل مكان ، جاعلين منك المثل
الذى يحتذى في السير السليم ، والسلوك القويم ، رافعين إليك
العيون ، مشيرين إليك بالبنان ! ..

: أستغفر الله ! ... أستغفر الله ! ... الباشا

: (مستمرا) فإذا تفضلت ونزلت وقبلت رئاسة هذه الجمعية ،
فإنما هو فضل من أفضالك ، وحسنة من حسناتك ، وكسب
للأخلاق ، ونصر للفضيلة ! ..

(يسبح بالسبحة ...)

: أستغفر الله ! .. الباشا

(يلمح حركة بباب الحجرة التى بها ناهد يرى الباب يفتح
قليلا . وتحاول ناهد أن تطل برأسها لترى ماذا يحدث بحجرة
المكتب . فيسرع الباشا إلى الباب بحركة خفية لا يتنبه إليها
أعضاء الجمعية. ويغلق الباب بعنف وهو يقول كأنه يؤنب
ناهد :) أستغفر الله ! .. أستغفر الله ! ...

كبير الأعضاء : (يلتفت إلى وفد الجمعية صائحا) اهتفوا معى ... فليحى
رئيس جمعية أنصار الفضيلة ! ..

: (هاتفا) يحيا رئيس « جمعية أنصار الفضيلة » ! ... الوفد .

(بينما الباشا ينز رأسه بالتحية ويضع يديه على رأسه
شاكرا)

(ستار)

الفصل الرابع

(بهو فى شقة « حامد » الفاخرة بجاردن سيتى : أثاث يدل على ذوق ورخاء ... الوقت ليل ، والضوء ينبعث ورديا باهتاً من « أبا جور » كبير فى أحد الأركان .. البهو خال ، والساعة تدق تسع دقائق ، وعندئذ يرن جرس باب الشقة ، ثم تسمع حركة فتحه وإغلاقه ، ويظهر الباشا فى أتم أناقة ، وخلفه الخادم .)

الباشا : (للخادم) « حامد بك » ليس هنا بالطبع ؟ ! ..

الخادم : البيك سافر ! ..

الباشا : (بلهجة العارف الوائق) مؤكد ! .. والست ؟ ..

الخادم : الست فى حجرتها .. وهى الآن ...

الباشا : (مقاطعاً) عظيم ! .. عظيم ! ... اذهب أنت لعملك ، لا حاجة لى الآن إليك .

الخادم : نحضر القهوة لسعادة الباشا ؟ ...

الباشا : لا .. لا تحضر شيئاً ، سنخرج بعد قليل .

(ينظر فى ساعته ويضعها على أذنه ..) كم الساعة الآن ؟ ..

الخادم : دقت التاسعة منذ لحظة ! ..

الباشا : (كاتخاطب لنفسه) فى موعدى بالضبط ... (يلتفت إلى

الخادم) اذهب أنت إلى عملك ! ..

الخادم : (متحركاً) أخبر الست ؟ ..

الباشا : (يمنعه بإشارة) لا .. لا .. أنا أخبرها بنفسى ... اذهب

أنت ! ..

(الخادم يدير زر الكهرباء فى النجفة الكبرى ، فيضىء البهو

- ضوءاً ساطعاً ثم يخرج ...) .
- الباشا : (وكان قد تهيأاً للتحرك نحو باب الحجره الثانيه) يا لك من أحمق ! أضعفت النور الوردى الشاعرى ! ..
- (يلقي نظرة أخيره على هندامه فى مرآة البهو . ثم يقترب من باب الحجره وينقر عليه بلطف ويمس برقه) خيريه ! .. خيريه ! ..
- (يفتح الباب فيترجع الباشا من المفاجأة ، فقد ظهرت الأم تنظر إليه نظرات قاسية)
- الباشا : (من بين شفثيه) أنت .. هنا ؟ .. ما معنى وجودك هنا الساعة ؟ ! ..
- الأم : عليك أن تفسر معنى وجودك أنت أولاً ! ..
- الباشا : ليس لأحد أن يطالبنى بحساب أو تفسير لتصرفاتى ! ..
- الأم : تصرفاتك لا تحتاج إلى تفسير ! .. لقد أطلعتنى هى اليوم على كل شئ ، هلم معى .. بلا ضوضاء ... إلى منزلنا .. أرجوك .. هلم بنا .. اترك ابنتى ! ..
- الباشا : أترك ابنتك ؟ ..
- الأم : نعم .. أتوسل إليك أن تترك ابنتى ؛ لأنك لن تصل إليها إلا على جتى .. أفهمت ؟ .. خير لنا يا « محمود » أن نغادر هذا المكان ! .. ونغضى إلى بيتنا بكل هدوء ، قبل أن تقع الكارثة ، قلبى يحدثنى أن كارثة ستقع ! ..
- الباشا : ما هذا الذى تقولين ؟ ..
- الأم : لقد صممت أن أقف الليلة على باب ابنتى ، أذود عنها وأحميها .. ما عدت أطيع عذابى الصامت الذى عشت فيه زمناً ... إني ما كنت عمياء ولا بلهاء ، بل زوجه ، حبة مخلصة ، ترى وتلمح

وتلاحظ تلك الأشياء الغريبة المريبة التى تجرى حولها ! ...

الباشا : ماذا يجرى حولك ؟ ..
 الأم : محمود ؟ .. لا تحاول الآن أن تنكر .. لطلما توليت أنا عنك
 الدفاع أمام قلبى .. إنك تعلم أنى مالفظت يوما كلمة نمت على
 ارتياحى فيك .. كنت أحرص دائما على إخفاء ما خامرنى منك ؛
 احتراما لنفسى ولك ... كان ذلك مبدئى معك منذ زواجنا ..
 أسمعت منى ذات مرة كلمة لوم أو تأنيب أو شك أو ارتياب ؟ ..
 لم يحدث قط .. ولكن الأمر يتعلق الآن يابتنى ! ...

الباشا : ماذا قالت لك ابنتك ؟ ..
 الأم : لم تقل لى شيئا قبل اليوم ... اليوم فقط. استدعتنى لتفوضى إلتى
 بالحقيقة ، بعد أن كتمتها عنى طويلا هى الأخرى ، وجعلتنى
 أتساءل فى خلوتى عن سر كتمانها ، وأقلب على لهب العذاب بين
 الشك واليقين .. آلام مروعة .. ما ذاقها زوجة قط ولا أم .. لقد
 أيقظت فى قلبى أيها الزوج الظالم الآثم من المشاعر الفظيعة والغرائز
 البشعة .. ما ندر أن يعرفه بشر ! .. تلك النظرات من عينيك
 لخيرية ، كانت أحيانا تلفح قلبى كأنها جمرات . ولكنى كنت
 أقول ، محاولة إقناع نفسى : إنها نظرات حنان من أب عطوف ،
 لم يرزق الخلف وكنت أسأل الله ، فى أعماق الليل وأنا أكم زفرائى
 بمندبلى ، وأبلى وسائدى بالدموع ألا يكون الأمر غير ذلك ! ...
 « محمود ! ... » محمود ! .. لماذا عذبتنى هكذا ؟ .. أى
 شيطان دخل بدنك ، فجعلك تفرق بين الزوجة وزوجها والأم
 وابنتها ؟ .. أرجوك يا « محمود » ! .. أتوسل إليك .. أقبل
 قدميك ، عد إنسانا .. إنسانا ذا قلب رحيم ونفس كريمة أنقذ ما بقى
 منى .. وكافتنى على صبرى ... لقد برتنى الآلام وبسرحت

بى الهواجس ، فبدا على الكبير قبل الأوان ... ارحمنى ، وضمد
جراحى ... إن قليلا من حنانك يعيد إلّى بعض شبابى .. هلم بنا
إلى منزلنا ! ... إلى بيتنا نحن ...
(تتناول يده وتجذبه برفق ..)

الباشا : (يسحب يده منها) أنت ولا شك جنت .. ذهبت بعقلك
الغيرة من ابتك الشابة .. هذا كل ما فى الأمر .. يحسن بك أن
تعودى الآن إلى منزلك ، وتلزمى فراشك ، وتتوالى شراباً دافئاً
مهدئاً للأعصاب ! ...

الأم : وأنت ؟ .. ألا تعود معى ؟
الباشا : إلى جئت لمقابلة « خيرية » فى مسألة خاصة بها ، وإن شئت
إيضاحاً فهى مسألة خاصة بزوجها ، وليس من المناسب أن
تطلع على ذلك ! ..

الأم : لا أظنها تخفى عنى شيئاً ، حتى وإن كان خاصاً بزوجها ! ..
الباشا : أنت مغفلة ! .. لقد اعترفت الساعة أنها كانت تكتم عنك أشياء
كثيرة

الأم : فعلت ذلك حقاً .. حتى لا تؤذى شعورى ! ...
الباشا : لهذا السبب أخفت عنك كل ما يتعلق بزوجها ! ..
الأم : أتكتم عنى أنا أمها ، ما لا تكتمه عنك أنت ؟ .. أهذا
معقول ؟ ..

الباشا : معقول جداً .. وإذا أردت الدليل فارجمى بذاكرتك الضعيفة إلى
ثلاثة أشهر فقط .. إلى تلك الليلة التى أعلنت فيها أنا خطبة ابنتك
إلى حامد .. أكنت تعرفين هذا الشخص من قبل ؟ .. ألسنت أنا
الذى قدمته إليك ؟ .. ألسنت أنا وحدى الذى كنت أعرف ما
بينه وبين ابنتك ؟ .. ألسنت أنا الذى توليت إنقاذ الموقف ؟ ..

- منعاً للفضيحة ، وحفظاً لسمعة « خيرية » وسمعتك ؟ ..
- الأم : لقد كانت لك مآرب أخرى من وراء ذلك .. مآرب أنت تعرفها ولا حاجة بي إلى ذكرها الآن ! ..
- الباشا : بل اذكرها الآن ، من فضلك ! ..
- الأم : لقد سهلت لها الزواج من هذا الشاب ؛ ليسهل عليك الوصول إليها ! ..
- الباشا : أمي التي قالت لك ذلك ؟ ... يا لها إذن من ناكرة للجميل .. أرادت أن تظهر أمام عينيك في صورة الحمل ، وأن تظهرني في صورة الذئب ! ..
- الأم : لا أصدق ما تقول في « خيرية » ! ..
- الباشا : وتصديق ما تقول في أنا ؟ .. أقدم إليك نصيحة خالصة .. عودي إلى البيت ! .. اذهبي الآن إلى بيتك ، وضعي كل ثقتك في زوجك ! ..
- الأم : لن أتركك هنا .. وحدك ! ..
- الباشا : عدت إلى الغيرة .. الغيرة العمياء التي تنهش قلبك في ظلام الأوهام ! ...
- الأم : مهما يكن من أمر ، فإن واجبي الآن أن أبقى هنا معك وأن أذهب معك ! ..
- الباشا : سأقابل « خيرية » بمفردي ، وستذهبن إلى البيت وحدك ! ..
- الأم : لن أذهب وحدي .. لن أتركك هنا .. لقد توسلت إلى « خيرية » أن أحميها الليلة منك ! ..
- الباشا : تحميني مني ؟ .. وحش مفترس له مخالب سينشبها في عنقها ... (يرميها أصابعه ...) ها هي ذى أصابعي قد انقلبت مخالب ! ..
- ماذا يصور لك وهمك أيضا ؟ .. ساحك الله أيتها الزوجة

الوفية .. أهذا رأيك في زوجك ؟ .. زوجك الذى أجمع الناس على أنه سند للأخلاق ، ونصير للفضيلة .. ألا تقرئين الصحف ؟ ..

الأم : نعم .. قرأت فيها كثيرا أنك قطب من أقطاب .. الفضيلة والأخلاق ! ..

الباشا : قرأت ذلك .. بحروف مطبوعة .. ولم تصدق .. أيتها الغارقة في الوسوس ! ... ماذا بعد شهادة الصحف والمجتمع والرأى العام ؟ ! ..

الأم : ابنتى .. لو سمعتها الليلة ، وهى ترتجف خوفا منك ، وترجو منى أن أبقى بجانبها ، كى أحميها وأدرا عنها ! ..

الباشا : معذورة .. إنها تلمس الحماية حقا ، لانفسها ، ولكن لشخص آخر . هو وحده الذى يتعرض الآن للخطر .. أتدريين من هو ؟ ..

الأم : من هو ؟ ..

الباشا : زوجها « حامد » ... إنها لا تريد مقابلتى الليلة ، حتى لا تسمع من فئ ما أنا قائل فيه : قول لا يسر ، ولكنه مدموغ بالإثبات والدليل ، وإن رقة حاشيتى وعلو تربيتى ، يأتين على أن أزيد فى أوجاعك ، وأنخوض فى سمعة شخص .. إلا أمام من هى ألصق الناس به ، لعلها تنصحه أو تنقذه من ورطته ! ..

الأم : ورطته ؟ ! ..

الباشا : نعم ورطة تتعلق بذمته ونزاهته فى الشركة التى استؤمن على إدارتها ! .. أنت لا تجهلين البيئة التى انتشلناه منها ، ولكن العرق دساس ، والطبع غلاب ! .. أستغفر الله ... لا تخرجينى ! .. لا تخرجينى ! .. ولا تدفعينى إلى الكلام فى غيبته .. المسألة كما

ترين ، لا تتصل بك ، وليس في يدك حلها .. اتركيني أتدبر مع
« خيرية » الأمر ، وأنقذ ما يمكن إنقاذه ! ..

الأم : إذا صح ما تقول ، فما الضرر أن أكون معكما ؟ .. سأبقى هنا ،
ولن أذهب إلا معك ! ...

الباشا : (بعنف) ستذهبين وحدك .. الآن .. وبأسرع ما تستطيعين ،
لأن صدري قد ضاق . وصبري قد نفذ ! ..

الأم : إني أرفض الانصراف ! ...

الباشا : (بقوة) أمرك أن تنصرفي إلى بيتك الآن ! ..

الأم : تأمرني ؟ .. بأى حق ؟ ..

الباشا : بما لي من حق الأمر ، وما عليك من واجب الطاعة ! ..

الأم : سأبقى لأرى ما يكون منك ! ..

الباشا : تتحددين ؟! .. لم أخطئ ساعة قرأت في وجهك نية التحدى ..
أذهبي إلى بيتك بالحسنى ! ...

الأم : وإذا لم أذهب ؟! ...

الباشا : إذا لم تذهبي إلى بيتك في الحال ، فأنت طالق ! ..

الأم : (في صيحة مكتومة) طالق ؟! ..

(تظهر عندئذ « خيرية » خارجة من الحجرة الجانية ، وتهرع
إلى أمها ...)

خيرية : أماه ! .. انصرفي إلى بيتك .. أرجوك .. أرجوك .. انصرفي في
الحال إلى بيتك ! ..

الأم : أسمعت اليمين ؟ ..

خيرية : اعذريه .. انصرفي في الحال .. الذنب ذنبي أنا يا أمي ، لقد
كذبت عليك ، وافترت عليه ! ..

الأم : كذبت علي ؟! ..

خيرية : كل ما قلت لك اليوم زور وبهتان ! ..
 الأم : ما هذا الكلام يا « خيرية » ؟ .. وما رأيت أنا بعينى زور
 وبهتان ! ..

خيرية : نعم .. نعم .. اذهبي إلى بيتك ! ..
 (تنظر إلى ابنتها ملياً مفكرة مترددة . ثم تتحرك بعزم ...)
 الأم : وهو كذلك . لقد فهمت الآن ما ينبغى أن أفعل ! ..
 (وتخرج سريعاً : ويسمع صوت باب الشقة يفتح ثم يغلق ،
 وخيرية فى مكانها مطرقة ..) .

الباشا : (لخيرية) مناورة بارعة وتمثيل متقن ! ..
 خيرية : كان يجب أن أفعل ذلك ؛ لأنقذ أُمى ! ...
 الباشا : أتراها اقتنعت بكلامك حقاً ؟ .. أم خافت يمين الطلاق ؟ .. كما
 خفت عليها منه ، ومثلت هى الأخرى بإتقان ، لتنسحب
 بلباقة ! ..

خيرية : أرجو أن تكون اقتنعت ؛ ففى ذلك راحة لها ، ما كان ينبغى أن
 أقحمها فى مشكلاتى .. إلى لست طفلة .. إلى أستطيع أن أدفع
 عن نفسى ، وأن أواجه كل خطر بمفردى ، حتى وإن كان الخطر
 هو دناءة رجل مثلك .. والآن .. اخرج من هنا ! ..

الباشا : لن أخرج قبل أن أحدثك عن زوجك ؟ .. زوجك هذا الذى
 يحرص على مركزه قبل أن يحرص عليك أنت .. أين هو الليلة ؟ ..
 سافر .. كما أمرته أنا وكما أكدت لك .. لقد عارضتني وكذبتني فى
 مكتبه اليوم بالشركة وما صدقت قط أنه سيسافر ويدعك لى ،
 تمضين الليلة معى ، أين هو ؟ .. أين هو هذا الزوج المحب المخلص
 الغيور ؟ .. أين هو ؟ .. أجيبى ! ..

خيرية : (مطرقة) سافر ! ..

الباشا : نعم .. سافر حقاً .. هل عندك تعليل لسفرك غير ما ذكرت لك ؟ ..

(ترفع رأسها بقوة ..)

خيرية : لا ، ولا أريد أن أدافع عنه هو الآخر .

الباشا : رأيته قبل السفر ؟ ..

خيرية : رأيته ولم أحادثه .. كما وعدت .. ولم يحدثني ، وأخذ حقيته وانصرف .

الباشا : نعم .. انصرف إلى ما يهيمه من هذه الحياة ! ..

خيرية : هو حر ينصرف إلى ما يشاء ! ..

الباشا : وأنت حرة تنصرفين إلى ما تشائين ! ..

خيرية : إن لي مبادئ ونظراتي في الحياة ! ..

الباشا : نظراتك الصائبة تستطيع على كل حال ، أن تميز بين شخص يأخذ منك ويرتفع على كتفك ، وشخص يعطيك ويبحثو عند قدميك ! ..

خيرية : لا أريد أن أدخل الآن في مجال المفاضلة والتمييز ! ..

الباشا : أفهم ظرفك المؤلم .. لقد صدمت . ليس أقسى على الزوجة من تلك اللحظة التي يتضح لها فيها أن زوجها يهجرها ويهملها ، سواء أكانت تحب هذا الزوج أم تكرهه ؛ فإن كرامة الزوجة تثور لمجرد الإهمال ... إلى أرثي لك يا « خيرية » ! ..

خيرية : أرجو أن ترثي أيضاً لأمي ؛ فإن حظها ليس أسعد من حظي ! ..

الباشا : حظك أنت هو العاثر المنكود ، هذا الشاب العامل في « المكتبة الأحمدية » كان يجب أن يعبدك عبادة ... أنت التي علمته كيف يسكن شقة فاخرة في « جاردن سيتي » ، أما أمك فقد أخذتها أنا من بيتها القديم في حي متواضع لأضعها في « فيلا » باذخة في حي

« الزمالك » ! ..

خيرية : أنت دائما هكذا ، تجعل للثراء كل القيمة في الحياة ! ..
الباشا : وزوجك ؟ .. هذا الشاب الذى كفر بك وبقلبك .. أخبرنى ما
هى أهدافه العليا في الحياة ؟! ...

خيرية : هى الأهداف التى تعلمها منك ! ..
الباشا : منى أنا ؟! .. نعم ! .. كل كارثة تقيق بك أنا علتها ، وكل مصيبة
تنزل بك أنا سببها ، وكل شخص يسرقك أنا ضامنه ، وكل إنسان
يطعنك أنا ديتة . أنت فى ثورة غضبك وأزمة غيظك . فى حاجة
إلى إناء تضررين به الأرض ، وحائط تقذفينه بأمتعتك ، وبرىء
تلقين بهتمك فى وجهه ! .. إنه ليسرنى يا « خيرية » أن أكون فى
يدك كل هذه الأشياء التى نصيبها التحطيم ، ما دام فى ذلك تهدئة
لروعك ... لقد جئت لك الليلة .. وأنا متأكد أن نقمستك على
زوجك الوغد ، لن تنفجر إلا فى صدرى أنا ! ...

خيرية : لا تقل عن زوجى إنه وغد ! ..
الباشا : تحببته ؟ .. بعد كل ذلك ؟! ...
خيرية : كرامتك التى داسها هذا الزوج ، الذى لم يقدرك قدرك ؟! ..
خيرية : إنه حقا لم يقدرنى قدرى ، ولكن ! ..

الباشا : ولكنك امرأة من ذلك الصنف ، الذى لا يحب من الرجال إلا
ذلك الذى يصفع وجهها ، ويأكل من جيبها ، ويأخذ من
جعبتها ، ولا يعطيها غير الأجوف من الكلام .

(يلاحظ أن « خيرية » قد أطرقت وبدا عليها الألم ...) عفوا يا
« خيرية » أنت تعلمين أنى ما أقصد إيلامك أو إهانتك ! .. إنما
أقصد مصلحتك ... وجهك شاحب ، وعينك غائرتان .. قد
رسم الهم تحت جفنيك خطا أسود ، أتستطيع ساعات قليلة من

- الغيظ والكمد أن تحدث في نضارتك كل هذا الأثر ؟ .. قومي
انظري إلى وجهك في المرأة .. أيسرك أن تدبلي كل هذا
الذبول ؟ ..
- خيرية : لا شأن لك بوجهي ! ..
الباشا : تقولينها بتحد ... ولكنك ككل امرأة ، لا تبصري في المرأة
وجهك الحقيقي بل الوجه الذي تريدينه لنفسك ! ...
- خيرية : وهل تبصرا أنت وجهك الحقيقي ؟ ..
الباشا : بالطبع ! ..
- خيرية : أو لم تخف منه وتخجل ، ويستولى عليك الذعر والاشمئزاز ؟ ..
الباشا : (ناظراً إلى المرأة) يا للهول ! .. أهو إلى هذا الحد قبيح ؟ ..
- خيرية : (تشير إلى وجهه) لست أقصد وجهك هذا ! ..
الباشا : أعرف ما تقصدين : وإني لأسائل نفسي كثيراً : ما جرمي
عندك ؟ .. ما ذنبي الذي استحققت عليه كل هذا الازدراء
منك ، وكل هذه البغضاء ؟ هل حرمتك نعمة ؟ .. هل ضنت
عليك بخير ؟ .. هل بددت لك ميراثاً ؟ .. هل أكلت لك
مالاً ؟ ... هل سحقت لك قلباً ؟ .. هل اتخذتك وسيلة للغناء أو
سلماً للوصول ؟ .. ما جنايتي التي جعلتني في نظرك شريراً
خيفاً ؟ .. إني أبحث فلا أجد لي غير جريمة واحدة هي : أني
أحببتك .. هل حبي لك جريمة ؟ ..
- خيرية : نعم .. جريمة .. أتجهل ذلك ؟ ... جريمة منكرة .. جريمة يجب
أن يحمر لها وجهك خجلاً ! ..
- الباشا : لماذا ؟ .. أريد أن أفهم ! ؟ ...
- خيرية : لا حاجة لي إلى إفهامك ؛ لأنك فاهم .. وفاهم .. وفاهم ! ..
- الباشا : إذن قلبي لا يفهم ، ولا أستطيع أن أرغمه على الفهم ؛ لأنه ليس

ملكى ... إنه طائر حر ، إذا طار يوما ، وحط على يدك ، فلا
ذنب لك ولا ذنب لى ... إن رحمتك تحم عليك عندئذ ألا تدبجيه
ولا تخفيه ، ولا تؤاخذه بجرم ، بل تمسح على جناحه برفق ،
وتبقيه ، و تقدمى إليه الحب ... » خيرية ! .. إن كل ما أطلب
إليك الآن من زاد شيء زهيد .. ابتسامة ! .. ابتسامة منك
الساعة . هى لى أكثر من غذاء .. إنها دواء .. ابتسمى .. هذه
الابتسامة خير لى من البرشامة ! ...

- خيرية : لا أريد أن أبنسّم . أريد أن تنصرف ! ...
- الباشا : وحدى ؟ .. أنصرف وحدى ؟ ... لن أنصرف وحدى .
اذهبى الآن وارتندى ثياب الخروج ، ولتخص معا إلى السينما ،
لترهقى عن نفسك الكئيبة (ينظر فى ساعته) لم يزل أمامنا فى
الوقت متسع .. أسرعى والبسى فى خمس دقائق ! ..
- خيرية : أنت جنت ؟ .. إلى أمام مجنون ! ..
- الباشا : أى بأس فى الخروج معى ؟ ..
- خيرية : لن أخرج معك ، بل لن أخرج وحدى وزوجى غائب .. إلى لم
أستأذنه ! ..
- الباشا : تستأذنين هذا الزوج ؟ هذا الزوج الذى سافر ، وهو يعلم أنى
سألقاك الليلة ؟ .. إنه قد أذن لك ، وذهب وتركك لى ! ..
- خيرية : تفريط الزوج فى واجباته لا يبيح للزوجة أن تفرط فى واجباتها ! ..
- الباشا : أيتها الحمقاء .. لقد دفع بك إلى ذراعى ... لقد ألقى بك فى
أحضانى ! ..
- خيرية : إلى لست سلعة ولا دمية ، حتى يلقي بى حيث شاء .. إلى امرأة
أدمية ذات كرامة .. وإلى عندما أرفض الدنس ... لا أراعى فى
ذلك سمعته هو ، بقدر ما أراعى سمعتى أنا ! ..
- الباشا : كلمات جوفاء .. استحوذت على عقلك ، وأسدلت على عينيك

ستاراً من دخان ، يمتنعك من رؤية مباحج الدنيا .. أنت مريضة ، ولكن في مقدورى علاجك ... علاج سهل ، قد ترين فيه أول الأمر شيئاً من الجرأة . الطبيب يجب أن يكون جريئاً فى بعض الحالات قد يصدم المريض فى البداية ولكن الشعور بالراحة يغمره بعد قليل ! ..

(يدنو من « خيرية » فتراجع ...)

خيرية : (برعب) ابتعد ! .. ابتعد ! ..
الباشا : سأسقيك أنا الدواء ، من شفتى ! ..
خيرية : (تصفعه) لا تمسنى ! .. أيها الوقح ! .. أيها الوحش ! ..
الباشا : (بوحشية وهو يدنو منها) مريضتى ! .. لن تفلتى منى الليلة ! ..

خيرية : (صائحة) لا تدن منى ! .. لا تدن منى ! ..
(وفجأة تظهر الأم قادمة من باب ...)

الأم : (بصوت أجش) دع ابنتى ! ..
خيرية : (تنفس) أمى ؟! ..
الأم : دع ابنتى ! .. واخرج من هنا ! ...
الباشا : أكنت فى الشقة إذن ... لم تذهبي ... تظاهرت بفتح الباب وإغلاقه لتبقى وتتجسسى ؟! ..

الأم : دع ابنتى ، واخرج من هنا ! ..
الباشا : ما هذا البريق الخيف فى عينيك ؟ .. هل أصابك مس من الجنون ؟ ...

الأم : (من بين شفتيها) دع ابنتى ، واخرج من هنا ! ..
الباشا : أفهمين معنى ما تقولين ؟ ...
الأم : أفهم معنى ما أقول . لن تطأ قدمى أعتاب بيتك بعد الآن ، لن

أرى لك وجهها ، سأعيش مع ابنتي حيث تكون ، اخرج من هنا ! ..

الباشا : أخرج من هنا ؟ .. أخرج من البيت الذى صنعته بيدي ١٩ .. أنسيت أن ابنتك تعيش فى بيت من صنع يدي ؟ ..

الأم : لن نعيش فى بيت من صنع يدك ! .. سنرضى بالكفاف ، ونعيش فى حى فقير ، ونبيت ، إذا لزم الأمر على الطوى ... أنا و « خيرية » ... أليس هذا رأيك يا ابنتى ؟ ..

خيرية : نعم .. نعم .. يا أمى ! ...
الأم : والآن .. اخرج من هنا حتى ندبر لأنفسنا حياة أخرى .. اخرج ! ..

الباشا : لا تجعلى الغضب يعمى بصرك .. إن هذا ليس بيتك .. إنه على الأقل بيت رجل لا يعنيه من أمركا شىء ... رجل مشغول بمستقبله ، وهو فى جيبي .. مثل هذا السيجار ... (يخرج سيجارا ويشعله) أستطيع أن أحرقه وقتما أشاء ! ..

الأم : سنعتمد على الله ! .. جميعنا ! ..
خيرية : سأعمل مدرسة يا أمى .. أو عاملة فى محل .. ونأكل من عرق الجبين ! ..

الأم : خذى بعض متاعك يا « خيرية » ... ولنذهب إلى بنت خالتك .. فى « مصر الجديدة » ... إلى أن نعد لنا سكنا ! ..

الباشا : يحسن بى أنا أن أنصرف .. أولا .. ستندمان على هذا الموقف العدائى بلا ضرورة .. وستسعيان إلى يوم تواجهان حقائق الحياة وقوتها ؛ لتركعا عند قدمي ! ..

(حامد يظهر من الباب الذى ظهرت منه الأم)

خيرية : (بلهفة) حامد ! ..

- الأم : (بعتاب) لماذا ظهرت الآن يا « حامد » ؟ ..
- حامد : (للأم) لم أستطع البريوعدى لك .. والانتظار حتى يذهب هذا الرجل ... يجب أن أقول له كلمتين ، بكل هدوء ، ورباطة جأش ! ...
- الباشا : ما هذا ؟ ...
- حامد : (بتحد وعنف) لم أسافر .. ولم يكن في نيتي السفر ! ...
- الباشا : كان في نيتك أن تعد لنا هذه المفاجأة ! .. أيها الشاب المولع بالمفاجآت ! ... يظهر أنك كنت تكثر من قراءة الروايات البوليسية ، يوم كنت عامل مكتبة ، فأغراك ذلك بدخول البيوت من النوافذ ، ومفاجأة الناس بمثل هذه المواقف ! ...
- خيرية : (تهرع إلى ذراعي « حامد ») حامد ! ... إني سعيدة بهذه المفاجأة ، متى جئت ؟
- حامد : منذ قليل ... ما كدت أخرج مفتاح الشقة ، حتى انفتح الباب ورأيت أمامي (يشير إلى الأم) أمنا .. فدخلت وأغلقت الباب ! ...
- الأم : (تشير إلى حيث كانا مختبئين) نعم ... كان طول الوقت معي هنا ... وتفاهمنا على كل شيء ! ..
- الباشا : هي إذن مؤامرة ... لضبطي في موقف مربب ! ..
- حامد : بل لأهل أمتعتي الخاصة من بيتك ، هذا الذي صنعه بيدك .. القذرة ، وأبصق في وجهك . وأذهب إلى غير رجعة ! ..
- خيرية : (صائحة) وأنا .. يا « حامد » ... أو تتركني ؟ ...
- حامد : (وهو يطوقها بذراعه) كيف أتركك ؟ ! .. ولكن .. هل تستطيعين الحياة بعيدا عن هذا الترف ؟ ... (يشير إلى رياش البهو)

- خيرية : إني معك ... حيثما تكون .. وأمي معنا ! ...
- الأم : حيثما تكون يا « حامد » ... نحن معك ولنكافح من أجل اللقمة الشريفة معا .
- الباشا : معا .. حيثما يكون .. ؟ يا للسذاجة ... أنسيتما أيسن سيكون !؟ .. إنه سيكون غداً في السجن ! ..
- الأم : (صائحة) لا .. لن تفعل ذلك .. لن تسجنه ، لن تقضى على مستقبل برىء ... كمن رحيمًا ! ...
- حامد : (للأم) لا أريد هذا الاستجداء ... لن أخشى غير حكم الضمير ... إني منذ زلتى الأولى ما ارتكبت قط ما يندى له الجبين ... ضميرى لن يديننى أبداً وإنى لحكمه مستريح ! ..
- الباشا : غداً أمام القضاء ... قدم ضميرك مستنداً ، تدرأ به أدلة الاتهام ، إلى اللقاء ... جميعكم ! ... (ينصرف وهو يقول للأم) عودى إلى بيتك ، ولا تتركبى حماقة ! ..
- الأم : (يخرج ، وهو يسمع الأم تصيح) لن أعود ! ...
- خيرية : (لحامد) إني خائفة عليك مما يبيت لك من شر ! ...
- الأم : (مقبلة على « حامد ») أما من سبيل إلى إنقاذك ؟ ..
- حامد : أمرى إلى الله ... هذا الرجل قد صنع الدليل قبل أن يصنع الاتهام ! ..
- الأم : إن الله لن يخرى بريثاً أبداً ...
- خيرية : فكر معنا يا « حامد » ... عن طريقة .. فلنفكر معا ! ...
- حامد : (يفكر) ماذا يمكن أن أصنع ؟ .. إن فى السماء إلها ! ...
- (يسمع طلق نارى . خارج الشقة . ثم أصوات صياح وجلبة وطرق شديد على الباب . فيستولى الوجوم على الأم

و « خيرية » و « حامد » . ويظهر « الباشا » يسنده الخدم .
وهو يضع يده على الدم المتفجر من صدره . بينما صفارات
البوليس تنطلق في الشارع ...)

الباشا : (بصوت متداع) قتلنى « شاكى » ... فى السلم ... كان
متربصا لى ... فى السلم . هل ضبطوه ؟ ... اضبطوا
« شاكى » ... اضبطوه ! ..

الأم : (تهرع إلى زوجها ملهوفة) « محمود » ! ... (تجلسه مع
الخدم على مقعد كبير) .

الباشا : (يمد يده المتساقطة نحو التليفون) الدكتور ! .. التليفون ! ...
الأم : الدكتور يا « حامد » ! ... بسرعة .. أطفى باب الشقة يا
« خيرية » ، واطردى الناس ! .. على بقطن .. أليس هنا
قطن ! ..

(.. خيرية تجرى مهرولة هنا وهناك)
حامد : (الذى كان قد أسرع إلى التليفون) ألو .. ألو .. الإسعاف من
فضلك بسرعة ! ..

الأم : (صائحة وهى تنظر إلى يدها الملوثة بالدم) على بمفرش ، أقف
هذا الدم .

(خادمة تسرع مليية ...)
الباشا : (فى حشرجة) شربة ... ماء ! ...

الأم : (صائحة) كوبه ماء ! .. « خيرية » ! .. « حامد » ! ..
كوبه ماء على عجل .. على عجل .

(تأتى الخادمة بمفرش كبير . فضعه الأم على صدر
زوجها ...)

الباشا : (تخفت حشرجته بالتدريج)

— ٢٣٠ —

(الخادم يأتى بكوبة الماء فتسلمها منه « خيرية » . ويتسلمها

« حامد » ويسرع بها)

: (قرب الأم) الماء ! ...

حامد

: (ينحدر رأسه عن صدر زوجته)

الباشا

: (تنظر في وجه الباشا وتحس نبضه وتصيح) محمود ! ..

الأم

محمود ! .. مات ! .. مات ! .. (تتسحب) زوجى ! ..

زوجى ! زو .. جى ! .. (يبادر حامد والأم والخدم فيسجون

الباشا . ويسدلون على وجهه المفرش) .

(ستار)

الفهرس

صفحة

١٣	بين يوم وليلة
٣٧	أريد أن أقتل
٦٥	النائبة المحترمة
٨٧	أصحاب السعادة الزوجية
١٠٧	مولد بطل
١٢٣	اللس

رقم الإيداع ٢٩٦١ / ١٩٩٤

الترقيم الدولي 4 - 0848 - 11 - 977

دار مصر للطباعة
سعيد حمزة السحار وشركاه



دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه